نجيب محفوظ

المسرحيات

دار الشروق

المسرحيات



صدرت مسرحية «المطاردة» عام ١٩٧٣ ضمن كتاب «الجريمة»، وصدرت المسرحيات الباقية عام ١٩٦٩ ضمن كتاب «تحت المظلة».

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٦

الطبعة الثانية ٢٠٠٨

٨ شارع سيبويه المصرى

مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر

تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

email: dar@shorouk.com

www.shorouk.com

المحتويـــات

يميت ويحـــــيى

المسرح منقسم إلى قسمين. قسم أمامى وهو حوالى ثلثى المساحة وهو مضاء واضح المعالم. فى وسطه نخلة مغروسة، وفى جانب منه ساقية صامتة، القسم الخلفى مرتفع الدرجات على هيئة مصطبة، تغشاه الظلمة، وتلوح به أشباح راقدة، نيام أو موتى. الطابع طابع تجريدى.

يُرفع الستار. على المسرح فتاة جميلة تسير ذهابا وجيئة بين النخلة والساقية. ثوبها يناسب الجو التجريدى حيث يصعب تحديده على أساس جغرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح.

ومع ارتفاع الستار تترامى أصوات معركة بين اثنين آتية من ناحية اليسار. شتائم وتهديدات وأصوات ضرب.

الفتاة : يارب السماوات . . متى تختفى هذه الأصوات من الوجود؟ . . متى تشرق شمسك على أرض ناعمة البال، قريرة العين؟

(تصغى إلى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول)

ترى هل أكفر عن ذنب قديم؟ أو إنه بلاء مركب فى دمى؟ أو إنها أخطاء تقع فلا تلقى إرادة صادقة لإصلاحها؟

(يتقهقر شخص مندفعا بعنف، نتيجة لدفعة قوية تلقاها فى

الخارج، ثم يسقط تحت النخلة مغمى عليه. الفتاة تنحنى فوقه باهتمام وتربت على خده بحنان. يفتح عينيه. ينظر إليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمغما)

الـفــتى : أبـى!

(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

: أمـى!

(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

: زوجتى!

الفـتـاة : شد حيلك.

(تدلك خديه. يفتح عينيه مفيقا. ينظر إليها طويلا ثم يتمتم)

الـفــتى : أنت!

الفـتـاة : حمدا لله . . قم . . اعتمد على ذراعى . .

(تقيمه.. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره.. وهو يأخذ فى التماسك شيئا فشيئا)

: لعلك أحسن . .

(الفتى لا يرد ولكنه يعاود حالته الطبيعية)

: تنفس بعمق فالجو اليوم طيب.

الـفــتى : لا شىء طيب على الإطلاق.

الفـتـاة : الجو طيب على الأقل، هدئ خاطرك.

الـفــتى : هيهات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر.

(تشده برقة إليها فى دلال).

الفـتـاة : تعال إلىّ، أنا لا أعرف اليأس.

(تحتد فى عينى الفتى نظرة ولكنه يتراجع فى حياء أمام نظراتها الحنونة).

الفتى : لست على حال أهنأ معها بعطفك، معذرة.

الفتاة : ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : ليت ذلك فى الإمكان.

الفتاة : إنه ممكن إذا أردته.

الفتى : (متحسسا رأسه وعنقه فى تألم) إنه مستحيل أردت أم لم أرد.

الفتاة : إنها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء.

الفتى : الحق إنها تطارد الأحياء.

الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها، إنى أدعوك إلى السعادة الحقيقة فى الوجود.

الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا.

الفتاة : يا لك من جاحد!

الفتى : لا أنكر عهدك، ولكنى أخشاه، أخشاه فى لحظة اندحارى الراهنة، وأراه من موقفى الدامى ذا جاذبية مخيفة تعمى البصر.

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتألق الأزهار وجنى الثمر؟!

الفتى : بل إنى أذكر مع الأسى ثقل الجنون، وترهل العضلات واسترخاء الهمم.

الفتاة : دعنى أكرر أن ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : يا له من جمال دافئ قهار. أقوى من الموت نفسه، ولكن تلاشت فى أحضانه أحلامى.

الفتاة : إنه أنفع من أحلامك .

الفتى : سيظل الجبن أكبر منغص لصفو الرجال .

الفتاة : من عجب أن تحن إلى فظاظة الخلاء !

الفتى : أحن حقا إلى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الداهم .

الفتاة : والدم والتشرد والغبار .

الفتى : بل قوة الاعتداد المسخرة للرياح .

الفتاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .

الفتى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة التساؤل المفعم بالقلق أمام احتمالات الحياة والموت .

الفتاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب .

الفتى : ونبض القلب بزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .

الفتاة : أنت أنانى ، زهدت فىّ بعد شبع . وشاقتك رائحة الدماء .

الفتى : إنى أحبك ولكنى أكره أن أتمرغ فى التراب .

الفتاة : هذا يعنى أنك لا تحبنى .

(الفتى يشير إلى المصطبة المسربلة فى الظلام حاملة الرقود من الأشباح)

الفتى : ليكن لى قدوة فى الغابرين .

الفتاة : لا أحب النظر نحو الموتى .

الفتى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .

الفتاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود سواى !

الفتى : كم استنمت إلى هذا الكلام الآسر حتى داستنى الأقدام.

الفتاة : لقد أشعلت غضبه بمزاحك.

الفتى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا أليما موجعا!

الفتاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه.

الفتى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى.

الفتاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى.

الفتى : صدقت حتى وهنت منى القبضة.

الفتاة : كان علىّ أن أنتشلك من حياة التشرد فى الخلاء.

الفتى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى.

الفتاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء.

الفتى : إنها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت.

الفتاة : لا شىء كالموت.

الفتى : إنه ليس شر ما فى الحياة.

الفتاة : صدقنى فإنه العدو الأول للحياة.

الفتى : أيسرك أن أرضى بالهزيمة؟

الفتاة : ارض بأى شىء إلا الموت.

الفتى : وأعود إلى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة؟

الفتاة : للزمن بلسم يشفى كل شىء إلا الموت.

الفتى : (مشيرا إلى المصطبة) تعامل أجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود.

الفتاة : لقد ماتوا وشبعوا موتا.

الفتى : (مخاطبا المصطبة وأهلها) قولوا إنكم خالدون.

(صوت من المصطبة كالصدى): إنكم خالدون.

الفـــتـــاة : لا تخاطب الفراغ كالمجانين .

الـفـــتـــى : ألا تسمعين؟

الفـــتـــاة : إنك تصرخ في الأموات تبريرا لسفك الدماء .

الـفـــتـــى : يا له من صوت رهيب!

الفـــتـــاة : متى كان للتراب صوت .

الـفـــتـــى : (مخاطبا المصطبة) هل تسمعون ما يقال؟

الصـوت ـ الصدى : (بعد قليل) هل تسمعون ما يقال؟

الـفـــتـــى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الصـوت ـ الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الـفـــتـــى : (لا يزال متطلعا إلى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه) إنهم يرددون قولي . . أجل . . ولهذا معنى عميق لا يخفى على لبيب . . وها هم يتحركون . (يظلون رقودا طيلة الوقت ودون حركة) . . إنهم يهدون إليّ صورة عزيزة غابرة . . ها هو القتال يحتدم . . الشهداء يسقطون . . الجنود يتسلقون جدار الحصن كالنمل . . ها قد سقط الحصن . . وهذا هتاف النصر يدوى مخترقا جدار المئين من السنين (ثم ملتفتا نحو الفتاة) . . أرأيت . . أسمعت؟

الفـــتـــاة : لا شيء يرى ولا يسمع!

الـفـــتـــى : لقد زلزلني هتاف النصر فوق جثث الشهداء .

الفـــتـــاة : ما هي إلا هواجس رغباتك الجامحة في القتل .

الـفـــتـــى : سحقا للخمول في خمائل الورد .

الفـــتـــاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة!

الـفـــتـــى : (مشيرا إلى المصطبة) لقد لفحتني أنفاسهم المحترقة حزنا عليّ .

الفـــتـــاة : ليس للأموات أنفاس تحترق .

الـفـــتـــى : إذا مات الأموات أدرك الفناء كل شىء .

الفـــتـــاة : إذا أردت الحياة حقا فلا تنظر إلى الوراء .

الـفـــتـــى : ولكن الوراء هو الأمام!

الفـــتـــاة : ولا تنظر إلى الأمام . .

الـفـــتـــى : **(يقطب محتجا حائرا) .**

الفـــتـــاة : فلتغرق فى عينى توهب خلودا بين الظلمتين!

(قهقهة ساخرة وحشية تترامى من ناحية اليسار).

الـفـــتـــى : أتسمعين استفزازه الساخر؟!

الفـــتـــاة : ريح هوجاء يعربد خلالها الشقاء .

الـفـــتـــى : إنه يتحدانى!

الفـــتـــاة : سأغنى لك أغنية ترقص لها الحمائم فاستمع لى أنا!

الـفـــتـــى : فلتطرب العصافير .

الفـــتـــاة : فلتهنأ بك شهوة الدماء .

الـفـــتـــى : إن قهقهته الساخرة تحيل الهواء فى صدرى ترابا .

الفـــتـــاة : خير ما تفعل أن تصم أذنيك .

الـفـــتـــى : ولكنى خلقت بأذنين .

الفـــتـــاة : لتسمع بهما مناجاتى الدافئة .

الـفـــتـــى : يا لها من مناجاة أجهضت همتى . . الوداع . .

الفـــتـــاة : لن تستغنى عنى أبدا .

الـفـــتـــى : فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شىء .

الفـــتـــاة : لن يطيب شىء بعيدا عن ذراعى .

(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد).

الـفـــتـــى : الـــوداع .

الفـــتـــاة : انعم بالنوم رغم الضوضاء .

الـفـــــتـى : بل أقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .

الفـــتـــاة : كلمة أخرى . . لا أريد أن يدركنى اليأس .

(الفتى يـضع أصبعـيه فى أذنيـه. تنظر إليه مليـا ثم تمضى إلى الجهة اليمنى).

(الفتى ينظر نحو المصطبة).

الـفـــــتـى : لا يمكـن أن يدلنى على حقيقـة الحياة إلا شـخص أدركه الموت!

الصوت ـ الصدى : المـوت .

الـفـــــتـى : ذهبت . . ولكنها لـن تذهـب بعـيدا . . مـحال أن أتحـرر منهـا كليـة . . ولا رغـبـة لى فى ذلك . . ولا قـدرة لى عليه . . ولكنى أريد الحقيقة . .

الصوت ـ الصدى : الحقيقـة .

الـفـــــتـى : أفصحوا . . لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .

الصوت ـ الصدى : الصخور .

الـفـــــتـى : حدثونى عن الموت والحياة .

الـصـــــدى : الحيـاة .

الـفـــــتـى : من هو البطل؟

الـصـــــدى : البطـــل .

الـفـــــتـى : أهو المحارب؟

الـصـــــدى : المحارب .

الـفـــــتـى : أهو المسالم؟

الـصـــــدى : المســالم .

الـفـــــتـى : اللعنة . . اللعنة . . اللعنة . .

(يتحول الفتى عن المصطبة)

: (صائحا) علىّ أن أستعد . . إلىّ بالطبيب . . أيها الطبيب .

(يدخل الطبيب.. بنفس الثياب التجريدية.. ولكنه ذو لحية.. وبيده حقيبة) .

الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .

الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات؟

الطبيب : إننا لا ندعى للأفراح .

الفتى : بل يبدو لى أنى مريض .

الطبيب : إننى أعمل يومين فى اليوم الواحد .

الفتى : ياه!

الطبيب : إنه الوباء . .

الفتى : هل يوجد وباء؟

الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .

الفتى : قمقم من الغم .

الطبيب : وهو ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .

الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .

الطبيب : نحن نثرى بفضل الأمراض لا الأوبئة .

الفتى : لكن الوباء ما هو إلا مرض كبير .

الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة ولذلك فهم يسخرون الأطباء لمقاومته فلا نفيد من ورائه خيرا يذكر .

الفتى : أمر يدعو للأسف، ولكننا ندفع ثمن إهمالنا للبيئات الفقيرة القذرة .

الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .
الفتى : ربما ولكنه يستفحل فى البيئات الفقيرة .
الطبيب : استفحل هذه المرة فى البيئات الراقية !
الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .
الطبيب : لكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة الصحية العامة .
الفتى : عندك حق . إنى أعتقد أنى مريض .
الطبيب : إنى مصغ إليك يا سيدى .
الفتى : لا أعراض خاصة تستحق الذكر .
الطبيب : لعلك ترغب فى إجراء كشف عام؟
الفتى : تقريبـا .
الطبيب : إما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك «تقريبا»؟
الفتى : لا مؤاخذة فهذا ما قصدته بالدقة .
الطبيب : ولِمَ لَم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر؟
الفتى : لاَ تشتد فى محاسبتى على أسلوبى فى الكلام .
الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة؟
الفتى : تقريبـا !
الطبيب : عدنا إلى تقريبا !
الفتى : فلنفترض أن الجواب بالإيجاب .
الطبيب : فلنفترض ! . . ألا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة؟
الفتى : طيب، إنى أرغب فى إجراء كشف عام .
الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .
الفتى : عدنا إلى الأسلوب .
الطبيب : إنه أول عرض .

الفتى : عرض؟!
الطبيب : إنك تحاور وتداور، ولا تقصد إلى هدفك رأسا.
الفتى : معذرة.
الطبيب : وهذا هو أول أعراض الوباء.
الفتى : الوباء!
الطبيب : أما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها.
الفتى : لا أفهم شيئا.
الطبيب : غير مهم.
الفتى : ولكنه مرضى أنا.
الطبيب : إنه وباء فهو ملكية عامة.
الفتى : فليكن، علينا أن نفهمه على أى حال.
الطبيب : بل عليك أن تتداوى منه.
الفتى : حسن، فلتحدثنى عن بقية الأعراض.
الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت.
الفتى : ولكنك قلت إن بقية الأعراض يمكن استنتاجها.
الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج؟
الفتى : أنا تحت أمرك.
الطبيب : هذا هو العرض الثانى!
الفتى : أين هو؟
الطبيب : بعد المحاورة والمداورة تصدر جملة واضحة محددة وهى «أنا تحت أمرك».
الفتى : ولكنها مجرد مجاملة!
الطبيب : هذا ما يخيل إليك، أما الواقع فإنه العرض الثانى!
الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضا من أعراض الوباء.

الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك فى العلم .

الفتى : ولكنى من المتحمسين للعلم . .

الطبيب : (يهز رأسه فى شك وهو صامت)

الفتى : (وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام) إنى من أصل عريق كان أول من أحرز فى ميدان العلم نصرا .

الطبيب : الإشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من أعراض الوباء .

الفتى : لست من هؤلاء . . إنى بصفة عامة متعصب للعصر الحديث . .

الطبيب : متعصب؟ !

الفتى : أقصد أننى متحمس للعصر الحديث ، ولا ألتفت نحو الأسلاف إلا تحت ضغط ضرورة ملحة !

الطبيب : وهاك عرضا من أعراض الوباء .

الفتى : إذن فأين يقع السلوك الصحيح؟

الطبيب : إنك لا تدرى عنه شيئا فيما أرى !

الفتى : إنى أجد دوارا فى رأسى !

الطبيب : الصراحة تحدث لك دوارا؟ . . عرض خامس !

الفتى : لعلى بالغت فى التعبير .

الطبيب : من الدوار إلى المبالغة . . عرض سادس !

الفتى : خير ما أفعل أن ألزم الصمت .

الطبيب : من الدوار إلى المبالغة إلى الصمت . . عرض سابع !

الفتى : ها . . ها . . ها . .

الطبيب : دوار ، مبالغة ، صمت ، ضحك بلا سبب . . عرض ثامن . .

الفتى : ها . . ها . . ها . . ها . . ها . .

الطبيب : إغراق فى الضحك رغم التأكد من أعراض الوباء . . عرض تاسع!

الفتى : (يخفى وجهه بين كفيه)

الطبيب : وتخفى وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفى .

الفتى : وماذا يمكن أن أفعل؟

الطبيب : وهذا هو التساؤل الذى يمثل أخطر أعراض الوباء .

الفتى : الحق أنك لا تشخص مرضا ولكنك مصمم على إثبات وجود الوباء .

الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم على ، ومعنى ذلك أنك تهادن من يتحرش بك وتتحرش بمن يحسن معاملتك . . وهذا هو العرض العاشر .

الفتى : إنك تثير غضبى .

الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم . . العرض الحادى عشر .

الفتى : (هازئا) لو لى لا بم .

الطبيب : هذيان لفظى . . العرض الثانى عشر .

الفتى : سيدى الطبيب ، ألم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ؟

الطبيب : حصل .

الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن؟

الطبيب : كلا .

الفتى : وكيف تصرفت معه؟

الطبيب : تجنبت ذكر أى عرض يسىء إليه .

الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر؟

الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياتى للخطر!

الفتى : أليس ذلك بعرض من أعراض الوباء؟

الطبيب : بلى!!

الفتى : إذن فأنت مصاب أيضا.

الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد!

الفتى : ألا تتداوى من الداء؟

الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك.

الفتى : وهو؟

الطبيب : إنه دواء واحد لا بديل له، وهو أن تسير إذا سرت على يديك، أن تسمع بعينيك، أن ترى بأذنيك، أن تتذكر بعقلك، وأن تعقل بذاكرتك.

الفتى : يا له من دواء غريب وشاق!

الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب!

الفتى : شكرا لك.

الطبيب : عفوا آن لى أن أذهب.

الفتى : مصحوبا بالسلامة.

(الطبيب يتجه نحو الناحية اليسرى. صوت القهقهة الساخرة يرتفع، الطبيب يتوقف عن السير. يستدير ذاهبا إلى الناحية التى جاء منها ويختفى)

الفتى : آن لهذا الصوت الكريه أن يخمد، ولا حل إلا أن أؤدبه..

صوت من الجهة اليمنى: بل يوجد حل آخر.

(يدخل رجل عملاق بادى الاعتداد بالنفس مبتسما بمودة)

الفـــــتى : من أنت؟

العـــمـــلاق : صـــديق .

الفـــــتى : ولكنى لا أعرفك .

العـــمـــلاق : نحن فى عالم لا نعرف إلا أعداءنا .

الفـــــتى : ولكنى لم أرك من قبل .

العـــمـــلاق : ها أنت ترانى ، وفى هذا الكفاية .

الفـــــتى : لا حول ولا قوة إلا بالله .

العـــمـــلاق : تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة فى عمرك .

الفـــــتى : ومـــاذا تريد؟

العـــمـــلاق : أن أســاعدك .

الفـــــتى : فى أى شىء؟

العـــمـــلاق : فى قهر عدوك .

الفـــــتى : ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .

العـــمـــلاق : وهذا يجعل من تقدمى إليك سلوكا جديرا حقا بالصداقة!

الفـــــتى : ومن الذى أرسلك؟

العـــمـــلاق : قل إنها العناية الإلهية .

الفـــــتى : هذه إجابة عامة ولا تشفى .

العـــمـــلاق : إذن اعتبر أننى جئتك بحكم وظيفتى .

الفـــــتى : وما وظيفتك؟

العـــمـــلاق : أن أقيم ميزان العدالة .

الفـــــتى : ومن قلدك هذه الوظيفة؟

العـــمـــلاق : الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .

الـفــــتى : ولكننى لم أسألك المعونة .

العــمــلاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجـودى على كـثب منك . وربمـا . .

الـفــــتى : وربمـا؟

العــمــلاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .

الـفــــتى : هذا شأنى على أى حال .

العــمــلاق : كـلا .

الـفــــتى : كـلا؟ !

العــمــلاق : إنه يدخل ضمن اختصاص وظيفتى ، علىّ أن أنقذك ولو من نفسك .

الـفــــتى : ولكن مرجع الأمر فى النهاية إلىّ أنا .

العــمــلاق : ويرجع إلىّ بحكم وظيفتى .

الـفــــتى : إنى أشكرك ، أرجو ألا تغالى فى اختصاص وظيفتك . ثمـة رجل وقح اعـتـدى علىّ ، ولا مـفـر من أن أؤدبه بنفسى . .

العــمــلاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سواى . .

الـفــــتى : لست فى حاجة إلى مساعدتك .

العــمــلاق : بل إنك فى مسيس الحاجة إليها :

الـفــــتى : أكـرر الشكر ، ولكننى لا أعـرفك ولا تـربطنى بك صلة حقيقية .

العــمــلاق : إنى جـزء لا يتـجـزأ من المكان ، لى فـيـه رزق وصـهـر ، وتربط أسرتى بأجدادك أواصر مودة قديمة .

الـفــــتى : أجدادى؟ ! . . إنى أشك فى ذلك .

العــمــلاق : من أين لك هذا الشك؟

الفتى : إنى أعرف من كانوا على صلة بهم . .

العملاق : لابد أن تفوتك معرفة البعض ، وأسرتى كانت ضمن ذلك البعض .

الفتى : حتى لو صح ذلك فإننى لا أعتبره ملزما لى بقبول مساعدتك .

العملاق : إنى أذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغا للقبول لا ملزما له !

الفتى : إذن لا إلزام هناك . .

العملاق : أما الإلزام فيجىء من طبيعة وظيفتى .

الفتى : إنى أرفض مبدأ الإلزام . .

العملاق : عجيب أن تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة تهبط عليك من السماء . .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

العملاق : لن تستطيع ذلك وحدك .

الفتى : هذا لا يعنيك فى شىء .

العملاق : بل هو كل شىء عندى ، هو وظيفتى فى الحياة .

الفتى : لا شأن لى بوظيفتك .

العملاق : لا تجعلنى أشك فى قواك العقلية .

الفتى : انصرف من فضلك ودعنى أتصرف كما أشاء .

العملاق : فكر . . فكر طويلا . . لا ترفض هبة العناية الإلهية .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

(الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين)

(العملاق يحنى لها رأسه فترد التحية)

العملاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .

الفتاة : شكرا يا سيدى .
العملاق : كنت أذكره بالصلة القديمة التى ربطت بين أسرتى وأجداده .
الفتاة : سمعت كل شىء!
العملاق : إنه ينكر تلك الصلة .
الفتاة : لا يمكن إنكار أى صلة قديمة أو حديثة .
العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الفتاة : كن رفيقا به فهو غاضب .
العملاق : ألا يحق لى أن أتمسك بأداء وظيفتى؟
الفتاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة . .
العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الفتى : (مخاطبا الفتاة) . . مؤامرة!
الفتاة : معاذ الله .
الفتى : مؤامرة .
الفتاة : افتح له صدرك .
العملاق : أشكرك يا صوت العقل .
الفتى : (للفتاة) إنى أطالبك بالاحترام .
الفتاة : قلبى ملئه الاحترام والحب .
العملاق : لم تعاند محبيك؟
الفتى : الحب قد يدفع إلى الهلاك .
الفتاة : الحب لا يتعامل إلا مع الحياة .
الفتى : إنى أطالبك بالانسحاب .
العملاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .
الفتى : (للعملاق) لا تتدخل فى شئونى الخاصة .

العملاق : سمعا وطاعة .

الفتاة : إنى ذاهبة ما دمت ترغب فى ذلك، ولكنى أتوسل إليك أن تفتح له صدرك .

(الفتاة تذهب)

(فترة صمت يتبادل فيها الرجلان النظرات، العملاق باسما والفتى غاضبا).

العملاق : الجو أصبح أصلح للمناقشة .

الفتى : ألم تستنفد المناقشة؟

العملاق : كلا بعد، افتح لى صدرك، واتخذ بعد ذلك قرارك .

الفتى : (يتنهد صامتا) .

العملاق : أريد أن أساعدك .

الفتى : خبرنى صراحة عما تريد ثمنا لذلك؟

العملاق : إنى صديق ولست بتاجر .

الفتى : حدثنى عما تريد .

العملاق : لا شىء ألبتة .

الفتى : ألبتة؟

العملاق : إلا ما تتطلبه ظروف العمل طبعا .

الفتى : ظروف العمل؟

العملاق : لكى أؤدب عدوك فلابد من استدراجه إلى هنا .

الفتى : إلى مكانى هذا؟

العملاق : نعم .

الفتى : لا يجوز أن يدنس مقامى بقدمه .

العملاق : لا تعط المكان أهمية أكثر مما يستحق .

الفتى : (مشيرا إلى المصطبة) إنه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العملاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .

الفتى : إذن هذا هو رأيك عن الأجداد؟

العملاق : إن باطن الأرض مليء بالعظام وهيهات أن تعرف أين عظام أجدادك بينها .

الفتى : هذا رأى من لا أصل له .

العملاق : لا تغضب . . ما أردته هو أن أبين لك خطتى فى العمل .

الفتى : ولم لا تذهب إليه حيث يقهقه؟

العملاق : إنى أعرف ما أريد .

الفتى : سأجاريك فى أفكارك فهل إذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل؟

العملاق : ولكن ليس هذا بكل شىء .

الفتى : ثمة شروط أخرى؟

العملاق : لا تردد كلمة «شروط» فما أبغضها فى مقام الصداقة .

الفتى : طيب . . ماذا تريد أيضا؟

العملاق : فى فترة التأهب للمعركة أحتاج لرعاية خاصة .

الفتى : مثال ذلك؟

العملاق : تقدم لى الطعام والشراب والترفيه الضرورى .

الفتى : جميل ، ولكن يخيل إلى أن مطالبك لم تنته بعد؟

العملاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجليلة لمجالستنا !

الفتى : فتاتى؟

العملاق : إنها قلب كبير يتسع للجميع . .

الفتى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك؟

العملاق : أعنى أننى فى حاجة إلى الحنان قبل المعركة .

الفتى : وماذا أيضا؟

العـــمـــلاق : بما أننى سـأكـون يـدك عنـد الحـاجة فمن الإنصاف ألا تتورط فى فعل قبل مشاورتى . .

الـفـــــتـى : منطق سديد!

العـــمـــلاق : ولا أن تصـادق شـخصا قبـل مـوافقتى فقـد يكـون لى عدوا .

الـفـــــتـى : واحد وواحد يساويان اثنين .

العـــمـــلاق : ولا أن تعـادى شـخصا قبـل الرجـوع إلىّ فقد يكون لى صديقا .

الـفـــــتـى : من يجادل فى ذلك؟

العـــمـــلاق : هـــل نبـدأ؟

الـفـــــتـى : أود أن أسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بى عدوى أكثر من ذلك؟

العـــمـــلاق : (مستنكرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .

الـفـــــتـى : فاعـــله؟!

العـــمـــلاق : قبلة من زوجك غير قبلة من بنت هوى ، وصفـعة من والدك غير صفعة من غريب!

الـفـــــتـى : وأنت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لى؟

العـــمـــلاق : بدأنا نتفاهم فيما أعتقد .

الـفـــــتـى : (غاضبا) اغرب عن وجهى .

العـــمـــلاق : ماذا جرى لك؟

الـفـــــتـى : اذهب . . اذهب بلا تردد .

العـــمـــلاق : أين أذهب؟

الـفـــــتـى : ابعد عن مقامى .

العـــمـــلاق : ولكنه مقامى أنا أيضا .

الفـتى : ماذا قلت؟

العملاق : يا سيدى، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث، وقت يعطينى الحق فى الإقامة، وبالإضافة إلى ذلك نشأت علاقة إنسانية صميمة مع فتاتك الحكيمة، بل مع هؤلاء الأجداد أنفسهم . .

الفـتى : أنت بلطجى . .

العملاق : فليسامحك الله .

الفـتى : اذهب بعيدا، لا أريد مساعدتك، وسألقى عدوى وحدى . .

العملاق : عليك فى هذه الحال أن تقاتل اثنين!

الفـتى : كيف؟

العملاق : إنك تناصبنى العداء وسأضطر إلى الدفاع عن نفسى . .

الفـتى : تهاجمنى لأننى أرفض مساعدتك؟

العملاق : لأنك تريد أن تطردنى من مقامى وتعطل وظيفتى الأساسية فى الحياة .

الفـتى : لا تستهن بى، لست عملاقا مثلك، ولكننى مصمم على منازلة الموت نفسه .

العملاق : ما دمت تريد الموت فلتمت .

الفـتى : سأموت إذا مت وأنا أقاتل .

العملاق : إذن فلتقاتل ولتمت .

(تعود الفتاة مسرعة)

الفتاة : أردت أن تفتح صدرك للتفاهم لا للموت .

الفـتى : إنه شر من الآخر .

العملاق : إنه أحمق .

الفتى : إنه من النوع الآخر ولكنه شر منه .

الفتاة : يا للأسف .

الفتى : لا منفذ إلى حياة طيبة مع وجودهما .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟

الفتى : عندما يختفيان هما وأمثالهما .

الفتاة : كلام قديم معاد .

الفتى : ولكنه حـق .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟

العملاق : إنى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .

الفتاة : (للعملاق) ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة بلا شروط؟

العملاق : إنى أبغض كلمة «شروط» .

الفتاة : ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة دون أن تطالب بشىء؟

العملاق : لن يكون هذا من العدل فى شىء . .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد . .

(صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد)

(العملاق ينصت إلى الصوت باهتمام ودهشة)

العملاق : رباه . . إنى أعرف هذا الصوت .

الفتاة : إنه صوت عدوه .

العملاق : عـدوه!

الفتاة : نعـم .

العملاق : يا لعجائب المصادفات!

الفتاة : هـذا هـو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك القضاء عليه .

العملاق : ها . . ها . . ها .

الفتاة : ماذا يضحكك؟

العملاق : إنه قريبى من ناحية الأم!

الفتاة : قريبك؟!

العملاق : نعم . . يا لذكريات الطفولة السعيدة التى لا تنسى!

الفتى : ظننتك تعرف العدو الذى جئت متطوعا لضربه .

العملاق : ها . . ها . . ها .

الفتى : ألا زلت عند رأيك فى مساعدتك؟

العملاق : ولكنك رفضت مساعدتى!

الفتى : هبنى قبلتها فهل تقدمها؟

العملاق : مع كافة الشروط التى اشترطتها؟

الفتى : لكنك تبغض كلمة «شروط»؟

العملاق : نعم أم لا؟

الفتى : نعم .

العملاق : فى هذه الحال ألعب دور رسول السلام بينكما .

الفتى : رسول السلام؟

العملاق : إكراما لهذه الفتاة الحكيمة ، ولك .

الفتى : وتعهداتك السابقة؟

العملاق : للقربى حقوق ، وإنى لا أوفيها حقها الكامل بموقفى هذا . .

الفتى : ولكنه هو المعتدى؟

العملاق : ولو!

الفتى : وهو فى الأصل قاطع طرق ليس إلا؟

العملاق : ولو!

الفتى : إنه وحش ذميم .

العـــمـــلاق : إنك لا تراه على حقيقته .

الـفـــــتـى : ألم تسمع قهقهته الساخرة؟

العـــمـــلاق : هذه هى طريقته فى المزاح ، يا له من شاب خفيف الروح حقا!

الـفـــــتـى : ولكنى أعـرفه حق المعرفـة ، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .

العـــمـــلاق : صـدقنى إنه لا يكشف عن مكنون كنوزه إلا لمن يحبـه ويفهمه .

الـفـــــتـى : بل لا تلين عريكته إلا لمن يشكمه بالتأديب والضرب .

العـــمـــلاق : أحمد الله على أنك لم تتمكن من ضربه .

الـفـــــتـى : ولـــم؟

العـــمـــلاق : كنت سأهرع إلى نجدته .

الـفـــــتـى : ها أنت تهددنى .

العـــمـــلاق : للقرابة حقوق .

الـفـــــتـى : تجلت الحقيقة ، فما أنت إلا بلطجى كقريبك .

العـــمـــلاق : يا له من تفكير خليق بأن يقود إلى الهلاك .

الـفـــــتـى : لا تضيع وقتى هباء .

العـــمـــلاق : تصرف بوقتك كما تشاء .

الـفـــــتـى : سأسوى حسابى بنفسى .

العـــمـــلاق : أنت تعلم أن هذا الكلام لا معنى له ، وقد وضحت لك أهداف وظيفتى . .

الـفـــــتـى : اللعنـــة!

العـــمـــلاق : إنى صديقك أردت أم لم ترد ، وإنى قريبه قبلت ذلك أم لم تقبله ، وأنا أكبر منكما سنا وأعظم قوة ، فواجبى أن

أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقة دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى الأحياء والأموات أنفسهم .

الفـــتى : كلام طيب ونية لئيمة وفعل غشوم . .

العـمـلاق : (مخاطبا الفتاة) . . تكلمى أنت .

الفـتـاة : لم يعد عندى من جديد أقوله .

الفـــتى : اعترفى بأننى على حق .

الفـتـاة : أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود إلا الحب .

العـمـلاق : كم أنك حكيمة !

الفـــتى : كم أنك أنانية .

الفـتـاة : الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية .

الفـــتى : الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء .

الفـتـاة : ليتك تؤمن بالحب .

الفـــتى : لا حياة للحب بين الوحوش .

الفـتـاة : الحب أقوى قوة فى الوجود بيد أنه سلاح لا يسلس إلا لمن يؤمن به .

الفـــتى : للوحوش لغة أخرى .

الفـتـاة : أخشى أن تنقلب وحشا مثلهم .

الفـــتى : الكرامة أهم من الحياة نفسها .

الفـتـاة : الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت إلا فوق شجرة الحب . .

العـمـلاق : (مخاطبا الفتى) . . من المؤسف أنك تحب الموت أكثر مما تحب فتاتك الجميلة الحكيمة .

الفـــتى : الموت أحب إلىّ من الخضوع لإرادتك .

(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد) .

العـمـلاق : يا له من فتى ضُحوك ، يحب المزاح بقدر ما يحب الحياة الآمنة !

الفتى : إنك لئيم بقدر ما أنت قوى .

العملاق : أمامك عملاقان، ووراءك حياة طيبة ، فارجع إلى الوراء .

الفتى : إلى الأمام .

العملاق : (للفتاة) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فإن الجدل يغريه بالعناد والمكابرة .

(العملاق والفتاة يخرجان من بابين متقاربين فى الناحية اليمنى)..

(الفتى يتفكر قليلا.. ينظر ناحية المصطبة المسربلة فى الظلام).

الفتى : آن لكم أن تنطقوا .

الصدى : تنطقوا .

(الفتى يلوح بيده غاضبا.. يذهب ويجىء متفكرا.. يدخل رجل أعمى يتحسس طريقه بعكاز، يتصنت مائلا برأسه نحو الفتى)

الشحاذ : هل يوجد أحد هنا؟

الفتى : نعم .

الشحاذ : أنت الذى ناديتنى؟

الفتى : كلا .

الشحاذ : لكنه صوتك وأذنى لا تخطئ .

الفتى : خبرنى عما تريد .

الشحاذ : ماذا تريد أنت؟

الفتى : ألست شحاذا؟

الشحاذ : بلى .

الفتى : لعلك تريد إحسانا؟

الشحاذ : رزقت اليوم بما فيه الكفاية، فماذا تريد أنت؟

الفتى : لا أريد شيئا.

الشحاذ : كذب!

الفتى : شحاذ ووقح.

الشحاذ : لم تشتمنى؟

الفتى : كيف تجرؤ على رميى بالكذب؟

الشحاذ : لأنك كذاب!

(الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع أمام عجزه)

الفتى : اذهب قبل أن أكسر رأسك.

الشحاذ : لا أذهب حتى أعرف لماذا ناديتنى؟ وماذا تريد منى؟

الفتى : اذهب أحسن لك.

الشحاذ : ليس قبل أن أعرف ماذا تريد.

الفتى : (ساخرا) وهل عندك ما تعطيه؟

الشحاذ : اطلب ما تشاء.

الفتى : (ضاحكا رغما عنه) إنى مدين لك بأول ضحكة فى يومى.

الشحاذ : هذا قليل من كثير مما عندى.

الفتى : يخيل إلىّ أنك غنى.

الشحاذ : جدا.

الفتى : ماذا تملك؟

الشحاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له.

الفتى : أنت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك، وكان ينبغى أن تجد ملجأ يؤويك.

الشحاذ : التحقت ذات يوم بملجأ.

الفـــــتى : ولم تركته؟

الشـــحــاذ : رُفِتُّ!

الفـــــتى : (ضاحكا) أسمع أول مرة عن رفت الشحاذين!

الشـــحــاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .

الفـــــتى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على أى حال؟

الشـــحــاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على رأس المتمردين!

الفـــــتى : وفضلت أن تهيم على وجهك بلا مأوى؟

الشـــحــاذ : نعـــم .

الفـــــتى : ولكن أليس الملجأ بكل عيوبه أفضل من التسول والتشرد؟

الشـــحــاذ : الحرية أفضل من الأمن نفسه!

الفـــــتى : يخيل إلى أنك شحاذ مثقف!!

الشـــحــاذ : أعرف أشياء كثيرة .

الفـــــتى : مثـل مـاذا؟

الشـــحــاذ : أن أرى بأذنى .

الفـــــتى : ومـاذا أيضـا؟

الشـــحــاذ : وأن أسير على يدى!

الفـــــتى : أنت ترى بأذنيك وتسير على يديك!

الشـــحــاذ : وصادفنى فى تجوالى بعض الرسميين فقادونى مرة أخرى إلى الملجأ .

الفـــــتى : إلى الوحش؟

الشـــحــاذ : كلا، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم . .

الفـــــتى : وكيف تركته بعد ذلك؟

الشـــحــاذ : هـربت!

الفتى : غير معقول .

الشحاذ : كان عادلا وأمينا ورحيما ولكنه مغرم بالنظام لدرجة الهوس، ويطبقه بدقة فلكية، ولا يقبل مراجعة . .

الفتى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة . .

الشحاذ : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و«ولا مؤاخذة» بميعاد والنوم بميعاد، فكدت أن أجن . .

الفتى : وتمردت مرة أخرى؟

الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على التمرد على رجل عادل أمين رحيم .

الفتى : كان عليك أن ترضى . .

الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه!

الفتى : التمرد ليس خيرا فى ذاته .

الشحاذ : ولكنه خير من أن تكون حجرا .

الفتى : وهكذا هربت؟

الشحاذ : هكذا هربت .

الفتى : إلى التراب والحشرات واللقمة العفنة!

الشحاذ : إلى سعادتى الحقيقية .

الفتى : حديثك مثير وعجيب .

الشحاذ : فتك بعافية .

(الشحاذ يتحرك)

الفتى : انتظر . .

(الشحاذ يستمر فى سيره)

الفتى : ألا تريد أن تسمعنى؟

(يمضى الشحاذ حتى يختفى)

(يعود العملاق.. تعود الفتاة)

الفتاة : قلبى طيلة الوقت معك .

العملاق : لعلك اقتنعت برأيى .

الفتى : أيها السيد الذى يحب الشر ، ويحب الخير أحيانا لحساب الشر .
أيتها السيدة التى تحب الخير ، وتحب الشر أحيانا لحساب الخير .
إليكما رأيى النهائى .
سأصون كرامتى حتى الموت .

الفتاة : (تخفى وجهها بين يديها وستظل كذلك إلى ما قبل النهاية)

العملاق : شعار الوباء الذى فتك بملايين الحمقى . .

الفتى : ينابيع الحياة الحقة مهددة بالجفاف ، أشواق القلب الخالدة يساومها الضياع ، سحقا للوحشة التى تذبل فيها معانى الأشياء ، إنى ذاهب . .
(القهقهة الساخرة ترتفع)

(الفتى يتحول نحوها فى تصميم ويتقدم. العملاق يثب نحوه. الفتى يدفعه. العملاق يقبض على كتفيه ويدفع به نحو المصطبة. الفتى يندفع حتى يغيب فى الظلمة، الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار منقلبا على وجهه ثم يقف مترنحا.
وكأن حركته أيقظت الرقود وشدتهم من رقادهم. يتدحرج أولهم حتى يصل إلى مقدم المسرح وينهض فى تثاقل كمن يقوم من نوم. يتبعه آخر مكررا نفس الحركة. ويتتابع كثيرون. رجالا ونساء مكررين نفس الحركات حتى يكتظ بهم المسرح.

العملاق يتزحـزح رويدا رويدا حتى يغيب فى المدخل المفضى
إلى القهقهة الساخرة.
تتم يقظة الجميع. تنتصب قامتهم. يرتسم العزم فى وجوههم.
يجرى ذلك فى تمـثيل صامت. يسيـر الفتى نحو ناحيـة عدوه
وهو يضرب الأرض ضربات مسموعة منتظمة. يمضون خلفه
فى عزم صلب حتى يختفوا جميعا. ضربات أقدامهم ما زالت
تترامى)

الفـــــتـــــاة : (ترفع يديها عن وجههـا.. تصغى بحزن.. وترمى بنظرها إلى
بعيد).

التـــــركـــــة

(حجرة انتظار فى بيت ولى الله)

(حجرة ذات طابع عتيق. فى الصدر كونصول. باب إلى اليمين وآخر إلى اليسار، تصطف بجوانبها كنبات تفصل بينها كراسى. ثمة حصُر مزركشة معلقة على الجدران فى مواضع محددة)

(يدخل فتى وفتاة. يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها لأول مرة، ثم يقفان فى الوسط)

* * *

الفـــــتى : البيت صامت كأنه قبر.

الفـــــتاة : صفق لتشعرهم بوجودك.

الفـــــتى : إنه يكره ذلك، مازلت أذكر طبعه.

(صمت قصير)

الفـــــتاة : بيتكم قديم، والحوارى المفضية إليه شقت فيما يبدو من عهد نوح.

الفـــــتى : لا تنسى أصلك وأنت تتكلمين عن الحوارى كسائحة.

الفـــــتاة : تأدب، المفروض أننا مهذبون.

(صمت قصير)

الفـــــتى : لِمَ دعانى يا ترى؟

الفتاة : هو أبوك مهما يكن من أمر .

الفتى : ظننت أن الماضى لن يعود .

الفتاة : الحاضر يمضى والماضى يعود، ولا ينبغى لرجل مذنب أن ييأس فأى ذنب يغفر ما دام المذنب رجلا .

الفتى : ألم تحلمى يوما بأن يدعوك أبوك ليغفر لك؟

الفتاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى .

(الفتى يبتسم من خلال ثوانٍ من الصمت)

الفتى : ترى لماذا دعانى بعد ذلكٍ الفراق الطويل؟

الفتاة : إنك وحيده وللقلب حنينه، ومن يدرى فلعلك . . .

الفتى : لعلى؟

الفتاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .

الفتى : طردنى يافعا ولا مليم فى جيبى .

الفتاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين؟

الفتى : تشردت وجعت ولولا . . .

الفتاة : ولولا فجورك لمت جوعا .

الفتى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .

الفتاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .

الفتى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه إليك .

الفتاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .

الفتى : فلنتأدب ولو ساعة من الزمان .

الفتاة : حتى تضحك على الرجل .

الفتى : العبى دور الزوجة بإتقان .

الفتاة : كان عليك أن تجىء وحدك وتتركنى فى سلام .

الفتى : لئن أتقدم إليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور وحدى كرجل أعزب محوط بشبهات العزّاب .

الفــــتــــاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .

الـفــــتـى : لو صح ذلك لما دعانى بإعلان فى الجرائد .

الفــــتــــاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب خمارة وأنك مغامر؟!

الـفــــتـى : على أى حال فإنه لم يدخل السجن فهو خير من أبيك المرحوم .

الفــــتــــاة : تدفعنى إلى استعمال حذائى فى هذه الحجرة العتيقة المباركة .

الـفــــتـى : استعمليه، وسأرد بكسر رأسك، ونقدم بذلك الدليل على صدق علاقتنا الزوجية .

(صــمت)

الفــــتــــاة : آه لو يتحقق حلم الثروة!

الـفــــتـى : وتتحول الخمارة الصغيرة إلى ملهى ليلى عالمى .

الفــــتــــاة : والمغامر الهاوى إلى قواد دولى!

(يكور لها قبضة يده مهددا فتتراجع خطوة وهى تضحك دون إحداث صوت)

الفــــتــــاة : الحق أن أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .

الـفــــتـى : أجـــل .

الفــــتــــاة : ما سألنا أحدا عن بيته إلا ولهج بالثناء عليه .

الـفــــتـى : أناس هذه الأحياء طيبون!

الفــــتــــاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .

الـفــــتـى : إنهم يرون فى الحاوى معجزة .

الفــــتــــاة : وينوهون بالطمأنينة التى يزرعها فى القلب .

الـفــــتـى : جميع هؤلاء يجيئون إلى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .

الفتاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو أقيم مما يعطون .

الفتى : إن قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .

الفتاة : وأنت ، ألا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى؟

الفتى : كفى عن الثرثرة، الرجل مليونير ما فى ذلك من شك .

الفتاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .

الفتى : هنا . . هنا ثروة طائلة!

الفتاة : هنا؟

الفتى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .

الفتاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .

الفتى : ولكن ثمة خطرا أفظع من الضرائب .

الفتاة : ماذا تعنى؟

الفتى : أعنى من يقومون بخدمته .

الفتاة : من يخدم أولياء الله؟

الفتى : الشياطين!

الفتاة : هل تعنى ما تقول؟

الفتى : أعنى شياطين الأرض .

الفتاة : من حسن الحظ أنك شيطان وبوسعك أن تتعامل مع الشياطين، هل لك امرأة أب؟

الفتى : ماتت من زمن بعيد .

الفتاة : أهو طاعن فى السن؟

الفتى : جدا .

الفتاة : هذا يبشر بالخير!

الفتى : لا تحلمى، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله .
الفتاة : لم تعد أعصابى تتحمل الصبر أكثر من ذلك، عليك أن تقابله .
الفتى : بل علينا أن ننتظر، إنى أعرف طبعه .
(صمت. يمشيان ذهابا وجيئة)
(يفتح الباب إلى اليسار. يدخل غلام حاملا مبخرة. غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا. يدور فى الحجرة حارقا البخور دون أن يلتفت إلى الفتى والفتاة ودون أن ينبس بكلمة. يقف الفتى والفتاة جنبا لجنب وهما يتابعانه بعينيهما)
الفتى: يا غلام.
(الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتهما)
: هل أنت من يقوم على خدمة الشيخ؟
الغلام : الناس جميعا يقومون على خدمته .
الفتى : وماذا تفعل أنت؟
الغلام : إنى خادم البيت .
الفتى : أنا ابن مولاك .
الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .
الفتى : وكيف عرفتنى؟
(الغلام لا يجيب)
: لمَ لا تجيب؟
الغلام : لَقد أجبت يا سيدى .
الفتى : (باسما) طيب . . لقد جئت ملبيا دعوته .
الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .
الفتى : ألا تدرى متى يدعونى إلى لقائه؟
الغلام : لقد كلفنى مولاى أن أخبرك . . .

الفتى : (مقاطعا) إنى أسألك متى يلقانى؟

الغلام : لقد ذهب.

الفتى : أين؟ . . ومتى؟

الغلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر.

الفتى : ومتى يعود؟

الغلام : لن يعود.

الفتى : أنت تهذى يا غلام.

الغلام : سامحك الله يا سيدى.

الفتى : ولمَ لن يعود؟

الغلام : (محنيا رأسه من الحزن) لقد ذهب إلى لقاء ربه.

الفتاة : (جزعة) ماذا تعنى يا شاطر؟

الغلام : قال إنه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب.

الفتى : ولمَ لم يبق فى فراشه؟

الغلام : نذر من قديم أن يلقى ربه فى الخلاء.

الفتى : ولكنك تعرف مكانه؟

الغلام : كلا.

الفتى : ولماذا دعانى؟

الغلام : دعاك لتعود إلى بيتك القديم.

الفتى : وهل حملك رسالة إلىّ؟

الغلام : قال : دنا الأجل، آن لى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث التركة.

الفتى : التركة؟!

الغلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب إلى رشدك.

الفتى : ليرحمه الله . . أعنى ليمد الله فى عمره.

الفتاة : وأين التركة يا شاطر؟

الغلام : قال سيجيء غارقا فى الضلال صاحبا معه قرينة سوء .

(صمت مع تبادل نظرات)

الفتاة : هذا يعنى أنها أيضا فى حاجة إلى نصيب من تركته .

الفتى : ومتى تسلمنا التركة؟

(الغلام يشير إلى حصيرة معلقة على الحائط إلى يمين الكونصول)

الغلام : التركة فى خزانة وراء الحصيرة . . هاك المفتاح يا سيدى .

(يتناول الفتى المفتاح ويمضى إلى الحصيرة. يهم الغلام بمغادرة الحجرة. الفتاة تهرع إليه فتقبض على يده)

الفتاة : ابق حتى نتسلم التركة .

(الفتى يزيح الحصيرة. يفتح الخزانة. يأخذ فى إخراج كتب صفراء. ويقرأ بعض العناوين وهو يخرجها ويرصها فوق الكنبة)

الفتى : الحق . . مدارج الروح . . سلام القلب .

(يستمر فى إخراج الكتب التى تتراكم فوق الكنبة ويتهاوى بعضها على الأرض)

الفتى : أين التركة؟

الفتاة : (للغلام) أنت سرقتها !

الغلام : سامحك الله .

الفتى : (مواصلا إخراج الكتب) أين التركة؟

الغلام : لا علم لى بما فى الخزانة .

الفتى : كان المفتاح معك .

الغلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت .

(الفتى يواصل إخراج الكتب ثم يصيح بفرح جنونى)

الفـــــتى : التـــركـــة!

(يخرج رزما من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)

الفـــتـــاة : ثروة طائلة.

الفـــــتى : ما أكرمك يا أبى وما أبرك!

الغـــــلام : إنه يوصيك بألا تنفق منها مليما واحدا قبل أن تستوعب ما فى هذه الكتب.

الفـــتـــاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود.

الغـــــلام : تلك كانت وصيته.

الفـــــتى : شكرا يا غلام، يمكنك أن تنصرف إذا شئت.

الغـــــلام : والتركـــة؟

الفـــــتى : هل ثمة تركة أخرى؟

الغـــــلام : (مشيرا إلى الكتب) إنما أعنى هذه التركة.

الفـــــتى : ستنفذ الوصية بأمانة.

(الفتاة فى سيرها تدوس على بعض الكتب)

الغـــــلام : ارفعـى قدمـك.

الفـــتـــاة : تفضل بسلام وكف عن إلقاء الأوامر.

الغـــــلام : فلأعيدها إلى الخزانة إذا لم تكن بكما من حاجة إليها.

الفـــــتى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين.

(الغلام يعيـد الكتب إلى الخزانة. يحملها باحـترام وهو يبكى صامتا. ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة)

الغـــــلام : إنى ذاهـــب.

الفـــــتى : مصحوبا بالسلامة.

(ثم مستدركا)

: انتظر ، أنت غلام طيب ، تحب أن تشتغل عندى؟

الـغـــــــلام : أى شغلة يا سيدى؟

الـفـــــــتى : أدربك لتعمل جرسونا ماهرا .

الـغـــــــلام : فى مقهـــى .

الـفـــــــتى : خمارة، وهى أربح للجرسون من عشر مقاه .

الـغـــــــلام : إنى ذاهب يا سيدى .

الفـــتـــــاة : مع الســـلامة .

(الغلام يذهب)

الفـــتـــــاة : ألا ترى أن نفتشه قبل أن يرحل؟

الـفـــــــتى : لو كان لصا لما أخبرنا عن التركة .

الفـــتـــــاة : علينا أن نجد حقيبة لنضع فيها النقود .

الـفـــــــتى : سنجد حقيبة أو بقجة فى هذا البيت العتيق .

الفـــتـــــاة : وعليك أن تفكر فى استغلاله .

الـفـــــــتى : الأفضل بيعه، إنه قديم حقا ولكنه يدر ذهبا لو بيع أرضا .

الفـــتـــــاة : واشتر بالثمن عمارة، ولنبع الخمارة أيضا لنعيش أحراراً كأبناء الذوات .

الـفـــــــتى : أفكار طائشـــة، ســـوف أنشئ ملهى ليليـــا يضـــاهى الأوبرج . .

(يظهر رجل عند الباب الأيمن. يلبس جلبـابا ومعطفا وهو ذو قامة ضخـمة، وطابع رسمى كالمخبرين. يتـقدم خطوات حتى يصيـر على مبعـدة قصيرة مـن الفتى والفتاة الـلذين يطالعانه بدهشة. يجيل فى المكان نظرة فاحـصة، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر إلى الفتى والفتاة)

الـفـــــــتى : من حضرتك؟

الرجل : هل أنت ابن ولى الله؟

الفتى : نعم ولكن من حضرتك؟

الرجل : مخبر من قوات الشرطة .

الفتى : أكنت على موعد مع الشيخ؟

الرجل : الشيخ يرقد الآن إلى جوار ربه .

الفتى : كيف عرفت ذلك؟

الرجل : أسلم الروح فى الخلاء ، فيما وراء مسكنى ، فى الموضع الذى كان يتعبد فيه .

الفتى : وأين جثمانه؟

الرجل : فى المثوى الذى سنمضى إليه جميعا ، لم يعد فى حاجة إلى عنايتك ، ويبدو أنك مشغول عنه بما هو أهم عندك .

الفتى : وماذا تريد حضرتك؟

الرجل : جئت لأذهب بك إلى القسم .

الفتى : لماذا؟

الرجل : أنت متهم بقتل أبيك .

الفتى : دعابة ولكنها ثقيلة .

الفتاة : إنه لم يره منذ عمر مديد .

الرجل : أنت متهم بقتل أبيك .

الفتى : كف عن ترديد هذا السخف .

الرجل : شهدته وهو يحتضر ، وأنا أعرفه منذ قديم ، صرح لى قبل صعود روحه بأنك قتلته!

الفتى : محض افتراء وهذيان .

الرجل : الميت لا يكذب ، وهو ولى من أولياء الله .

الفتى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .

الـرجـل : قال «إنى أموت مطعونا بيد ابنى الوحيد» .

الفـتـاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .

الفـتـى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة؟

الـرجـل : لنترك ذلك إلى التحقيق .

الفـتـى : أى تحقيق يا رجل؟ إنى لم أره منذ عشرات السنين .

الـرجـل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن تراه؟

الفـتـى : المال ميراثى الشرعى .

الـرجـل : هل علمت بوفاته؟

الفـتـى : كـلا .

الـرجـل : فكيف تمد يدك إلى ماله وهو حى فى ظنك؟

الفـتـى : وهبه لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .

الـرجـل : أين غـلامه؟

الفـتـاة : ذهـب .

الـرجـل : استدعه ليدلى بأقواله .

الفـتـى : لا أدرى أين ذهب .

الـرجـل : هلم معى إلى القسم .

الفـتـى : لا جريمة هناك ألبتة .

الـرجـل : قتلت أباك وسرقت الدولة .

الفـتـى : الـدولة؟

الـرجـل : ألا تعلم أنه لا يجوز التصـرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه؟

الفـتـى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل أن تأخذ الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد!

الـرجـل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .

الفتى : أؤكد لك أن التحقيق سيسفر عن براءتى .

الرجل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .

الفتاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه؟

الفتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة!

الرجل : إنك رجل شرير .

الفتى : أنت متحامل وسيئ الظن .

الرجل : كلفت بمهام كثيرة فى مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .

الفتى : أنا تاجر شريف .

الرجل : هلم معى ولا تدفعنى إلى الضحك فى بيت ميت .

الفتاة : كن لطيفا ودعه فى حاله .

الرجل : إنك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة!

الفتاة : أنا؟!

الرجل : أنت شريكته فى الجريمتين .

الفتى : أنا برىء **(يتناول رزمة من النقود ويضعها فى يد الرجل)** وهذا المال مالى .

الرجل : أترشونى يا رجل مرتكبا بذلك جريمة ثالثة؟

الفتى : معاذ الله ، ولكننى أؤدى حق الدولة علىّ .

الرجل : حق الدولة يمثل ربع التركة .

(الفتى يعطيه رزمة أخرى)

الفتى : إليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار المستحق .

الرجل : والقضية وتكاليفها؟ . . والتحفظ على المال وتعرضه للضياع؟ .

الفتى : أعتقد أننى أعطيت ما فيه الكفاية .

الـــرجـــل : أتعاب المحاماة؟ . . الرسوم؟ . . سجنك؟ . . تعرض عملك الذى ترتزق منه للخسران؟

(الفتى يعطيه رزمة ثالثة)

الـفـــتـى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .

الـــرجـــل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك . .

(صمت وتبادل نظرات حائرة)

الـــرجـــل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد؟

الفـــتـــاة : إنى زوجتـــه .

الـــرجـــل : قلت إننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى الضحك على ذقنى .

الـفـــتـى : لقد أعطيت فدية لكلينا .

الـــرجـــل : بل فدية لك وحدك!

الـفـــتـى : ماذا تريـــد؟

الـــرجـــل : الأتعاب الخاصة بالسيدة .

(يعطيه رزمة رابعة)

الـفـــتـى : هاك رزمة رابعة .

الـــرجـــل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .

الـفـــتـى : أتريد أن تستولى على نصف التركة؟

الـــرجـــل : الأمر يتوقف على مدى تقديرك لحريتك .

(يقطب الفتى فى قهر ثم يسلمه رزمة جديدة)

الـفـــتـى : تفضل مصحوبا بالسلامة .

(الرجل يدير ظهره ليذهب. الفتى يسل من ملابسه مطواة فيفتح نصلها ويهجم على الرجل. الرجل حذر وكان يتوقع حركة غادرة فيتفادى من الطعنة ويقبض على معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض.)

يجيء بكرسى فيجلسه عليه ويخرج من ملابسه حبلا ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من اللكمة، وهو يهدد الفتاة بأنها إذا ندت عنها حركة أو صوت فسوف يساقان إلى القسم. ثم يجيء بكرسى آخر ويأمر الفتاة بالجلوس مهددا ويكبلها بحبل آخر. يتجه نحو النقود على الخوان فيستولى عليها ثم يلفها فى الحصيرة. يلقى عليهما نظرة ثم يذهب).

(الفتى يفيق من أثر اللكمة. ينظر فيما حوله. يتذكر ما وقع. يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا)

الفـــتى : ذهـب؟

الفـــتاة : بعد أن استولى على النقود كلها . . .

الفـــتى : (غاضبا) لِمَ لَم تصوتى؟ . . كان يجب أن تصوتى بأعلى صوتك .

الفـــتاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا .

(يحاول تخليص نفسه مرة ثانية دون فائدة)

الفـــتى : سأقتله ولو اختفى فى بلاد الواق .

الفـــتاة : تهورك هو المسئول عما حل بنا ، لِمَ حاولت الهجوم عليه؟

الفـــتى : ليس من مبادئى أن أسمح لإنسان باستغفالى .

الفـــتاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .

الفـــتى : سيكون التنكيل به هو هدفى الأول فى الحياة .

الفـــتاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .

الفـــتى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .

الفـــتاة : ولا شاهد أو دليل لدينا عما حصل .

الفـــتى : المهم الآن أن نتحرر من قيدنا .

الفتاة : نحن مقيدان فى بيت مغلق النوافذ والأبواب .
الفتى : ويعز على أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .
الفتاة : هى الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد مليما من ثروتك .
الفتى : لم يعبث بى أحد من قبل .
الفتاة : ها قد عبث بك كأنك لا شىء .
الفتى : أين المفر؟ . . إنه يعمل فى دائرة هذا القسم .
الفتاة : إذا كان حقا مخبرا .
الفتى : ولمَ لا يكون مخبرا؟
الفتاة : كاَن يجب أن تطالبه بإبراز بطاقته الشخصية .
الفتى : أعترف بأننى لم أحسن التفكير ولا التدبير .
الفتاة : أنت مغرور ، تتوهم أنك إله ثم تقع كالرطل .
الفتى : كيف أصدق ما حصل؟
الفتاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .
الفتى : هو مجرم محترف على أى حال .
الفتاة : ويخيل إلىّ . . ربما لم يكن إنسانا أيضا!
الفتى : ماذا تعنين؟
الفتاة : أعنى أننا فى بيت ولى : وهو وكر للأرواح والشياطين .
الفتى : أنت حمقاء ، لا يسرق النقود إلا إنسان عاقل .
الفتاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .
الفتى : جاء كما يجىء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .
الفتاة : أنت لا تحسن الرؤيا عند الانفعال .
الفتى : أنت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .

الفتــــاة : لنفكر فى حالنا ، نحن مقيدان بطريقة جهنمية ، البيت محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا أحد، الجو هنا لا أرتاح إليه . فثمة روح ميت لعله لم يدفن بعد، وثمة أرواح كثيرة لا علم لنا بها ولا سيطرة لنا عليها .

الفتــــى : يا مجنونة، يا مخرفة، ما هذا الهذيان؟

الفتــــاة : أنا خائفة .

الفتــــى : عهدتك دائما عربيدة ساخرة فكيف خانتك جرأتك الداعرة؟

الفتــــاة : إنه بيت مهجور ألا تدرك ذلك؟ جثة أبيك الآن فى المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول، ولم ينبس المخبر - إذا كان حقا مخبرا - بكلمة ، وسيظل البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير ، ولكنه يكفى لقتلنا جوعا وعطشا ، وهناك الأرواح .

الفتــــى : الأرواح!

الفتــــاة : أنا خائفة . .

الفتــــى : كيف قيدنا بهذا الإحكام؟ . . لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل .

الفتــــاة : وقد يرجع للإجهاز علينا .

الفتــــى : فليرجع .

(صمت تتخلله محاولة منه يائسة لفك قيده ولكن دون جدوى)

الفتــــاة : كأننا فى حلم .

الفتــــى : ولكنه أسخف من الحقيقة .

الفــــتــــاة : أحيانا يكاد يغلبنى الضحك .

الـفــــــتـى : اضحكى إن استطعت .

الفــــتــــاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء أخف وطأة من هذا السجن فى بيت أبيك .

الـفــــــتـى : ليرحمه الله .

الفــــتــــاة : ادعه أن ينقذنا .

الـفــــــتـى : (ساخرا) أبانا الذى فى المشرحة . . أنقذ ابنك الوحيد .

الفــــتــــاة : ماذا كان رأيك فى أبيك؟

الـفــــــتـى : كان دجالا كوحيده .

الفــــتــــاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .

الـفــــــتـى : حارة مخبولة مسطولة .

الفــــتــــاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقية .

الـفــــــتـى : ردى إلىّ ثروتى وأنا أغرقك فى بحر من الطمأنينة .

الفــــتــــاة : لم نكن فقراء، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .

الـفــــــتـى : وما سبيل الطمأنينة إلى خمارة هى ملتقى للمغامرين، واقعة بين عشرات من الخمارات المنافسة، فى حى مكتظ بالأعداء، ووراء ذلك كله إحساس ثابت بالمطاردة؟! . . كنا سنرتفع بالثروة فوق ذلك كله .

(دقيقة صمت)

الفــــتــــاة : سيجىء الظلام ونحن مكبلون بالحبال فى هذا البيت المسكون .

الـفــــــتـى : لا فرق بين النور والظلام .

الفــــتــــاة : كيف نخرج من هذا المأزق؟

الـفــــــتـى : اصرخى . . صوتك أحد من الرصاصة .

الفــــتــــاة : لن يسمعنا أحد .

الـفـــــتـى : علينا أن ننتظر حتى يجيء إنقاذ من حيث لا ننتظر أو يجيء الموت .

(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)

الفــــتــــاة : لِمَ دعاك أبوك؟

الـفـــــتـى : مات سره معه .

الفــــتــــاة : ماذا ظننت؟

الـفـــــتـى : قلت لعله حنين قلب عجوز .

الفــــتــــاة : لم تقل كل الحق .

الـفـــــتـى : وحلمت بثروة!

الفــــتــــاة : وقد وهبك ثروة .

الـفـــــتـى : وضاعت .

الفــــتــــاة : ولكنه أراد أن ترث عمله .

الـفـــــتـى : فكرة سخيفة .

الفــــتــــاة : كان يجب أن تجاريه ولو فى الظاهر .

الـفـــــتـى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .

الفــــتــــاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .

الـفـــــتـى : أراهن على أنك فقدت عقلك .

الفــــتــــاة : هل حاول أن يلقنك سره وأنت صغير؟

الـفـــــتـى : نعـــم .

الفــــتــــاة : ولكنك عصيته؟

الـفـــــتـى : لو أطعته ما صادفتنى فى طريقك أبدا .

الفــــتــــاة : (تضحك.. ولا تنبس)

الـفـــــتـى : حاول معى كثيرا، لم أفهم كلمة من كلماته، واتخذت من سلوكى المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى . . .

الفتاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة .

الفتى : ورثت عنه الدجل لأستثمره فى مجاله الطبيعى .

الفتاة : لم أسمع أحدا يثنى عليه مثلك .

الفتى : إنى أعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .

الفتاة : رأسى يدور .

الفتى : الحياة الحقة نقيض الراحة ، والرجوع إلى الخرافة تفكير مضحك ، لعله ينقصنا شىء ولكن لابد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدين؟

الفتاة : أن أخرج من هنا سالمة .

الفتى : سنخرج عاجلا أو آجلا .

الفتاة : عما قليل سيجىء الظلام .

الفتى : فليجىء الظلام .

الفتاة : أنت المسئول عما وقع .

الفتى : أنت جبانة .

الفتاة : وأنت وغد .

الفتى : فلنتسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .

الفتاة : أو حتى يحل بنا الموت .

الفتى : أو حتى يحل بنا الموت .

(الفتاة تبكى من القهر. وهو يضحك ضحكة عصبية).

الفتاة : إنه يؤدبك .

الفتى : من؟

الفتاة : أبوك .

الفتى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .

الفتاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .

الفتى : بين حدث وحدث لا يوجد شيء .

الفتاة : وها قد وقعنا فى الفخ .

الفتى : فخ لم ينصبه أحد ولكنا وقعنا بسوء تصرفنا .

(النور ينخفض منذرا باقتراب المساء. لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)

الفتاة : بدأ الليل يهبط . .

الفتى : ليس فى وسع شيء أن يمنعه .

الفتاة : كان فى وسعنا على الأقل . . .

الفتى : **(مقاطعا فى تهكم)** كان يا ما كان . .

الفتاة : أكره الظلام، أكره الأغلال، وسوف أجن .

الفتى : جربى الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أى حال .

الفتاة : يا لك من وغد قاس كأنك لم تنعم عمرا بحبى !

الفتى : عودى إلى توازنك لنتفاهم كما تفاهمنا دائما .

الفتاة : حتى حبك ما هو إلا حب مغامر، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .

الفتى : لم يكن ثمة فردوس فى الماضى، ولن يكون ثمة فردوس فى المستقبل، علينا أن نتقبل الحياة كما هى .

الفتاة : الظلام يتمادى فى الاقتراب .

الفتى : فليأت الظلام .

الفتاة : إنك تدارى خوفك باللعب بالألفاظ .

الفتى : اللعنة . . فى هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط فى الخمارة .

الفتاة : يا لها من نهاية رخيصة !

(يستمر انخفاض النور حتى يحتوى الظلام الحجرة ويختفى الفتى والفتاة. الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت)

الفتاة : ألا تحفظ تلاوة ندفع بها الشياطين بعيدا؟

الفتى : لا أحفظ شيئا .

الفتاة : إنى خائفة .

الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف .

الفتاة : ولكنى خائفة .

الفتى : أنا قريب منك .

الفتاة : ولكنى لا أراك .

الفتى : فلنغن أغنية بذيئة لنهزأ بالظلام .

(الفتاة تصرخ. صمت يتخلله بكاء خافت. ضوء يتسرب إلى الحجرة آتيا من شراعة الباب إلى اليسار)

الفتاة : ألا ترى؟ . . نور فى الداخل، يوجد شخص، البيت مسكون!

الفتى : (بصوت مرتفع) من بالداخل؟

الفتاة : مفاصلى سابت .

الفتى : من بالداخل؟

(يفتح الباب. يظهر الغلام وبيده مصباح. يتقدم ثم يتوقف عندما يرى الفتى والفتاة!

: أنت! . . أكنت بالداخل طيلة الوقت؟

الغلام : ظننت أنكما ذهبتما .

الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال؟

الغلام : ولم فعلتما ذلك بنفسيكما؟

الفتاة : هل تسخر منا يا غلام؟!

الفـــــتى : أكنت موجودا بالداخل؟ . . أعنى ألم تغادر البيت؟
الغـــــلام : رجعت مع المساء لأشعل المصابيح .
الفـــــتى : لمـــاذا؟
الغـــــلام : إكراما لروح الشيخ يوم وفاته .
الفـــــتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا .

(الغلام يمضى إلى الكونصول فيضع المصباح ويتجه راجعا نحو الباب)

: يا غـــلام .

(الغلام يتوقف)

: تعـــال .

الغـــــلام : ماذا تريد يا سيدى؟
الفـــــتى : كيف لا تدرى ماذا نريد؟
الغـــــلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة إذا أهملت تركته .
الفـــــتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .
الغـــــلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاى أمرا .
الفـــــتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول ، إنك غلام طيب ونبيل .
الفـــــتى : وأنا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذا المأزق .
الغـــــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .
الفـــــتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .
الغـــــلام : سامحك الله .
الفـــــتاة : لص أثيم نهب ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .
الغـــــلام : علىّ أن أذهب .

الفـــــتى : لا تغضب مولاك فى قبره .

الغـــــلام : مولاى ارتفع إلى السماء .

الفـــــتى : لا تغضب مولاك فى سمائه .

الغـــــلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .

الفـــــتى : أتعتقد أنه يرضيه أن نترك هكذا بدون مساعدة؟

الغـــــلام : لا أدرى .

الفـــــتى : أؤكد لك أن ذلك سيحزنه غاية الحزن .

الغـــــلام : لا أدرى .

الفـــــتى : أقدم ولا تخف .

الغـــــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

الفـــــتاة : من أجل خاطرى، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .

الغـــــلام : إنى ذاهـــب .

الفـــــتى : انتظر، . . ألا ترى، إنى أريد تركة أبى الحقيقية .

الغـــــلام : أنت تعلم بمكانها .

الفـــــتى : ولكنى لا أستطيع الانتقال إليها .

الغـــــلام : سبق أن نبذتها .

الفـــــتى : أنا نادم على ذلك!

الغـــــلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

(الغلام يستأنف السير)

الفـــــتاة : على الأقل بلغ الأمر إلى الشرطة .

(الغلام يواصل السير دون مبالاة)

الفـــــتى : هل ستبلغ الشرطة؟

الغـــــلام : كـــلا .

(الغلام يختفى ثم يغلق الباب)

الفتى : ملعون ابن معلون . .

(الفتاة تعاود البكاء)

الفتى : كفى . . كفى وإلا . .

الفتاة : قضى علينا بالهلاك .

الفتى : لقد رجع إلغلام، وربما رجع مرة أخرى، ولعل غيره يجيء .

(صمت قصير ثم يواصل حديثه)

الفتى : يخيل إلىّ أن العجوز استدرجنى إلى بيته لينكل بى . الطيبة كانت حرفته لا طبيعته، وآى ذلك أننى منحدر من صلبه، غير معقول أن تكون أمى مسئولة وحدها عن دمى العربيد، ولبيت نداءه وأنا فى غفلة من مكره فتتابعت الأخطاء .

الفتاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون!

الفتى : مسكون بأرواح أسرتنا العريقة فى الشر .

الفتاة : ليس الغلام غلاما ولا المخبر مخبرا . . وسوف تقع كوارث ليست فى الحسبان .

الفتى : فلتقع الكوارث بغير حساب .

(صمت.. ثم تنزل الستار)

* * *

ترفع الستار . ضوء النهار يملأ الغرفة رغم أن المصباح مازال مشتعلا. الفتى والفتاة نائمان ورأساهما مطروحان على مسندى الكرسيين.

يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو يغلق.

يدخل رجل ضخم أنيق الملبس ولكنا نعرف فيه المخبر فى

ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط من الشرطة.

الفتى والفتاة يستيقظان. يبدو عليهما الإرهاق. ينظران إلى القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة الشخص الفخم.

الضابط : من أنتما؟ . . من فعل بكما ذلك؟

الفتى : من حضرتك؟

الضابط : ضابط النقطة.

الفتاة : أنقذنا من فضلك.

(الضابط يحل وثاقهما. يقفان وهما يتأوهان. يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما)

الضابط : من أنتما؟

الفتى : أنا ابن صاحب البيت أعنى ولى الله المتوفى.

الفتاة : وأنا الزوجة.

الضابط : ماذا حدث لكما؟

الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب.

الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل.

الفتى : هل أبلغك الغلام عنا؟

الضابط : أى غلام؟

الفتى : غلام الشيخ المتوفى.

الضابط : كلا، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال ولا وريث له!

(الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فتلوح فى وجهيهما الدهشة والانزعاج. يتبادلان النظرات ثم يحدقان فى المهندس بذهول)

الضابط : مالك؟

المهندس : لماذا تنظران إلىَّ هكذا؟

الفتى : أنت!

الفتاة : هو . . جسمه وصوته ووجهه .

المهندس : ماذا تعنيان؟

الفتى : أنت دون غيرك ، أيها المجرم!

(ينقض عليه ولكن الضابط والسكرتير يحولان بينهما. المهندس يتراجع دهشا مستنكرا)

الضابط : أى مجرم تعنى؟ . . المهندس أكبر مقاول فى الجمهورية .

الفتى : هو المخبر . . هو اللص . . هو الذى سرقنا . .

(المهندس والسكرتير والضابط يضحكون)

الضابط : اضبط لسانك .

السكرتير : يا لها من نكتة!

الفتاة : هو المخبر .

الفتى : هو المجرم

الضابط : كفى هذيانا!

المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضيا ليلتهما فى هذا البيت .

الفتى : لا تحاول خداعى .

الضابط : إنك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه أجل الخدمات فى ميدان الهندسة .

(الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة)

الفتى : خبرنى يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه؟

الضابط : كلا على وجه اليقين .

المهندس : تمالك نفسك من فضلك، لقد عانيت ليلة غاية فى السوء، وغير بعيد أن المجرم الذى اعتدى عليكما يماثلنى فى بعض الصفات والخصائص، وأنت نفسك تماثل المرحوم أباك فى بعض ملامحه رغم تناقض منهجكما فى الحياة فيما يبدو لى، وسوف يقبض الضابط على المجرم ويرد إليك مالك، هل فقدت مالا كثيرا؟

الفتى : أنت أدرى بمقداره.

الضابط : رجع إلى الهلوسة مرة أخرى!

الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذى اعتدى علينا.

الضابط : كف عن هذيانك، من صالحك أن تكف عنه.

السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر فى نفوس الشباب، فإذا تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقده الدفين آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوى النشاط الناجح من الرجال الممتازين فى المجتمع.

الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان؟

الفتى : إنى ضحية وقد حللت بنفسك وثاقى.

الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد.

المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لأتمكن من إنجاز مهمتى.

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك؟

المهندس : إنى أرغب فى شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه مصنعا للأجهزة الإلكترونية.

الفتـــاة : ألم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته؟

المهنـدس : حاولت وعرضت عليه بيتا جديدا فى مطلع الحى، ولكن كان لكل منا لغة يستعصى على الآخر فهمها!

الفتـــى : إذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه؟

المهنـدس : وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا!

الفتـــى : أنت إذن . .

(الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة إياه من تكملة كلامه، وتنتحى به جانبا)

الفتـــاة : تمالك نفسك

الفتـــى : لكنه هو عينه .

الفتـــاة : لندع ذلك للتحقيق، المهم الآن بيع البيت .

الفتـــى : سيشترى بمالى .

الفتـــاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص .

الفتـــى : الجن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى!

الفتـــاة : انس شطارتك الآن وأجل مشروعاتك .

(يعودان إلى الجماعة)

الفتـــاة : اغفر له تهوره يا سيدى المهندس إكراما لذكرى أبيه الطيب!

المهنـدس : ليرحمه الله رحمة واسعة .

الفتـــى : أكنت تؤمن به؟

المهنـدس : كنت أحبه .

الفتـــى : هل شهدت احتضاره؟

المهنـدس : لكننى مشيت فى جنازته، أين كنت أنت؟

الفـــــتى : كنت موثقا بحبال المجرم الأثيم .

المهـــنـــدس : حضـرة الضـابط كفيـل باسترداد ثروتك الضـائعة ، وما عليك الآن إلا أن تتقبل وضعك بالطمأنينة التى بشر بها أبوك .

الفـــــتى : ولكنك لم تؤمن به؟

المهـــنـــدس : (ضاحكا) كان يقـول لى «الطمـأنينة هـى هدف النفس البشـرية» فـأقـول له «بل التـقـدم يا مـولانا ولـو بالجـهـد والقلق» .

الفـــــتى : ولو بالاعتداء والنهب!

الفـــــتاة : لنعد إلى مشروع المصنع .

المهـــنـــدس : ثبت الآن أن للبـيت وريثـا ، وعليـه فـلابـد من انتظار الإجراءات الخاصة بإثبات الوراثة .

الفـــــتاة : إنه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشارف الصحراء ، ولا تنس أثاثه القديم النادر!

المهـــنـــدس : لا حاجة بى إلى الأثاث .

الفـــــتاة : والكتب التى صنعت المعجزات؟ !

المهـــنـــدس : لدى ما أحتاج من كتب ومعجزات!

الفـــــتاة : أظن آن لنا أن نتكلم عن الثمن .

المهـــنـــدس : لن أبخسكم حقكم ، وسنتكلم عن ذلك فى حينه .

(المهندس يستأذن فى الانصـراف. وقبل أن يذهب يلتفت إلى الفتى ويسأله)

: وأنت . . ما مهنتك؟

الفـــــتى : صاحب خمارة .

المــهــنــدس : (ضاحكا) لست مقطوع الصلة بأبيك، فالناس يقصدون الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا .

(المهندس وسكرتيره يذهبان)

(يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا)

الـضـــابـط : آن لنا أن نبدأ التحقيق

ســـــتـــار

النجـــــــــاة

(حجـرة جلوس. فى الوسط مـدفأة حائـط مشتـعلة. إلى اليـمين من المدفأة بـاب حجـرة النوم وإلى اليـسار منهـا باب حجـرة المكتب. فى نهاية الجانب الأيمن لحـجرة الجلوس باب هو باب الشقة. إلى اليسار يوجد بار وتليفزيون. رجل يجلس على مقعد كبير أمام المدفأة، يرتدى روبا. ويطالع فى كتاب)

(جرس الباب الخارجي يرن بغتة رنينا متواصلا)

(يقوم الرجل إلى الباب، يفتـحه، تندفع إلى الداخل امرأة جميلة مـرتدية معطفا وبيدها حـقيبة. تندفع وكـأنها تجرى ثم تقف وهى تلهث. الرجـل ينظر إليهـا بدهشـة ودون أن يغلق الباب. واضح من نظراته أنه لا يعرفها ولـم يكن ينتظرها)

الـــــرجـــــل : (بتردد وارتباك) ولا مؤاخذة. . حضرتك؟

المـــــــــرأة : (بلهفة) أغلق الباب، من فضلك أغلق الباب.

(الرجل يغلق الباب بذهول)

الـــــرجـــــل : وحـــدك؟

المـــــــــرأة : نعـــم.

(يقفان وهما يتبادلان النظرات)

المـــــــــرأة : إنى مرهقة، تسمح لى بالجلوس؟

الـــــرجـــــل : تفضـــلى.

(يجلسان على مقعدين متقاربين أمام المدفأة. تسند المرأة رأسها إلى يدها فى إعياء. يعلو صدرها وينخفض بشكل محسوس. الرجل يتفحصها بدهشة، ويبدو ـ رغم غرابة الموقف ـ أن محاسنها أثرت فيه بعض الشىء)

الرجل : أنا وحدى، ذهبت الخادمة عقب إعداد العشاء. ولكنى سأجيئك بكوب ماء.

(يقوم إلى البار فيملأ كوبا من دورق ثم يقدمه إليها. المرأة تشرب نصفه ثم تضعه على خوان بين المقعدين)

المرأة : آسفة جدا لإزعاجك.

الرجل : أنا فى خدمتك.

المرأة : شكرًا.

الرجل : يلزمنى شىء؟

المرأة : أكرر الأسف، الواقع أننى لا أدرى ماذا أقول.

(صمت)

: سلوكى يتطلب تفسيرا ولكنى لا أدرى ماذا أقول.

الرجل : استردى أنفاسك أولا.

المرأة : ماذا أقول؟ مهما يكن فإنى أتوسل إليك أن تكرمنى.

الرجل : وهل فى ذلك شك؟

المرأة : أعنى أن تعاملنى معاملة تليق بامرأة فى أشد حاجة إلى..

الرجل : إلى؟

المرأة : الحماية!

الرجل : ماذا يهددك؟

(صمت)

: (مستدركا) لكنى لم أتشرف بعد؟

المـــــرأة : لا يهم هذا على الإطلاق .

الـــرجـــل : ولكنه ضرورى فيما أعتقد .

المـــــرأة : كلا ، لن يقدم ولن يؤخر !

الـــرجـــل : لن أضـايقك ، ولكـن ثمـة سـؤال آخـر ، هل قـصـدتنى بالذات؟ . . هل تعرفيننى؟

المـــــرأة : بابك أول باب فتح لى ، هذا كل ما هنالك .

الـــرجـــل : هل طرقت أكثر من باب؟

المـــــرأة : نعـــم .

الـــرجـــل : ماذا يهددك؟

المـــــرأة : أكرمنى بألا تخبر أى طارق عنى !

الـــرجـــل : (بقلق) هل يتوقع مجىء من يتعقبك؟

المـــــرأة : نعـــم .

الـــرجـــل : رجل أم امرأة؟

المـــــرأة : رجـــل !

الـــرجـــل : (بعد تردد) زوجك؟

المـــــرأة : كـــلا .

الـــرجـــل : صديق؟ . . قريب؟

المـــــرأة : ألا تتكرم بحمايتى دون تحقيق؟

الـــرجـــل : ولكـــن . . .

المـــــرأة : (مقاطعة) لعلك تعمل حساب أهل بيتك؟

الـــرجـــل : لا يوجد فى البيت سواى .

المـــــرأة : ولكن عما قليل سترجع زوجتك؟

الـــرجـــل : لست متزوجا .

المـــرأة : تنتظر ولا شك أحدا ممن يقيم معك؟

الـــرجـــل : إنى أقيم هنا بمفردى .

المـــرأة : عظيم، ستكون المهمة سهلة لو تكرمت بالموافقة .

الـــرجـــل : ولكن يلزمنى بصيص نور .

المـــرأة : لن يمسك سوء!

الـــرجـــل : ولكنى أود أن أعرف المسئولية التى سأتحملها!

المـــرأة : لن تمضى ساعات حتى أغادر مسكنك إلى الأبد كأنى شىء لم يكن .

الـــرجـــل : (مداريا ارتباكه بابتسامة) ستظلين شيئا لا يمكن نسيانه .

المـــرأة : غزل أم تحقيق؟

الـــرجـــل : كنت أفضل أن يكون غزلا خالصا .

(صمت)

: إذا شرفتنى وقتا ثم ذهبت دون أن يعلم أحد فلا حرج، ولكن إذا جاء أحدهم يتعقبك فيلزمنى بصيص نور قبل أن أنكر وجودك .

المـــرأة : لن تقع عليك مسئولية ما .

الـــرجـــل : بل قد أجر إلى متاعب لا تخطر ببال!

المـــرأة : لا تهول .

الـــرجـــل : لا تتركينى فى ظلام .

(صمت)

: أرجوك، لا تضطرينى إلى . .

المـــرأة : إلى تسليمى لأول طارق!

الـــرجـــل : أرجوك أن تفهمى موقفى جيدا .

المـــرأة : إنى أتعلق بأمل وحيد، ببقية من الشهامة البطولية القديمة .

الـــرجـــل : من المؤسف أن عهد الفروسية والملاحم قد ولى .

المـــــــرأة : فى حالة اليأس يفزع القلب إلى زمن الأساطير !

الـــرجـــل : أنا يا سيدتى رجل لا أسطورة .

(صمت)

: فكرى من فضلك وأجيبى .

المـــــــرأة : لكننى عاجزة تماما .

الـــرجـــل : قبل أن تفوت الفرصة .

المـــــــرأة : كن كريما إلى النهاية .

الـــرجـــل : (غاضبا) إنى أشم رائحة مقلقة للأعصاب .

المـــــــرأة : أى رائحة؟

الـــرجـــل : جريمة ما !

المـــــــرأة : لا تدفعنى إلى الانتحار !

الـــرجـــل : ماذا فعلت؟

(جرس البـاب يرن. المرأة تقف فزعـة. تهرع إلى باب حـجرة النوم. تدخل ثم تغلق البـاب من الداخل. الرجل يحـاول فتح الباب فلا يستطيع. الجرس يرن مرة أخرى)

: افتحـــى .

المـــــــرأة : كـن كريمـا .

الـــرجـــل : لا تجرينى إلى مأزق .

المـــــــرأة : كن رحيمـا .

الـــرجـــل : سأتصرف كما ينبغى لى .

المـــــــرأة : إذا اعترفت بوجودى هنا رميت بنفسى من النافذة .

الـــرجـــل : أنت مجنونة !

المـــــــرأة : أنا عاقلة جدا .

الرجل : إنك تجازينى خير جزاء .

المرأة : إنى آسفة ولكننى مضطرة!

الرجل : انتظرى . . لا تتعجلى .

(يذهب إلى الباب لاعنا متسخطا. يفتح الباب. يدخل رجل ضاحكا ثم يرد الباب)

الصديق : كنت نائما؟

الرجل : أنت عليك اللعنة!

الصديق : يا له من استقبال .

(يتجهان نحو المدفأة)

: ماذا حدث فى العمارة؟

الرجل : لا شىء!

الصديق : وأنا قادم إلى زيارتك وجدت الشرطة تحاصر العمارة . لم أستطع المرور إلا بعد س و ج .

الرجل : حقا! . . ماذا حدث؟

الصديق : لم أفهم شيئا ، لم يرد على أسئلتى أحد ، ولكن ثمة حادث أو جريمة ، والأمر المؤكد أنهم يبحثون عن امرأة هاربة .

الرجل : أين؟

الصديق : فى مكان ما بالعمارة، العمارة محتلة بالقوات ، ألم تشعر بشىء؟

الرجل : أبدا .

(يجلسان. الصديق يجلس فى مكان المرأة. يتشمم الجو بدهشة) .

الصديق : رائحة امرأة!

الرجل : ترى أى جريمة وأى امرأة؟

الصديق : لا تشغل بالك، ستعرف كل شيء صباح الغد، ولكنى أقول إنه توجد رائحة امرأة.

الرجل : رائحة امرأة؟

الصديق : رائحة ذكية، هل عندك حبوبة؟

الرجل : كلا.

الصديق : وهذه الرائحة؟

الرجل : كان ثمة صديقة تزورنى.

الصديق : مبارك عليك، ولكن مالك؟

الرجل : على خير ما يرام.

الصديق : كلا، لست كعادتك.

الرجل : لعله البرد.

الصديق : (مشيرا إلى المدفأة) إنك تنعم بفردوس فى هذا الشتاء القاسى.

(صمت)

: أهى ممن أعرفهن؟

الرجل : من تعنى؟

الصديق : المرأة التى كانت هنا.

الرجل : كلا.

الصديق : ولمَ انصرفت مبكرة؟

الرجل : يكفى تحقيق واحد فى العمارة.

الصديق : ذكرتنى، ترى ماذا حدث؟

الرجل : أجل ماذا حدث؟

الصديق : إنك تعرف عن فيتنام أكثر مما تعرف عن شقة مجاورة فى عمارة حديثة.

الـــــرجــــــل : أى جريمة؟ . . وأين اختفت المرأة؟

الصـــــديـق : لا تشغل بالك ، الجرائم وجبات يومية .

الـــــرجــــــل : والمـــرأة؟

الصـــــديـق : قاتلة . . شريكة فى جريمة قتل . . سر جريمة ما .

الـــــرجــــــل : وأين يمكن أن تختفى؟

الصـــــديـق : لعلهم عثروا عليها ، إلا إذا كانت أصلا من سكان العمارة .

الـــــرجــــــل : فكـــرة .

الصـــــديـق : أو تكون لجأت إلى شقة ما .

الـــــرجــــــل : لا أحد فى اعتقادى إلا إذا كان له ضلع فى الحكاية .

(الرجل يقوم، يبتعد إلى جناح الحجرة البعيدة عن حجرة النوم. يشير إلى صاحبه أن يتبعه فيلحق به)

الـــــرجــــــل : (هامسا) أنا واقع فى مشكلة .

الصـــــديـق : أى مشكلة؟

(جرس الباب يرن)

: هل تنتظر أحدا؟

(الرجل يمضى إلى الباب بعد تردد. يفتح)

صوت من الخارج : تسمح لى بالدخول؟

الـــــرجــــــل : تفضـــــل .

(يدخل ضابط. يقدم نفسه)

الضـــــابـط : نحن نبحث عن امرأة هاربة فى العمارة .

(الرجل يتظاهر بالدهشة ويتساءل)

الـــــرجــــــل : أية امـــرأة؟

الضـــــابـط : امرأة هاربة ، ويهم الأمن العام القبض عليها .

الـــرجـــل : لم يلجأ إلى شقتى أحد.

الـضـــابـط : حضرتك رب الأسرة؟

الـــرجـــل : إنى أقيم بمفردى هنا، (ثم مشيرا إلى صديقه) هذا صديق زائر.

الـضـــابـط : تسمح بالبطاقة الشخصية.

(الرجل يذهب إلى حجرة المكتب ثم يعود بالبطاقة. الضابط يقرأها بعناية. ثم يقدم له ورقة مكتوبة ويقول)

: هذا إقرار بأن المرأة لم تلجأ إلى شقتك هذا المساء، وقعه بإمضائك، وأود أن أذكرك بخطورة الأمر إذا ثبت ما يخالفه.

(الرجل يوقع الإقرار. الضابط يتناوله. وينصرف. الرجل يغلق الباب. يعود إلى صديقه حيث كان يقف فى وسط الحجرة)

الصـــديـق : الظاهر أن الجريمة أخطر مما نتصور.

الـــرجـــل : ليست إلا إجراءات روتينية.

الصـــديـق : لا تشغل بالك، كنت تتحدث عن مشكلة.

الـــرجـــل : مشكلة؟!

الصـــديـق : الضابط شتت عقلك.

الـــرجـــل : ربمـــا.

الصـــديـق : لنعد إلى مشكلتك.

(صـــمت)

: ألا تريد أن تحدثنى عن مشكلتك؟

الـــرجـــل : جد ما هو أهم.

الصـــديـق : لا تشغل بالك بهموم لا تخصك.

الـــرجـــل : أليس من الجائز أن تستصدر الشرطة أمرا بالتفتيش العام إذا لم تعثر على المرأة؟

الصـــديـق : جــائــز.

الـــرجـــل : وقد يفتشون شقتى!

الصـــديـق : إنه احتمال ضعيف على أى حال.

الـــرجـــل : ولكنه جائز.

الصـــديـق : عندك فرصة للتخلص من الأشياء المحرجة.

الـــرجـــل : كيــف؟

الصـــديـق : النافــذة.

الـــرجـــل : العمارة محاصرة.

الصـــديـق : النــار.

الـــرجـــل : ليست جميع الأشياء قابلة للاحتراق.

الصـــديـق : أنت مجنون، طالما حذرتك، ولكن احتمال التفتيش احتمال ضعيف، إنها امرأة وليست إبرة وسيعثرون عليها عاجلا.

الـــرجـــل : تستطيع أن تقدم لى خدمة.

الصـــديـق : اسمع، أنت تعلم أنه لا شأن لى بهذه الأمور الخطرة، دع صداقتنا فى المنطقة البريئة.

الـــرجـــل : نحن فى زمن الخوف من الشرطة، أما شهامة الأساطير فقد ولى زمانها!

الصـــديـق : الخوف من شىء حقيقى، أما الأساطير!

(صمت)

: أود أن أطمئن عليك.

الـــرجـــل : دون أن تقدم خدمة ما.

الصـــــديق : كلانا يعرف الحدود التي يتحرك فيها الآخر .

الـــرجـــل : إنى فى حاجة إلى الانفراد بنفسى وكل ما أطلبه منك أن توافينى بأية معلومات جديدة بالتليفون .

الصـــــديق : بمجرد عودتى إلى مسكنى .

(يتصافحان. يوصله حتى الباب الخارجى. يغلق الباب ثم يعود مسرعا إلى باب حجرة النوم) .

الـــرجـــل : سيدتى . . تعالى . . لا أحد بالشقة سواى .

(تفتح الباب. تخرج. يقفان وجها لوجه)

: إنك تلقين بيأسك فوق رأسى .

المـــــــرأة : جئت باندفاع لا اختيار فيه ثم وقعت فى فخ .

الـــرجـــل : سيعودون للتفتيش .

المـــــــرأة : لا تهتم بى فإنى أعرف كيف أتصرف .

الـــرجـــل : إنى لا أهتم إلا بنفسى فى الواقع .

المـــــــرأة : هذا حقك وإنى آسفة لحد الموت .

الـــرجـــل : إنك تخلفين لى مشاكل ومضاعفات .

المـــــــرأة : لم تعد بيدى حيلة .

الـــرجـــل : لِمَ تبحث الشرطة عنك؟

(صمت)

: لِمَ تبحث الشرطة عنك؟

المـــــــرأة : إنَهم يبحثون عن كثيرين . . . !

الـــرجـــل : شـــركائك؟!

المـــــــرأة : وغيـــرهم .

الـــرجـــل : (محتدا) ماذا تعنين؟

المـــــــرأة : (باسمة) سمعت ما دار بينك وبين صديقك .

(صمت وهو ينظر إليها غاضبا)

الرجل : تهددينني؟!

المرأة : ربما كنا فى الهوى سوا.

الرجل : افتراء.

المرأة : آسفة.

الرجل : أنا رجل محترم.

المرأة : وأنا امرأة محترمة.

الرجل : هذا يتوقف على مضمون الاحترام عند كلينا.

المرأة : بمعنى آخر فكلانا غير محترم.

الرجل : هل نمضى الوقت فى جدل وسمر؟

المرأة : إنى آسفة وحزينة.

الرجل : فاتنى أن أعترف للضابط بالحقيقة.

المرأة : لم لَم تفعل؟

الرجل : أعترف بأننى لم أحسن التصرف.

المرأة : بل أحسنت التصرف وإلا لأثرت الشبهة فى وجود علاقة بينك وبين المرأة المنتحرة.

الرجل : كانت الحقيقة ستظهر على أى حال.

المرأة : ربما، ولكن بعد تفتيش غير مرغوب فيه، ترى ماذا تحوى شقتك الأنيقة من أسرار خطيرة؟

الرجل : سخريتك تقطع بأنك معتادة للإجرام.

المرأة : أو غاية من اليأس.

الرجل : ماذا ارتكبت؟

المرأة : محض فعل مألوف فى التاريخ، ولكن الشرطة تصفه بأنه جريمة، وأنت؟

الــــرجـــــل : لا أسمح بالتحقيق معى، ولكن خبرينى أى جريمة ارتكبت؟

المـــــــــرأة : ما أهمية ذلك؟ . . أى تحسن يمكن أن يضيفه إلى موقفنا؟

الــــرجـــــل : هل عرفوا شخصك؟

المـــــــــرأة : محتمل جدا.

الــــرجـــــل : ليس مؤكدا؟

المـــــــــرأة : لا يوجد فى هذه الليلة شىء مؤكد.

الــــرجـــــل : جربى أن تغادرى شقتى بوصفك امرأة أخرى.

المـــــــــرأة : لن يدعونى أمر دون تحقيق، وغالبا يوجد مخبر فى الطرقة الخارجية، وسيجرونك للتحقيق، وسوف تنكشف الحقيقة.

الــــرجـــــل : أية حقيقة؟

المـــــــــرأة : حقيقتى وحقيقتك.

الــــرجـــــل : (غاضبا) لا تدفعينى للخروج عن حدود اللياقة.

المـــــــــرأة : معذرة.

الــــرجـــــل : أنت تؤجلين الخطر ليس إلا.

المـــــــــرأة : لا حيلة لى.

الــــرجـــــل : لو كنت مكانك!

المـــــــــرأة : لو كنت مكانى؟

الــــرجـــــل : لسلمت نفسى إلى الشرطة.

المـــــــــرأة : هذا حل طبيعى ومعقول لمشكلتك . . .

الــــرجـــــل : ولمشكلتك أيضا ما داموا سيجيئون فى النهاية حتما.

المـــــــــرأة : ليس حتما!

الــــرجـــــل : (غاضبا) ولكنك تراهنين بحياتى!

المـــــــرأة : أمر مؤسف حقا ولكننى أفضل الانتحار على التسليم .
الـــرجـــل : افعلى بنفسك ما تشائين ولكن بعيدا عنى . .
المـــــــرأة : ليتــه ممكــن!
الـــرجـــل : أى قدر قذفنى بك .
المـــــــرأة : هو الذى رمانى إليك .

(تضحك ضحكة عصبية)

الـــرجـــل : تمزحين كما لو كنت فى حفل استقبال .
المـــــــرأة : إذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .
الـــرجـــل : ولكن الأمل لم ينقطع بعد .
المـــــــرأة : حقـــا؟
الـــرجـــل : أستطيع أن أطردك .
المـــــــرأة : سأحاول الانتحار كآخر وسيلة دفاع فى يدى .
الـــرجـــل : تهــددينني؟
المـــــــرأة : موقف مؤسف مخجل ولكننى لم أخلقه بإرادتى .
الـــرجـــل : أنت مجرمة بالسليقة .
المـــــــرأة : (باسمة) لعلنا من سليقة واحدة .
الـــرجـــل : (ثائرا) لتنشق الأرض وتبلعك .
المـــــــرأة : أول مرة يعاملنى رجل بهذه المعاملة .

(الرجل ينقض عليها فاقدا أعصـابه ليشدها ناحية الباب. هى تقاوم بيأس. يقوم بينهما شد وجذب.
يختل توازنه فيقعان على ديوان ويستمر الصراع بينهما. وبالاستمرار لا تكاد تختلف حركاتهما عن مبادلات العشق. ويتغير مذاق الصراع وحدته. ويخلق جو جديد لم يكن فى الحسبان فتستغله الأعصاب المتوترة اليائسة. وإذا به يضمها بين ذراعيه وينهال عليها تقبيلا.

ينخفض الضوء رويدا حتى يسود الظلام.

ثم يعود رويدا رويدا حتى يبلغ حاله الأولى.

الآن كلاهما يجلس على مقعد كما كانا أول الأمر.

هى تنظر إلى السقف وهو يرنو إلى نيران المدفأة)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن؟

(صمت)

: ترى ماذا يحدث فى الخارج؟

المرأة : كما يحدث فى الداخل.

الرجل : ماذا تعنين؟!

المرأة : جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام.

الرجل : وبلا حب؟

المرأة : لحظات عناق تنتزع من بين الكلمات ولى الأذرع.

(صمت)

الرجل : والعمل؟

المرأة : هل تحاول طردى مرة أخرى؟

(صمت)

الرجل : وما جريمتك؟

المرأة : وما جريمتك؟

الرجل : من حقى أن أسألك وليس ذلك من حقك.

المرأة : من واجبى ألا أتكلم.

الرجل : لست على أى حال من الشرطة.

المرأة : على سكوتى تتوقف سلامة آخرين.

الرجل : تزييف نقود؟.. مخدرات؟.. دعارة؟.. سياسة؟

المرأة : جميعها ظاهرات اجتماعية.

(صمت)

الـــرجـــــل : متزوجـــة؟

المـــــــــرأة : لا أجيب عن هذا السؤال بعد ما كان .

الـــرجـــــل : هل كانت أول مرة تخونينه؟

المـــــــــرأة : ألا ترى أننى أفضل الموت على الخيانة؟

الـــرجـــــل : إذن سلمت حبا وكرامة؟

المـــــــــرأة : حالة هستيرية لَيس إلا .

الـــرجـــــل : نـادمـة؟

المـــــــــرأة : لا وقت للندم .

الـــرجـــــل : هبينى دعوتك مرة أخرى؟

المـــــــــرأة : مرت فترة كافية لبلوغ سن الرشد .

الـــرجـــــل : هل نفترق كغريبين؟

المـــــــــرأة : كما التقينـــا !

الـــرجـــــل : لا شىء يجمعنا؟

المـــــــــرأة : الجريمة هى ما يجمعنا .

(صمت)

: هل أنت أعزب؟

الـــرجـــــل : نعـــم .

المـــــــــرأة : لم لَم تتزوج؟

الـــرجـــــل : لَم أطعن فى السن بعد .

المـــــــــرأة : ومتى تطعن فى السن؟

الـــرجـــــل : لعلى أنتظر أن تجرفنى امرأة إلى الزواج ، ولكن ألا ترين أننا نسمر كأننا نستمتع بسهرة طيبة؟

المـــــــــرأة : هو خير من الصمت .

الـــرجـــــل : الأغلال تقترب من أعناقنا .

المـــــــرأة : لا تذكرنى بذنبى حيالك .

الـــرجـــل : ثمة فرصة لتجربة الحظ .

المـــــــرأة : وهـــى؟

الـــرجـــل : أن تخاطرى بالذهاب .

المـــــــرأة : لو كان الأمر يتعلق بى وحدى لفعلت .

الـــرجـــل : تدوسيننى فى طريقك بلا رحمة .

المـــــــرأة : كما داسنى آخرون .

الـــرجـــل : مالى أنا وذلك كله!

(يتـملكه غضب مـبـاغت. ينهض قائمـا بعنف. يقـبض على ساعدها ليشدها ولكنها تخلص ساعدها بهدوء)

المـــــــرأة : كلا . . لا يتكرر شىء واحد مرتين بطريقة واحدة .

الـــرجـــل : أنت . . أنت . .

(جرس التليفون يرن. ينتقل إليه حيث يوجد على حامل قرب البار)

الـــرجـــل : آلـــو .

: . . . .

الـــرجـــل : تأخرت . . أين كنت؟

: . . . .

الـــرجـــل : ماذا تقول؟

: . . . .

الـــرجـــل : غير معقول، ألم تعرف السبب؟

: . . . .

الـــرجـــل : شىء عجيب حقا .

: . . . .

الــــرجــــل : بخير كما تركتنى .

: . . . .

الــــرجــــل : لست وحدى . . أقصد أننى منفرد بهمومى !

: . . . .

الــــرجــــل : أبدا أبدا . . وحدى كما تركتنى .

: . . . .

الــــرجــــل : أنت مجنون . . أى أفكار جنونية تساورك؟

: . . . .

الــــرجــــل : لا موجب لإساءة الظن، إلى اللقاء . .

(يضع السماعة ثم يعود إلى مقعده. يتبادل مع المرأة نظرات حائرة)

الــــرجــــل : إنه الصديق الذى كان هنا .

المــــــــرأة : وماذا قال لك؟

الــــرجــــل : ماذا حصل للدنيا؟ . . الشوارع المحيطة بنا غاصة بالجنود! . . من أنت؟!

المــــــــرأة : لست إلا امرأة سيئة الحظ كما ترى .

الــــرجــــل : بيدك حل هذا اللغز .

المــــــــرأة : يستوى لدينا أن يضرب الحصار حول العمارة أو حول الحى كله .

الــــرجــــل : ولكن لا يجمعهم بهذه القوة إلا شىء خطير .

المــــــــرأة : لست هذا الشىء .

الــــرجــــل : لعلك الخيط الذى يوصل إليه .

المــــــــرأة : جنبنا مناقشة عقيمة .

الــــرجــــل : لن أسمح لك بالقضاء علىّ .

المـــــرأة : ضيعت فرصة الاعتراف بالحقيقة وهى غلطتك .

الــــرجـــل : لن أضيع بسبب غلطة .

المـــــرأة : لماذا تعود إلى الغضب ولم يجد جديد على الموقف؟

الــــرجـــل : الهلاك بات أقرب مما نتصور .

المـــــرأة : نحن مقامرون، والمقامر العاقل يجب أن يوطن نفسه على الهلاك .

الــــرجـــل : أنت امرأة مقامرة .

المـــــرأة : وأنت أيضا، لا سبيل إلى النكران .

الــــرجـــل : لم أتوقع أبدا أن أضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة .

المـــــرأة : جميع طرق الضياع سخيفة .

الــــرجـــل : أود أن أقتلك ولو اضطررت إلى قتل نفسى .

المـــــرأة : هاك طريقة سخيفة أخرى .

الــــرجـــل : كل هـذا وأنا لا أعـرف من أنت ولا أدرك شيئا مما يقع حولى .

المـــــرأة : لا أهمية للتفاصيل، حسبك أن تعرف أننا مطاردون، وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء مصممون!

(صمت)

: (وهى تبتسم متوددة) لا تضخم سوء الحظ بالغضب .

(صمت)

: عندى اقتراح .

(ينظر نحوها بامتعاض ودون أن ينبس)

: نحن فى حاجة إلى ترفيه .

الــــرجـــل : ترفيـــه؟!

المـــــــرأة : لم لا؟ . . إنهم يسألون المحكوم عليه بالإعدام عن رغبته الأخيرة .

الـــرجـــل : أنت مجنـونة .

المـــــــرأة : لنشرب كأسين .

الـــرجـــل : وما حولنا وفوقنا وتحتنا؟

المـــــــرأة : أنا أعتبر نفسى منتهية، وأعترف لك بكل أمانة أن جانبا منى راض كل الرضا، ويخيل إلىَّ أنك تماثلنى إلى حد كبير، وأمامنا وقت غير محدود، فإما أن نقضيه فى تبادل السباب وإما أن نرفه عن أنفسنا، ما رأيك؟

الـــرجـــل : كيف تتحمل أعصابك الترفيه وهى تتوقع الموت بين لحظة وأخرى؟

المـــــــرأة : هى حال الإنسان بصفة عامة مع فارق بسيط هو أننا أعظم وعيا بالنهاية .

(صمت)

: فلنجـــرب . .

(المرأة تقوم إلى البار فتجىء بزجاجة وكأسين. تملأ الكأسين. ترفع إحداهما إلى فم الرجل وتمسك بالأخرى)

: صحة لقائنا دون تعارف سابق .

(تشرب وتدفع بالشراب إلى فيه فيتقبله بفتور، ثم تملأ الكأسين مرة ثانية)

: صحة افتراقنا القريب بعد تعارف عميق!

(تشرب. تنظر إليه بتوسل حتى يشرب كأسه أيضا. ثم تملأ الكأسين للمرة الثالثة)

: صحة أسباب الهلاك التى لا حصر لها .

(تشرب. يشرب. تملأ الكأسين للمرة الرابعة)

: صحة الأحلام التى تقود إلى الهلاك.

(تشرب. يشرب. تنبسط أساريرهما بتأثير الخمر. يملأ هو الكأسين للمرة الخامسة)

: صحة الجنس الذى يمارس وسط العنف والشجار.

(تشرب. يشرب. يتأكد أثر الخمر. يملأ الكأسين للمرة السادسة)

الرجل : صحة الشرطة عدوة الأحلام.

(تشرب. يشرب. يتأكد أثر الخمر. يملأ الكأسين للمرة السابعة)

المرأة : صحة أول من اخترع حروف الهجاء.

(تشرب. يشرب. يتضح أثر السكر فى الحركة والصوت. يملأ الكأسين للمرة الثامنة)

الرجل : صحة أول رجل اخترع آلة للزينة.

(تشرب. يشرب. يملأ الكأسين للمرة التاسعة)

المرأة : صحة أول من كتب رسالة غرامية.

(تشرب. يشرب. يملأ الكأسين للمرة العاشرة)

الرجل : صحة الحلقة المفقودة.

المرأة : صحة المخبر الواقف بالطرقة خارج الشقة.

الرجل : صحتك.

المرأة : صحتك.

(يغرقان فى الضحك. يقفان وهما يترنحان)

الرجل : لننس العمر الذى عشناه فينتهى كل شىء.

المرأة : انتهى كل شىء.

الــــرجــــل : ولكنى لن أنسى أول أمنية داعبت فؤادى وأنا طفل .

المــــــــرأة : مـا هـى؟

الــــرجــــل : أن أكون بياع كسكسى!

(يغرقان فى الضحك)

المــــــــرأة : لنستمتع بشىء من الفن . . .

الــــرجــــل : فكـــرة .

(يذهب إلى التليـفزيون.. يديره. يظهـر موقف من فـيلم رعاة بقر يشتد فيه تبادل إطلاق النار. المرأة تصرخ مـتراجعة محتجة فيطفئ الرجل التليفزيون)

الــــرجــــل : هـلمى نرقـص .

(يرقصان بلا موسيقى. يتعمد ضمها إلى صدره. يقبلها من آن لآن. يتوقف عن الرقص ويرفعهـا بين يديه ليمضى بها ولكن توازنه يختل فيسقطان وهمـا يضحكان. ينطرحان جنبا لجنب وهمـا يضحكان. وهو يقـبلهـا كلما سكت عن الضـحك. لا مقـاومة من ناحيـتها ولكنهـا تزحـف قليلا وتمد يدها فـتتناول سمـاعة الـتليفـون. تطلب رقمـا، وفى أثناء الحديث يتـابعـها الرجل بانتباه قليل لشدة سكره ولا يكف عن تقبيلها)

المــــــــرأة : آلـــو .

: . . . .

المــــــــرأة : مساء الخير ، أنت قلق طبعا ، آسفة . . .

: . . . .

المــــــــرأة : شربت كأسين تحت ظروف اضطرارية .

: . . . .

المــــــــرأة : لا وقت للإجابة ، ليس الظرف مناسبا ، ستـعـرف كل شىء من الصحف .

المـــــرأة : لا تنتظرنى . . ولكن ثق من إخـلاصى . . حـتى آخـر لحظة . . أستودعك الله .

(تغـلق السـكة)

الـــرجـــل : تخوننى جهارا؟

المـــــرأة : الماضى يستحق أن نودعه .

الـــرجـــل : عفــريتة . .

المـــــرأة : سأكون لك إلى الأبد!

الـــرجـــل : حـتى المـوت .

المـــــرأة : حـتى المـوت .

الـــرجـــل : ولو امتد بنا العمر ساعة كاملة؟

المـــــرأة : ولو امتد ساعة وربعا!

(جـرس البـاب يـرن. ينظران نحــو البــاب بانزعــاج رغم سكرهما. ينهـضان بصعوبة وتعـثر. تمضى نحو المقعـد حيث تركت حقيبتها)

المـــــرأة : سيجدوننى جثة هامدة منتصرة .

الـــرجـــل : لن أفتح الباب .

المـــــرأة : سـيكسـرونه .

الـــرجـــل : فلنتفق على الاعتراف بأننا زوجان .

المـــــرأة : قلت للضابط خلاف ذلك .

الـــرجـــل : نعترف بأننا تزوجنا عقب ذهابه!

المـــــرأة : هذه فترة كـافيـة لموتنـا ، أما الـزواج فيسـتغرق عـاما على الأقل .

(الجرس يرن متقطعا ولكن فى إصرار)

(الرجل يلتفت نحو الباب موليا المرأة ظهره.
المرأة تتناول من الحقيبة أنبوبة. تستخرج منها حبة. تزدردها ببقية كأسها. تترنح ثم تسقط فوق الديوان منكفئة على وجهها، جثة هامدة. الرجل لم ينتبه إلى ما حدث. يتردد بين الوقوف وبين الذهاب إلى الباب. ينظر وراءه فيرى المرأة منكفئة على وجهها)

الـــرجـــــل : غلبك السكر؟ . . نمت؟
(يتأملها دون مبالاة بجرس الباب)
: يالك من شابة جميلة حقا!
(الجرس يرن)
: أضعنا في الخصام وقتا لا يعوض . .
(الجرس يرن)
: استريحي . . تخاصمنا كغرباء على حين تجمعنا طبيعة واحدة.
(يقترب منها، يميل فوقها كأنما ليقبلها وإذا بصوت صديقه ينادي من وراء الباب صائحا «افتح» يمضي مسرعا نحو الباب فيفتحه ضاحكا. الصديق يدخل ويغلق الباب وراءه)

الـــرجـــــل : سيبت ركبنا ، عليك اللعنة .
الصـــــديـق : من المرأة التي عندك؟
الـــرجـــــل : الغيرة رجعت بك رغم الحصار . . يا لك من أحمق ما فكرت في خيانتك قط!
(الصديق ينظر إلى المرأة ويضحك عاليا)
الصـــــديـق : بعض الظن إثم .
الـــرجـــــل : أنت أحمق .

الصـــديق : متى جاءت هذه المحبوبة؟
الــرجـــل : كانت هنا من قبل زيارتك الأولى .
الصـــديق : ولِمَ أخفيتها عنى؟
الــرجـــل : إنهَا المرأة التى تبحث عنها الشرطة .
الصـــديق : كم كأسا شربت؟
الــرجـــل : لم أفكر فى حصرها .
الصـــديق : وهل المحبوبة نائمة؟
الــرجـــل : من السكر والتعب . . ولكن ما حال الحصار؟
الصـــديق : القيامة قائمة .
الــرجـــل : وحبيبتى نائمة .
الصـــديق : إنها جميلة . . من هى؟
الــرجـــل : المرأة التى قامت القيامة من أجلها .
الصـــديق : أنت سكران .
الــرجـــل : السكران لا يكذب .

(صمت)

الصـــديق : لـو صـح هـذا .
الــرجـــل : تعاهدنا على الحب إلى الأبد .
الصـــديق : كنت تعرفها؟
الــرجـــل : عرفتها منذ ساعة هجرية !
الصـــديق : وما جريمتها؟
الــرجـــل : جريمة قامت لها القيامة .
الصـــديق : قتل . . مؤامرة . . ؟
الــرجـــل : سألتها فاعترفت لى بحبها . . .
الصـــديق : لعنة الله على البار الأمريكانى . . خبرنى من هى؟

الـــرجـــل : امـــرأة.

الصـــديـق : اسمها، أسرتها، مهنتها؟ . . .

الـــرجـــل : لا اسم ولا أسرة ولا مهنة لها.

الصـــديـق : ألا تعرف عنها أى شىء؟

الـــرجـــل : عرفنا أهم شىء وهو أننا سنموت بعد ساعة أو ساعتين!

الصـــديـق : إنك مضجر ولا خير فيك.

الـــرجـــل : نحن ننتظر الشرطة فلا تفسد علينا ساعة الانتظار.

الصـــديـق : لا سبيل إلى التفاهم معك، سأذهب، أستودعك الله.

الـــرجـــل : مع ألف سلامة.

(يتحرك الصديق للذهاب. جرس الباب يرن رنينا متواصلا)

: أخيـــرا. . .

الصـــديـق : (فى اضطراب) ماذا أنت فاعل؟

الـــرجـــل : سأفتح الباب قبل أن يحطموه.

(أصوات من الخارج تصيح «افتح.. افتح».

الرجل يذهب إلى الباب. يفتحه. تندفع إلى الداخل قوة من الشرطة المسلحة على رأسها ضابط غير الضابط الأول)

الضـــابـط : أين الحجرة المطلة على الطريق العمومى؟

(الرجل يشير إلى حجرة النوم. الضابط والقوة يهرعون إلى الحجرة ويختفون داخلها)

الصـــديـق : ما معنى هذا؟

الـــرجـــل : علىّ اللعنة إن كنت أفهم حرفا مما يقع حولى.

الصـــديـق : يستحسن أن توقظ المرأة، أى نوم هذا؟

الـــرجـــل : رد فعل طبيعى للإنهاك والاضطراب والسكر، دعها تنعم بآخر هدوء يتاح لها فى حياتها!

(فجأة تترامى من الحجرة أصوات طلقات نارية كثيرة، تستمر وتتزايد. الرجلان ينحطان على ركبتيهما بحركة قاسية وهما فى غاية من الذعر)

الصديق : إنها معركة.

الرجل : إنها معركة بكل معنى الكلمة...

الصديق : هل العدو فى الطريق؟

الرجل : ولكنك رأيت الطريق محاصرا!

الصديق : لعله فى العمارة القائمة على الجانب الآخر.

الرجل : لا أفهم شيئا.

الصديق : يجب أن نغادر الشقة فورا قبل أن نصرع بالرصاص.

(الصديق يزحف على أربع حتى يغادر الشقة. الضابط يظهر فى باب الحجرة. يرى المرأة لأول مرة)

الضابط : هل أصيبت السيدة؟

الرجل : كلا.. إنها.. إنها مريضة..

الضابط : الشقة معرضة للخطر.. غادرها بلا تردد.

(الضابط يرجع إلى الحجرة. الضرب فى تصاعد مستمر. رصاصة تصيب المصباح الكهربائى فيسود الظلام. شبح الرجل يزحف نحو المرأة. يهزها ليوقظها)

الرجل : استيقظى.. يجب أن تستيقظى...

(يهزها بشىء من الشدة)

: سأحملك بين يدى وأمرى لله..

(يحملها بين يديه ويمضى بها نحو الباب بتعثر ومشقة وبطء)

: لم يجيئوا للقبض عليك ولا للتفتيش.. لقد نجوت يا

حبيبتى . . ونجوت أنا أيضا . . نجونا معا . سيمسى اليأس فى خبـر كـان . . نجوت ونجـوت . . وسـتكونـين لى إلى الأبد .

(يغادر الشقة بحمله. الضرب مستمر)

مشروع للمناقشة

(حجرة الإدارة بمسرح. فى الجانب الأوسط من الحجرة يوجد مكتب. أمام المكتب مقعدان كبيران متقابلان. إلى اليسار مكتبة، وباب مغلق يؤدى إلى الخارج. فى الجانب الأيمن كنبة ومقعدان وخوان. على الكنبة يجلس الممثل والممثلة. على المقعدين يجلس المخرج والناقد.. الجميع فى أواسط العمر مع تفاوت).

المخرج : يجب أن نفتتح الموسم بعمل باهر .

الممثلة : (متنهدة) الحق أن الفن جمال وعذاب .

الممثل : (ناظرا فى ساعة يده) متى يحضر الأستاذ؟

الناقد : إنه فى الطريق إلينا .

المخرج : كثرت المسارح واشتدت المنافسة بينها لدرجة الوحشية .

الممثل : وعلينا يقع عبء المحافظة على القمة .

الممثلة : هذا ما قصدته بالعذاب .

الناقد : ترى هل انتهى الأستاذ من كتابة المسرحية؟

المخرج : لا أظن ، ولكنه سيحدثنا عن الفكرة العامة .

الممثلة : لن يبدأ الموسم قبل أشهر .

(يفتح الباب إلى اليسار ويدخل السكرتير)

السكرتير : الأستاذ .

(يدخل المؤلف. يخرج السكرتير ويغلق الباب. المؤلف متقدم فى السن ولكنه من النوع الذى يتعذر تحديد سنه. وهو أنيق المظهر وبادى الصحة والعافية رغم تقدمه فى السن. ينهض المخرج والناقد والممثل لمصافحته. يذهب لمصافحة الممثلة فى مجلسها. يمضى إلى المكتب فيقف مستندا إلى مقدمته. ينتقل المخرج والناقد إلى المقعدين المتقابلين أمام المكتب. يعود الممثل إلى مجلسه إلى جانب الممثلة)

الناقد : (للمؤلف) صحتك عال.

المؤلف : شكرا.

المخرج : الجو فظيع ولكن ضاحيتك مرتفعة الموقع ومعتدلة الجو.

المؤلف : التفكير من شأنه أن يرفع الحرارة.

الناقد : إلى أى حد يمكن أن نقول إن عملك اكتمل؟

المؤلف : سينتهى على أى حال فى موعده.

الناقد : إذا أردنا أن نحدد روايتك الجديدة فأى اسم يمكن أن نطلقه عليها؟

المؤلف : إنك ناقد لا تخلو من داء النقاد فى غرامهم بالأسماء، أنا لا تهمنى الأسماء، إنما أبدأ من انفعال معين ثم أترك الاسترسال لوحى القلم.

الناقد : ولكن المسرحية بناء، ولا يسع البناء أن يضرب فى الأساس ضربة واحدة ما لم تكن الصورة النهائية متبلورة بشكل ما!

الممثل : (فى شىء من العصبية) سنصل فى نقاش غير محدود، أريد أن أطمئن إلى وجود بطولة حقيقية.

الممثلة : وأضيف إلى قول زميلى أن خير دور تمثله المرأة هو الحب . (ثم موجهة الحديث إلى المخرج) تكلم فأنت المخرج . . .

المخرج : لكل رواية أسلوب خاص لإخراجها .

الممثلة : ولكن الحب ضرورة لا غنى عنها .

المخرج : إنه ضرورة حقا ولكن لا يمكن فرضه على المؤلف .

المؤلف : هذا كرم منك إذا تذكرنا محاولاتك السابقة للوثوب فوق رأسى .

المخرج : (ضاحكا) أنت تؤلف وأنا أفسر ، فأنت حر فى تأليفك وأنا حر فى تفسيرى .

المؤلف : ولكنى أعرف ما أريد قوله .

المخرج : بل إنى أعتبر ذلك من اختصاصى .

الناقد : الأمر يتوقف على نوع العمل ، ثمة عمل لا يختلف فى تفسيره أحد ، وآخر تتعدد فى تفسيره وجهات النظر .

الممثل : ما يهمنى حقا هو دور البطولة ، أريد أن أكون بطلا لا مهرجا .

المخرج : ولكن المهرج يمكن أن يكون بطلا أيضا .

الممثل : إنى أرفض ذلك كل الرفض .

المخرج : ثمة زمن يخلق الأبطال وآخر يخلق المهرجين .

الممثل : مهرجون لا أبطال .

المخرج : المسألة نسبية .

الممثلة : سنضل فى متاهة الآراء ، حددوا أفكاركم .

الممثل : حسن ، أريد بطولة بالمعنى التقليدى .

الممثلة : وأريد أن ألعب دور حب لا ينسى .

الناقـــد : ويلزمنى الوضوح الذى يمكننى من نقد العمل وتقديمه .
المخـــرج : أطالب بالحرية الكاملة للتفسير .
المـؤلـف : ماذا يبقى لى أنا؟
المـمـثـل : أن تحقق لنا مطالبنا الفنية العادلة فى صيغة ناجحة تستحوذ على إعجاب الجمهور .
المـؤلـف : إنكم بحاجة إلى سكرتير لا إلى مؤلف .
المـمـثـلة : بل نريد تفاهما وتعاونا .
(المؤلف يغادر موقفه متمشيا حتى منتصف الحجرة وهو مقطب ثم يعود إلى موقفه مستندا إلى مقدم المكتب)
المـؤلـف : إنى أحب الصراحة ، والحق أقول لكم إنه لا وجود لكم قبل أن توجد الفكرة التى تنجزونها .
المـمـثـل : (فى حدة) بل نحن موجودون قبل أى فكرة .
المـؤلـف : إذا لم توجد القصة فأنتم مجرد أشخاص لا معنى فنى لهم .
الناقـــد : ألا يؤثر فى خيالك وأنت تؤلف أشخاص الممثلين مثلا؟
المـؤلـف : كلا ، إنى أستغرق فى عملية الخلق فحسب ، ثم يختار العمل بعد ذلك ممثلوه ومخرجه !
الناقـــد : هذا فرض مثالى ، ولكن الواقع أن المؤلف إنما يتعامل مع زمان ومكان وجمهور وممثلين وممثلات ومخرجين ونقاد أيضا !
المـؤلـف : (ضاحكا فى سخرية) يا لها من أفكار غريبة عن عملية الخلق !
الناقـــد : لا يمكن أن تترك لخيالك العنان ما دمت مرتبطا بمسرح ما وجمهور ما وإمكانيات فنية محدودة .

المؤلف : أو فى كلمة واحدة هى فبركة بلا زيادة .

الناقد : إنها محاولة صادقة للتوفيق بين خيالك الخلاق والضرورات بفبركة لا محيص عنها لتقول فى النهاية ما تريد قوله وما يتطلبه الزمان والمكان وما يود الناس أن نقوله!

المؤلف : (بلهجة مزدرية) أصدق وصف للفن التجارى .

الناقد : الفن معاملة، والمعاملة نوع من التجارة، والنجاح وجه من وجوه المعاملة .

المؤلف : هذا يعنى أنكم المؤلف لا أنا .

الناقد : التأليف جماعى وإن بدا فرديا .

الممثل : لذلك أطالب ببطولة تقليدية وهو طلب عادل .

الممثلة : وأطالب بالحب وهو مطلب طبيعى .

المخرج : وأطالب بالحرية ليتم لعملك الكمال المنشود .

المؤلف : (غاضبا) تمرد سخيف مضحك، ولولاى لما كنتم شيئا مذكورا .

الناقد : (بلطف) ولولانا ما كنت مؤلفا على الإطلاق .

المؤلف : أستطيع أن أكتب مسرحية لنفسى!

الناقد : محض كلام، كيف يثبت أنها مسرحية إذا لم يقيض لها مخرج وممثلون وجمهور ونقاد؟!

المؤلف : (غاضبا) إن مهنتى الخلق لا الجدل، الجدل مهنة العاجزين عن الخلق .

الممثلة : إنى أكره الجدل وأخاف عواقبه، وسوف ينتهى بنا إلى خصام مرير بدلا من عرض مسرحى رائع .

الممثل : ولكن لا خير فى مصالحة تجىء على حسابنا .

المؤلف : من الضرورى أن أكتب مسرحيتى بلا قيد أو شرط .
الناقد : لا يجوز أن تهمل الاعتبارات التى عددتها .
المؤلف : إنى ملزم باحترام الخلق الفنى وحده .
الممثل : والبطولة؟
الممثلة : والحب؟
المخرج : بعض الهدوء ، إنه لم يحدثنا بعد عن قصته!

(صمت)

: أستاذنا العزيز ، حدثنا عن قصتك .
المؤلف : إنها مجرد مشروع وخطوط عامة .
المخرج : ليكن .
المؤلف : إنها قصة رجل وامرأة .
الممثل : ثمة مجال لبطولة .
الممثلة : ومكان أرجح للحب .
المؤلف : يلتقيان فى غابة .
الناقد : غابة؟
المؤلف : يلتقيان فى غابة .
الناقد : ولم غابة؟
المؤلف : (محتدا) أنا حر .
المخرج : أنا الحر .
الناقد : أخشى أن ترجع بنا إلى عهد الرومانسية البائد؟
الممثلة : هو مكان ظريف على أى حال ، والعرى فيه لا يمكن أن يتهم بالافتعال .
الناقد : اللقاء اليوم فى الشارع ، فى البص ، فى ملهى ليلى .
المخرج : ربما أراد من الغابة أن تهيئ له جوا موحشا حافلا بأخطار الإنسان والحيوان .

الناقـــــد : المدينة أحفل بكل ذلك من أى غابة .

المـــؤلـــف : (ضاربا الأرض بقدمه) يلتقيان فى غابة .

المـمــــثلة : بعض الحلم حتى يتم صورته .

المـــؤلـــف : فى الغابة أخطار لا حصر لها فهما يبحثان عن مأوى يحميهما .

المـمــــثل : ليس فى ذلك شيء من البطولة .

المـمــــثلة : ولكنه مجال طيب للحب .

المـمــــثل : لا حب بلا بطولة .

المـمــــثلة : الحب فى ذاته بطولة .

المـمــــثل : ليست هى ما أبحث عنه .

المخـــــرج : إنه يريد أن يقاتل، يقاتل الوحوش، يقاتل المجهول .

المـمــــثل : أحســـنت .

المخـــــرج : ومن ثم يوجد الصراع وهو أساس الدراما .

المـمــــثل : أما مجرد البحث عن مأوى!

المـمــــثلة : لعله يكتب قصة حب؟

المـمــــثل : الحب لا يكفى وحده موضوعا لمسرحية .

المخـــــرج : وأى مجال يترك لحريتى فى مسرحية بحث عن مأوى؟

المـــؤلـــف : أنا لا أعترف بحريتك المزعومة .

المخـــــرج : أنا أفسر فأنا حر .

المـــؤلـــف : هل تستطيع بحريتك أن تغير النهاية؟

المخـــــرج : صدقنى فإن حرية المخرج هى زينة العرض المسرحى .

المـــؤلـــف : هل تستطيع أن تغير النهاية؟

المخـــــرج : لم تحدثنا عن النهاية .

المـــؤلـــف : يجدان مأوى على درجة من الأمان .

الممثلة : أراهن على أن الحب سيبدأ دوره الخالد .

المؤلف : يحصنانه ضد أهوال لا حصر لها ولا عد .

الممثلة : أكمل . . إنى منتظرة .

المؤلف : يمضيان أوقات الراحة فى عناق حار .

الممثلة : **(تقف من الانفعال وتنتقل إلى جنب المؤلف)** ألم أقل لكم؟

المؤلف : وفى لحظة من لحظات العناق الحار يسقطان جثتين هامدتين!

(صمت)

(يتبادلان النظرات. تمضى الممثلة إلى المكتبة على اليسار وتستند إليها مغمضة العينين)

الناقد : جثتين هامدتين؟!

المؤلف : نعم .

الناقد : وهى النهاية؟

المؤلف : ماذا تتوقع بعد ذلك؟

الناقد : ولكن ما أسباب الموت؟

المؤلف : أى سبب تفترضه، لنقل إنه العناق نفسه!

الممثلة : **(متقدمة خطوات)** الحق أنى لم أفهم شيئا .

المخرج : وماذا عن الأخطار المحدقة بهما؟

المؤلف : لم أتم دراستى لها بعد، ولكن يمكن القول بأنهما قد ينجحان فى تحصين مأواهما .

الناقد : ستكون نهاية متشائمة .

الممثل : وبلا بطولة تخفف من وقعها .

الممثلة : دور الحب غنى، ولكن النهاية . . .؟

المخرج : من حسن الحظ أنه لم ينته من دراسته، وأنه لابد أن تسبق النهاية سلسلة من صراعات شائقة . . .

المؤلف : (متهكما) ربما تكون حرا فى كيفية الوصول إلى النهاية التى أختارها ولكن لا حرية لك فى تغييرها.

المخرج : (فى شبه ثورة) يمكن أن أسدل الستار عند لحظة من لحظات النصر.

المؤلف : فى تلك الحال لن يزعم أحد بأن الرواية روايتى.

الممثل : (وهو يهب واقفا) أنا البطل، أنا الجمهور، وإنى أرفض الأدوار الهابطة!

المؤلف : قدر للسانك قبل النطق موضعه من اللباقة.

الممثل : إنى ممثل قديم، لعبت أدوارا خالدة، صارعت القدر، صارعت الأبطال، صارعت المجتمع، اليوم يراد منى أن ألعب دور الهارب، وأن أموت مستهلكا فى عناق حار، خبرنى بالله أى نوع من الدراما تكون، تراجيديا؟ ملهاة؟

الناقد : أجل.. النوع المسرحى غير واضح.

المؤلف : أنا أقدم مسرحيات لا أسماء.

الناقد : ولكنها تنكبت سبيل الجلال الحق.

المؤلف : الجلال الحق، مازلتم تحنون إلى القدر والأبطال الخرافيين وأسطورة المجتمع، ولكن القدر لم يعد إلا موضة بالية، والبطولة الخرافية مراهقة، وهل يتمخض المجتمع إلا عن لعبة يعبث بها أطفال شريرون لم تحسن تربيتهم؟! إنى أعرف عملى تماما.

الممثل : إنى أرفض مسرحيتك.

الممثلة : لكنها مازالت قصة حب.

الممثل : إنك مخطئة يا عزيزتى، تصورى أن نلتقى فى غابة وأن نلوذ بمأوى! لا مجال للمناجاة أو الحب الحقيقى،

ستكون أعصابنا متوترة طوال الوقت. الحب لا ينمو فى هذا الجو، مجرد عناق عصبى، يروح عن نفسه بالشهوة، ثم نقع جثتين، ستكونين طيلة الوقت محدقة فى فزع، مرتعشة الأطراف، مضطربة الأمعاء، دميمة الوجه، مجرد لبؤة ثائرة ثم جثة هامدة.

الممثلة : كلا.. كلا..

الممثل : ولن يبقى لنا من الحوار إلا كلمات متشنجة، واستغاثات معربدة، وهذيان طويل عن الأخطار المحدقة بنا، ثم نقع جثتين هامدتين!

المؤلف : (محتدا) لست إلا ممثلا فلا تجاوز حدك.

الممثل : (فى غضب وعجرفة) أنا المسرح.. أنا الجمهور..

المؤلف : لست إلا ممثلا.

الممثل : (وغضبه فى تصاعد) وما أنت؟!.. كم من الجمهور رأوك؟.. وكم ممن يرونك يعرفون من أنت؟!

المؤلف : يا لها من وقاحة!

(الممثل يرمى المؤلف بنظرة متوعدة. الممثلة تقترب منه بسرعة فتضع يدها على ذراعه ملاطفة)

الممثلة : لا يليق بكما الخصام.

الناقد : ترى هل تحل بمسرحنا اللعنة؟!

المؤلف : ليلتزم كل بحدوده.

المخرج : الحلم والهدوء، لا تدفعونى إلى اليأس.

الممثلة : عليك بالتماسك وإلا فشلنا وأعرض عنا الجمهور.

الممثل : إن من يسلبنى مجدى إنما يسلبنى كرامتى وحياتى.

المؤلف : لكل زمان مجده الخاص به.

الممثل : العبث ببطولتى التى عشقها الجمهور محاولة لقتلى .

المؤلف : مجدك الحق أن تلعب دورك بمهارة أيا كان دورك .

الممثل : ولو كان الهرب والموت بين أحضان امرأة؟

المؤلف : ولو كان .

الممثل : سينصرف عنكم الجمهور ولن ينفع الندم .

المؤلف : الجمهور يود أن يرى نفسه .

الممثل : لا كما هى ولكن كما يجب أن تكون .

المؤلف : على أساس من واقعها الحقيقى .

الممثل : أهذه هى الكلمة الأخيرة فى البطولة؟

المؤلف : لا يمكن التنبؤ بالمسرحية التالية .

الممثل : إذا تجهمنى زمانى فعلى أن أعتزل .

المؤلف : (متهكما) ها أنت تفكر فى الهروب فى حياتك رغم ثورتك عليها فوق خشبة المسرح .

الممثل : إنى أرفض مسرحيتك .

الناقد : (للمؤلف) فكرتها طيبة ولكن أعد النظر فى النهاية .

المؤلف : (بكبرياء) كلام لا يليق أن يوجه إلى مؤلف .

الناقد : هل نسيت تاريخك القديم؟ . . هل نسيت روائعك؟

المؤلف : آخر مسرحية خير ما ألفت حتى اليوم .

الممثل : حتى هذه المسرحية الشاذة؟

المؤلف : ستكون خير ما ألفت حتى اليوم .

الممثل : (صائحا فى غضب وموجها كلامه للجميع) إنه يضمحل وهو لا يدرى .

المؤلف : (فى غضب) لست أهلا لمناقشتى .

(الممثل يرميه بنظرة غاضبة متوعدة مرة أخرى ولكن الممثلة تأخذه من ذراعه إلى مجلسها السابق فوق الكنبة)

(صمت)

: (محادثا نفسه) تعب وعذاب وها هى النهاية، من يدرى بمتاعب الخلق إلا من يعانيه؟ ثم لا يكفيه ذلك فتتمرد عليه مخلوقاته، وأى تمرد! تعيب خلقه، تعيبه بكل جهل وقحة، تذكره بعمله القديم كأنه عاجز عن تكرار نفسه، تتهمه بالكسل وهى الخامة العاجزة عن تفهم الجديد، وتبين مزاياه، هل يكمل الخلق إذا جاء على هوى المخلوق؟ وقد تدرجت معهم من البسيط إلى المعقد وها هم ينعتون البسيط بالجلال والمعقد بالتفاهة، عقول قاصرة فكيف يمكن أن يتموا الرحلة الطويلة معى؟!

الممثل : (مخاطبا نفسه أيضا تجنبا للخصام) الخلق شىء عظيم أما الغرور فلا عظمة له، لسنا مخلوقات ولكننا شركاء، هو يعرف ذلك وإن أنكره حين الغضب، المسرحية لا تحيا وحدها، يلزمها مخرج وممثلون ونقاد وجمهور، ما قيمة النصر بغير هؤلاء؟ هل تبقى الرواية هى هى إذا تغير الممثلون؟ هل تبقى هى هى إذا تغير المخرج؟ الحق أننا خالقون أيضا، وهو مخلوق لنا بمعنى من المعانى، وجميعنا معذبون بالخلق، والجزاء ليس عادلا، إننا نعيش فترة ثم نختفى كالفقاعات، أما كلماته فتبقى على مدى الأيام. .

(صمت)

الناقـــــد : نريد أن نصفى الجو، وبالاحترام المتبادل نصفيه لا بالتفاخر.

المـمـــثل : (آتيا بحركة تدل على الحسرة) إنى أبكى الأيام السعيدة الماضية، أخاف ألا تعود مرة أخرى، كنت أخطر على خشبة المسرح رمزا للإنسان فى ذروة نبله ونضاله، وعلى المسرح كانت تتواجه قوى الخير والشر وبينهما تقوم الإرادة الحرة المتوثبة، والخير لم يكن ينهزم وإن حاقت به هزيمة والشر لا ينتصر وإن أحرز نصرا، ذلك أن خشبة المسرح لم تكن تخلو من إله عادل.

المـمـــثلة : (تتأثر فتقوم لتتمشى وهى تتكلم) أجل، المرأة كانت وحيا، الحب كان دينا، النور يهزم جيوش الظلام بنصله اللامع، الأمومة مقدسة، الوفاء مقدس. الرذيلة شيطان، لا شىء لهو ولعب.

المـمـــثل : أين الآلهة؟ أين البطولة؟ أين الحب؟ أين الأمل؟ لم تبق إلا غابة مليئة بالوحوش، وآدميان هاربان لائذان بكهف، لم يبق إلا الخوف والتوجس والهستيريا والموت، أى دور هذا ؟

(الممثل يقف منفعلا ثم يهتف بصوت مرتفع)

: إنى أرفض مسرحيتك.

المـــؤلــف : لا تتخط حدودك.

المـمـــثل : لم أتخط حدودى.

المـــؤلــف : لا تحلم كالمراهقين.

المـمـــثل : لا تتخط حدود اللياقة.

(صمت)

المؤلف : هذا هو مشروع روايتى الجديدة، وإنى مقتنع به.
الممثل : إنى أرفضها.
الممثلة : (بصوت منخفض) على العين والرأس ولكن . . .
المخرج : عملى يبدأ بعد انتهاء عملك.
الناقد : لا أدرى هل يبكى المشاهد أو يضحك؟
المؤلف : لم يكن أحد يجادلنى فيما مضى.
الممثل : كان العمل رائعا.
المؤلف : المؤلف الحق يطالب بالطاعة والإعجاب.
الممثل : (متهكما) الطاعة والإعجاب؟!
المؤلف : (منفعلا بالغضب) وإلا هدمت المسرح على من فيه.
الممثل : إنى أشهدكم على ما يقول.
المؤلف : من حقى أن أقول ما أعتقده.
الممثل : تحت شرط ألا تمس كرامة الآخرين.
المؤلف : لقد خلقت منكم نجوما وكواكب ولن يعجزنى أن أخلق غيركم.
الممثل : الحق أننا نحن الذين خلقناك.
المؤلف : لو تخليت عنك لتسولت حتى الموت.
الممثل : لولاى لما نجحت لك رواية واحدة ولبثت مؤلفا ناشئا!

(الممثل يتقدم إلى الممثلة فيأخذ بيدها متجها فى تحد إلى المؤلف)

: هل نسيت فضل هذه الفنانة؟ أو حسبت أن الجمهور يتدفق علينا من أجلك؟!
المخرج : (للمؤلف ممتعضا) وأنا يا أستاذ؟ هل نسيت عروضى الرائعة؟

الناقد : (للمؤلف أيضا) سامحك الله، وقلمي الذى كرسته للإشادة بعبقريتك؟ إن الناس لا تثنى عليك إلا بكلماتي . .

الممثل : (غاضبا) نحن الذين خلقناك.

المؤلف : سأعهد بعملى إلى آخرين، اغربوا عن وجهى.

الناقد : لكل مسرح رجاله، ونحن رجال هذا المسرح.

المؤلف : إذن لن تقدم به مسرحيات بعد اليوم.

المخرج : سيغلقه الظلام ويدركه العدم.

المؤلف : لن أتضور جوعا، إنى رجل لم تغره الحياة الدنيا مثلكم، ولكنكم ستتسولون فى مجرى عام.

الممثل : ولكن لن تخلق، وهو ألعن من التسول.

المؤلف : حسن، فليمض كل إلى سبيله.

(صمت)

الناقد : لقد حلت اللعنة بمسرحنا.

الممثلة : قلبى يتمزق.

المؤلف : أنتم المسئولون عن ذلك.

الممثل : أنت وحدك المسئول.

المخرج : مسرح عريق فى القدم والنجاح.

الممثلة : يئس من اللحاق به الأعداء.

المؤلف : وبطرت نعمته أصحابه.

الناقد : لا أصدق، لن يهون أمره على أحد منا (ثم موجها الخطاب للمؤلف) وأنت على وجه الخصوص، ليس أول مرة يعصف بك الغضب . .

المؤلف : (مشيرا إلى الممثل) جاوز حدود اللياقة باستهانة لا تغتفر.

الناقد : ما تزال قابلة للغفران.

المخرج : لن يدرك مسرحنا العدم ولو اضطررنا إلى إعادة تقديم الروايات القديمة.

المؤلف : هذا هو الإفلاس، ولن يخفى على أحد.

(صمت)

الناقد : لنكن إيجابيين فى حوارنا، أصغوا إلىّ، يمكن استخلاص عنصر صراع بطولى من مجرى الرواية.

الممثلة : (بلهفة) كيف؟

الناقد : الرواية مازالت مشروعا، وقد قال الأستاذ إن الرجل والمرأة سيلوذان بكهف، أليس كذلك؟

الممثلة : بلى.

الناقد : إنه كهف كبير، لاذ به كثيرون..

(ينظرون إلى المؤلف مستطلعين فلا يعترض)

: لدينا كهف وسط غابة مليئة بالوحوش والأخطار المجهولة، وهو فى الوقت نفسه مكتظ بالناس، ثمة فرصة لقيام صراع ما بين بطلنا وبين أحد أو أكثر من الآخرين..

الممثل : صراع سخيف؟! غير بطولى، إذا كانت الأخطار تحدق بالكهف من كل جانب، فكيف يجوز أن يقوم صراع بينهم؟!

الممثلة : وكيف يطيب الحب فى مثل ذلك الجو؟!

الناقد : قد يكون صراعا غير منطقى ولكنه ممكن إذا قيس بمقاييس الطبيعة البشرية، وبخاصة إذا توفرت أسبابه...

الممثلة : أسبابه؟

الناقد : المرأة، عدم وفرة الماء والغذاء . .

الممثل : الصراع الحق هو ما قام بين البطل والوحوش، أو بينه وبين المجهول .

(ينظرون جميعا إلى المؤلف مستطلعين)

المؤلف : **(بفتور)** ثمة مجال لصراع فى الداخل وآخر فى الخارج .

الناقد : يسعدنى أن نعود إلى المناقشة . .

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الناقد : المناقشة تفتح الأبواب .

المؤلف : ولكنها تفسح المجال للرغبات الشخصية التى لا تمت إلى الفن بصلة .

الممثل : رغباتى فنية وليست شخصية .

الممثلة : **(فى رقة متناهية)** النهاية مهمة جدا .

المؤلف : المؤلف يكتب مسرحيات متتابعة، لكل مسرحية شخصيتها المستقلة، ولكنها فى مجموعها مسرحية كبرى ذات نهايات متكاملة .

الممثل : ما يهمنا الآن هى مسرحية الافتتاح .

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الممثلة : ليكن صراع من أى نوع كان ولكن يجب أن ينتهى بانتصار الحب .

المخرج : كيف يمكن استخلاص إيقاع غرامى من ضجيج الغابة الموحشة؟!

الممثلة : **(بحدة)** إذن الأفضل ألا يكون للمرأة دور!

الممثل : ما أجمل أن ينتهى الصراع فى الداخل إلى القضاء على أسبابه، ومن ثم يتجهون جميعا نحو الخارج . .

الناقد : وماذا يقع فى الخارج؟
الممثل : صراع جديد فنصر جديد.
الممثلة : وحب طيلة الوقت!
الناقد : حلم جميل ولكن الجمهور لم يعد يستسلم للأحلام طويلا . .
المخرج : ثمة مشروع مضاد وهو أن يقضى الصراع على اللائذين بالكهف ثم تقتحمه الوحوش فتلتهم الأحياء والجثث.
الناقد : كئيب أكثر مما تحتمله الأعصاب . .
المخرج : لم يبق إلا أن يستمر الصراع بالداخل والتهديد فى الخارج!
النقاد : نهاية مفتوحة تدعو للبلبلة . .
الممثلة : (محتجة) تتكلمون عن الصراع ولا تذكرون الحب بكلمة.
المخرج : أيا كان الحال فسوف تتخلله لحظات حب وغناء ورقص . .
الناقد : ولكن هل يتفق ذلك مع مرارة الصراع؟
المخرج : هكذا تمضى الحياة، وبذلك نرضى جميع الأذواق.
(ينظرون إلى المؤلف مستطلعين)
المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد.
الناقد : ما رأيك فى الاقتراحات التى عرضت؟
المؤلف : لا رأى لى الآن.
الناقد : ولكننا استعرضنا كافة الاقتراحات المحتملة.
المؤلف : لا حصر للاحتمالات الممكنة.
الممثل : عدنا على الأقل بصراع بطولى من أى نوع كان؟

الممثلة : وبحب يستحق هذا الاسم!

المؤلف : لا أعد بشيء .

الممثل : ولكنك حر وبوسعك أن تعد وأن تفى بما تعد .

المؤلف : لا تتحدث عنى بخير أو شر .

الناقد : حذار أن يعاودنا الخصام .

المخرج : نحن فى حاجة إلى استراحة قصيرة، بنا إلى البوفيه لنتناول بعض المرطبات .

(ويذهب الناقد والمخرج والممثل. الممثلة تقف ولكنها لا تبرح مكانها. المؤلف يغادر موقفه عند المكتب ليتمشى ذهابا وجيئة. ثم يعود إلى موقفه مستندا إلى مكتبه، والممثلة تتابعه بعينيها طوال الوقت)

المؤلف : **(كأنما يسأل نفسه)** هل حقا حلت اللعنة بمسرحنا؟

الممثلة : لن تحل بنا إلا إذا قررت أنت ذلك .

المؤلف : ولكنه بمعنى ما مسرحى، إنه جزء من نفسى لا يتجزأ .

الممثلة : ونحن عناصره التى لا تقوم إلا بها .

المؤلف : عمل واحد وهدف واحد .

الممثلة : بالحق نطقت .

المؤلف : فيم الخلاف إذن؟

الممثلة : لا خلاف حقيقى ولكنه الخوف، لقد أفسدت المنافسة المريرة أعصابنا .

المؤلف : بالتالى ضقت بهم ذرعا .

الممثلة : ليتسع لهم صدرك .

(صمت)

: هل يضايقك وجودى؟

المؤلف : بل يسعدنى .

الممثلة : (فى شىء من التردد) أود أن أخلو إليك بعض الوقت .

المؤلف : بكل سرور، فرصة طيبة .

الممثلة : لا قيمة لأكليشهات المجاملة لمن يتطلع للعاطفة الحقيقية!

(ينظر إليها فى تساؤل ودهشة)

: لم الآن؟ لم أختار هذه اللحظة لأفضى إليك بأسرار قديمة؟ ربما لأننى شعرت لأول مرة بأنك تهددنا حقا بالفراق الأبدى . .

المؤلف : أعترف بأننى ضقت بالعناء والمكابرة .

الممثلة : عدنى بألا تقرر الفراق مهما يكن من عنادهم ومكابرتهم .

المؤلف : كيف يمكن أن أعد بذلك؟

الممثلة : عدنى بلا قيد أو شرط؟

المؤلف : بلا قيد أو شرط؟

الممثلة : بلا قيد أو شرط .

المؤلف : إنى أشكر لك عواطفك ولكنه طلب غير عادل .

الممثلة : لأنه مسرحك، لأنه مسرحنا، لأننا أسرتك، ولأننى . .

المؤلف : ولأنك؟

الممثلة : ولأننى . . ولأننى . . ولأننى لولاك ما عرفت طريقى إلى المسرح .

المؤلف : حقا؟!

الممثلة : نعم .

المؤلف : لم تحدثينى عن ذلك من قبل .

الممثلة : لم أحدثك عن نفسى قط .

(صمت يتبادلان نظرات صامتة)

: ألا تذكر أيام زمان؟

المؤلف : بلى، حينما كنت طفلة . .

الممثلة : حينما كنت فتاة صغيرة لا طفلة . .

المؤلف : كنت ألمحك فى الطريق أحيانا .

الممثلة : أكنت ترانى حقا؟

المؤلف : من حى واحد كنا، إنى أذكر تلك الأيام .

الممثلة : اعتقدت أنك لم ترنى قط .

المؤلف : فى الشرفة رأيتك وأمام باب البيت .

الممثلة : وقلت لنفسى إما أنه إله أو أنه صخر .

المؤلف : صخر؟!

الممثلة : ذلك أنك لم تعرف سهر الليالى ولا الوسائد المبللة بالدموع .

(يتبادلان نظرة طويلة، هى تلقيها إليه بثبات، وهو بدهشة)

: وصممت على أن أكبر نفسى لعلى ألفت نظرك . انتعلت حذاء بكعب عال، غيرت التسريحة، ضيقت أعلى الفستان لأبرز صدرى، ولكنك لم ترنى . .

المؤلف : (باسما) آسف جدا، كنت صغيرة وكنت كبيرا .

الممثلة : المسألة أنك لم تحبنى . .

(صمت)

: ولحبك أحببت المسرح، أحببت مسرحك، غيرت مجرى حياتى رغم معارضة أهلى الشديدة . .

المؤلف : إنى أغبط نفسى على الخدمة التى قدمتها للمسرح دون تخطيط .

الممـــــثلة : ومضى حبى ينمو بلا حدود، ولما تخرجت فى المعهد اتصلت بك تليفونيا، طالبة ناشئة تعرض نفسها على المؤلف الكبير . .

المــؤلــف : متى كان ذلك؟ إنى لا أذكره . .

الممـــــثلة : طبعا فهو حديث يتكرر يوميا عشرات المرات .

المــؤلــف : أكــرر الأسـف .

الممـــــثلة : وسد سكرتيرك الطريق فى وجهى، ومن ناحية أخرى لم تكن تبرح ضاحيتك أغلب الوقت، ولا تزور المسرح إلا فى أوقات نادرة وفى ظروف مجهولة لى، وهكذا وجدت بابك مغلقا بعد طريق طويل شققته بالجهاد والعناء والصبر .

المــؤلــف : حكاية مؤسفة حقا .

الممـــــثلة : ما مضى قد مضى .

المــؤلــف : ولكنك عرفت بالإصرار طريقك إلى مسرحنا .

الممـــــثلة : سلمت بتوجيه السكرتير فذهبت إلى المخرج .

المــؤلــف : وسيلة ناجعة فيما يبدو .

الممـــــثلة : قابلته واقترحت عليه أن يختبرنى فى مكتبه ولكنه . .

المــؤلــف : ولكنــه؟

الممـــــثلة : اعتذر بضيق الوقت وكثرة الأعمال ثم دعانى إلى مسكنه الخلوى!

(المؤلف يبتسم. الممثلة تقطب)

: غادرته متحدية، وغالبت ترددى حيالك حتى غلبته، فكتبت لك رسالة مطوية اعترفت لك فيها بحبى الذى أسرنى منذ صباى .

(صمت)

: لا تتذكر شيئا؟

المؤلف : الحق .

الممثلة : (مقاطعة) الحق أنك تتلقى مئات الرسائل مثلها!

المؤلف : لم تكن لى ثقة كبيرة فى الرسائل .

الممثلة : ذهبت إلى المسكن الخلوى .

(صمت)

: كثيرا ما يدفع الحب الخائب إلى المساكن الخلوية .

المؤلف : الحياة سلسلة من التجارب المتناقضة .

الممثلة : هكذا انضممت إلى مسرحك .

المؤلف : مهما يكن من أمر فقد كسب بك نجمة لامعة .

الممثلة : وعندما قدمت لك لأول مرة وضح لى أنك لا تتذكرنى .

المؤلف : ولكن سرعان ما تذكرتك .

الممثلة : وثبت لدى أن حبك سراب مستحيل فلذت بصمت الكبرياء .

(صمت)

: ودفعنى حبك المستحيل من بيت خلوى إلى بيت خلوى .

المؤلف : الحق أنك اشتهرت فى الوسط بكثرة العشق!

الممثلة : على حين أنى لم أعرف من الحب إلا حبك!

المؤلف : فنانة كبيرة وقلب كبير .

الممثلة : تصورنى الرسوم الكاريكاتورية امرأة شهوانية بينا أننى أعاف فى أعماقى الشهوة والفساد .

المؤلف : إنى أصدقك .

الممثلة : ولكننى أعبر من خلال علاقاتى العابرة بالآخرين عن تشوفى الخالد إليك .

المؤلف : إنى أحترم عاطفتك وأفهم سلوكك .

الممثلة : ولكنك لا تحبنى؟

المؤلف : أحبك بقدر ما يستطيع شخص فى سنى أن يحب امرأة فى سنك .

الممثلة : إنك من الذين يتعذر تقدير أعمارهم حتى قيل عنك إنك فى سياحاتك الموسمية حول العالم تجدد شبابك وتنفق فى ذلك عن سعة؟

(المؤلف يغرق فى الضحك وهى لا تحول عنه عينيها)

المؤلف : هل تؤمنين بالأساطير؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أعترف أن حبك سيجدد شبابى .

الممثلة : إنك تتكلم من بعيد، ولا ألومك فلا حق لى عليك، ولكن لم لَم تتزوج؟

المؤلف : لم يكنَ الزواج من أهدافى أبدا .

الممثلة : عدو للمرأة؟ !

المؤلف : لعلى لم أتزوج لشدة حبى للمرأة .

الممثلة : لا خبرة لى بالمغالطات اللفظية .

المؤلف : أعترف بأننى شىء غير مهضوم من وجهة نظر الطبيعة البشرية .

الممثلة : على كل حال ما مضى قد مضى، وما يهمنى الآن هو ألا تفكر فى هجر مسرحنا .

(صمت)

: طالما أنت على رأسه فإنى أشعر بأنى أعمل فى بيتى وبأن حياتى رغم تمزقها وضياعها لم تفقد كل معنى لها، وبأنى إذا كنت أخفقت فى أن أكون خليلتك أو زوجك فإنى على الأقل نجمة مسرحياتك.

المؤلف : النجمة التى ساقت إلىّ الملايين.

الممثلة : ولا تنس أن الحب هو الدور الذى خلدنى.

المؤلف : وشارك فى تخليد أعمالى.

الممثلة : وإننى أشعر وأنا أقوم به بأننى أمارس حبك الكبير الذى استحال علىّ خارج المسرح.

المؤلف : إنى مدين لك بالكثير.

الممثلة : عدنى إذن ألا تهجرنا مهما يكن من أمر.

(صمت)

: ألا تريد أن تعدنى؟

المؤلف : بدا التفاهم اليوم مستحيلا.

الممثلة : إنهم يحبونك أيضا. صدقنى إنهم يحبونك أيضا، المسألة أنهم خائفون، المنافسة مرة ومزلزلة للأعصاب، وهم من طول ما مارسوا البغضاء فى نزاعهم مع المسارح المحيطة بنا انطبعت البغضاء فى أساريرهم وسلوكهم ونوازعهم، كأنما قد فقدوا القدرة على الحب، وألفوا التحدى والوقاحة والتهور، تصوروا فى غضبهم أنه يمكن أن يوجد هذا المسرح بدونك، محض خيال مريض، تخيلوه بأخيلة هزيلة مريضة، ولو ضننت عليهم بوجودك لتقوضت الجدران فوق رءوسهم، وتلاشت فرص الندم.

المؤلف : لا أوافق على أن أكرر نفسى بحال .

الممثلة : سيدى . . هل حقا لم يبق للفن إلا غابة وكهف ورجل وامرأة يموتان فى حومة هذيان؟

المؤلف : إننى أعرف ما أصنع .

الممثلة : ولكننا لم نعرفه بعد .

المؤلف : علينا أن نواجه الحقائق ، هذه مواجهة وليست هروبا .

الممثلة : هبنى قدرا من الحب ليستقيم دورى ، ووفر له نصيبا من البطولة!

المؤلف : ممثل متعجرف! . . أهو آخر عشاقك؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أيعاملك ببطولة؟

الممثلة : (ضاحكة فى امتعاض) معاملته لى تتم وراء جدران لا أمام الجمهور .

المؤلف : إنه برمجى نساء كما هو معروف .

الممثلة : ربما .

المؤلف : لماذا ارتضيته عاشقا؟

الممثلة : ليس أسوأ من غيره .

المؤلف : إنه لا يمارس البطولة إلا فوق خشبة المسرح .

الممثلة : والحب الحقيقى أين يمارس إلا فوق خشبة مسرحك؟

المؤلف : إنهم يكرهون مشروعى الجديد لأنه يعكس بصدق خبايا نفوسهم .

الممثلة : كنت رفيقا بهم فى الزمان الأول .

المؤلف : كانت دنيا أخرى ، وكانوا ناشئين مبتدئين .

الممثلة : أولهم بعض الاحترام الذى نعموا به قديما .

المؤلف : أعترف لك بأننى أعاملهم دائما باحترام .

الممثلة : حقا؟

المؤلف : وروايتى الجديدة أكبر دليل على ذلك!

الممثلة : لا أفهمك يا حبيبى .

المؤلف : عليك أن تفهمينى يا حبيبتى .

الممثلة : ما أحلى هذا الحديث ، نتحدث كما لو كنا حبيبين حقا .

المؤلف : نحن كذلك .

الممثلة : حقـــا؟

المؤلف : كل بطريقته .

الممثلة : ليس للحب إلا طريقة واحدة .

المؤلف : بل له طرق كثيرة .

الممثلة : وما طريقتك فى الحب؟

المؤلف : العمـــل .

(تقترب منه خطوة، تمعن فيه النظر)

الممثلة : ألم تحب بطريقتى البسيطة؟

المؤلف : ربما ، ولكن بعيدا عن الوسط الفنى .

الممثلة : (متنهدة) تصور أننى لم أدخل الوسط الفنى إلا سعيا وراء حبك .

(صمت)

: والآن هل تعدنى؟

المؤلف : أرجو أن تسير الأمور سيرا حسنا .

الممثلة : شـــكرا .

المؤلف : عفـــوا .

الممثلة : (بعد تردد) أود أن أقبلك ولو قبلة واحدة .

(الممثلة تقترب منه. يتعانقان متبادلين قبلة طويلة. فى ذات اللحظة يدخل الممثل وفى أعقابه المخرج والناقد. المؤلف والممثلة يفترقان فى كثير من الارتباك. الممثل يذهل لحظة. ثم يحاول الهجوم على المؤلف ولكن المخرج والناقد يحولان دون ذلك)

الممثل : (صائحا) داعرة محترفة وعجوز منحل. . سأحطم رأسك. . .

الممثلة : اخرس. . لا تتكلم بغير فهم.

الناقد : ما رأيناه لا يجوز أن نسيء فهمه، ما هو إلا عناق أبوى!

الممثل : أبوى!!. . أنت لا تعرف شيئا عن تدهور الشيوخ!

المؤلف : تأدب. .

الممثل : سأحطم رأسك، لن تفلت من قبضتى. . .

الممثلة : اخرس، قلت لك ألا تتكلم بغير فهم.

الممثل : إنى خير من يفهمك يا خنزيرة!

الممثلة : ما أنت إلا حيوان غبى.

الممثل : لا زلت بغيا تنتقلين من فراش إلى فراش.

الممثلة : تأدب وإلا أسكتك بالحذاء.

الممثل : ولكنك تنتقلين هذه المرة إلى نعش.

الممثلة : (للآخرين) أسكتوا هذا الحيوان الأعمى.

الناقد : (ضاربا جبينه بيده) لقد حلت بمسرحنا اللعنة.

الممثلة : (بصوت مرتفع) لن تحل بمسرحنا اللعنة.

المخرج : سوء فهم واضح، واضح البراءة.

الناقد : (مخاطبا المؤلف) بوسعك أن تحسم سوء الظن بكلمة.

(المؤلف يلزم الصمت فى كبرياء)

المخـــــرج : (للممثلة) لديك بلا شك ما تدافعين به عن نفسك.

المـمـــثلـة : إنى أرفض أن أقف موقف الاتهام.

المـمـــثـل : لقد رأيناهما متلبسين!

المخـــــرج : يجب أن تخجل من نفسك.

الـناقـــد : حتى إن سوء الظن أمر مخجل.

المخـــــرج : (للمؤلف) تكلم يا أستاذ (ثم للممثلة) تكلمى أنت، علينا أن ننتهى من سوء التفاهم ونصفيه بسرعة لنستأنف مناقشة المشروع الجديد.

المـمـــثـل : (للمخرج) يا للغرابة، إنك تتكلم عن أعمق العلاقات البشرية كما لو كانت عبث أطفال . . .

المخـــــرج : (للممثل) لقد وجدتنى ذات يوم فى مثل موقفك، وكنت حيال خيانة حقيقية لا مجرد سوء تفاهم برىء، وكان غريمى وقتذاك صديقنا الناقد، كيف تصرفت؟ كظمت غضبى وواصلت تدريباتى للمسرحية الجديدة.

المـمـــثـل : أنت جبـــان.

المخـــــرج : أنت حيـــوان.

(الممثل يوجه لكمة لرأس المخرج. المخرج يترنح واضعا يده على موضع الضربة. يمضى إلى الكنبة ويرتمى عليها. يسند رأسه إلى مسندها ويمد ساقيه فى إعياء.

الممثلة تثور وتلطم الممثل على خده فيعميه الغضب ويوجه لطمة إلى رأسها فتقع إلى جانب المخرج. الناقد يسرع إلى إجلاسها، ويهجم على الممثل. يتبادلان الضرب حتى يسقطا متتابعين. يقومان مترنحين ويلوذ كل منهما بمقعد حول الكنبة.

الأربعة جالسون متقاربين وفى حالة إعياء شديد تقارب الإغماء. وطيلة الوقت لزم المؤلف موقفه وهو يراقب ما يحدث ببرود)

(صمت)

(يفتح الباب فيدخل السكرتير، يتجه نحو المؤلف دون أن ينتبه إلى الآخرين)

السكرتير : مندوب مجلة إيزيس .

(يدخل مندوب المجلة. السكرتير يغادر الحجرة. المندوب يمضى إلى المؤلف فيصافحه. يتحول إلى الجالسين ولكنه يتوقف فى ذهول. يردد بصره بينهم وبين المؤلف. يتراجع إلى قريب من المؤلف)

المندوب : آسف على مجيئى دون موعد سابق .

المؤلف : إنها مفاجأة ولكنها سارة .

المندوب : (مشيرا إلى الجالسين) ماذا حصل لهم؟

المؤلف : فرغوا لتوهم من تدريبات الرواية الجديدة .

المندوب : حقا! . . مجرد تدريبات؟!

المؤلف : مجرد تدريبات .

المندوب : إنها رواية عنيفة فيما أرى؟

المؤلف : لا تخلو من عنف .

المندوب : إنى أرى آثار كدمات : وألمس إعياء واضحا على وجوههم، كأنما هى رواية من روايات رعاة البقر!

المؤلف : لا تخلو من حيوانات .

المندوب : حتى فناننا الكبيرة تطرح رأسها فى شبه إغماء، إنه لأمر غير معقول .

المـؤلـف : لا تخلو من جنون

المـنـدوب : إن عرض مسرحية بذاك العنف شهورا متواصلة يجب أن يعد معجزة!

المـؤلـف : وهى لا تخلو من معجزات .

المـنـدوب : (مشيرا إلى الممثلة) هل أصيبت وهى تدافع عن شرفها؟

المـؤلـف : أصيبت وهى تدافع عن شرف البطل .

المـنـدوب : ولكن المعتاد أن البطل يزود عن شرف الآخرين بالإضافة إلى شرفه هو؟

المـؤلـف : هى لا تخلو من طرافة وجدة!

المـنـدوب : لعل المسرحية تميل إلى التشاؤم؟

المـؤلـف : لا تخلو من تشاؤم .

المـنـدوب : ولكن موقف البطلة يدعو للتفاؤل فيما أعتقد؟

المـؤلـف : لا يخلو من تفاؤل .

المـنـدوب : كيف تجمع مسرحية بين التشاؤم والتفاؤل وهما نقيضان؟

المـؤلـف : لا تخلو من تناقض .

المـنـدوب : معذرة يا عميد المؤلفين ألا يعتبر ذلك ضعفا؟

المـؤلـف : لا تخلو من ضعف .

المـنـدوب : ولم لَم تبلغ بها الكمال المعهود منك؟

المـؤلـف : الكَمال للموت وحده .

(المندوب يضحك عاليا. ثم يعقب ذلك صمت)

المـنـدوب : جميع المسارح تتساءل عن عرضكم القادم، وقد بلغت المنافسة بينها ذروة المرارة، المؤامرات تدبر فى الظلام،

المرتزقة يستأجرون لإحداث الشغب، ألا يمكن أن يسود السلام بين المسارح؟

(صمت)

: كثيرون من العقلاء يعقدون عليك الآمال بوصفك عميد المؤلفين لتقوم بخطوة حاسمة فى هذا السبيل؟

المؤلف : لا وقت عندى إلا للعمل.

المندوب : هلا كرست لذلك يوم راحتك الأسبوعى؟

المؤلف : يوم الراحة للراحة.

المندوب : إنهم يحلمون بأن تجمع المسارح فى وحدة متعاونة يسودها السلام الذى يسود مسرحك!!

المؤلف : لن أجد فى سنى هذه من يمكنه التفاهم معى..

(المندوب يبتسم وهو يشد على ذراع المؤلف إعجابا وتقديرا)

المندوب : أعلم أنك لا تحب الحديث عن رواية جديدة قبل عرضها ولكن لدى بعض أسئلة تقليدية يتابعها الجمهور عادة بشغف.

(المؤلف يهز رأسه بالموافقة صامتا)

: كم من الوقت استغرقت فى كتابتها؟

المؤلف : (حاسرا كم الجاكتة عن معصمه اليسرى) أنا لا أستعمل الساعات.

المندوب : م استلهمت فكرتها العامة؟

المؤلف : شرعت فى كتابتها عقب تفكير طويل فى المغص.

المندوب : (ضاحكا) هل يمكن إرجاعها إلى تجربة شخصية مرت بك فى حياتك العامرة؟

المؤلف : ربما أمكن إرجاعها إلى علاقة قديمة قد قامت بينى وبين مطرب أخرس.

المنـــدوب : مطرب أخرس؟

المـــؤلـــف : نعـــم .

المنـــدوب : وكيف أمكنك معرفة تطريبه؟

المـــؤلـــف : هذا ما ستجيب عنه المسرحية .

(المندوب يضحك عاليا. يصافح المؤلف. يذهب. المؤلف يلقى نظرة على الجالسين. يسوى ربطة عنقه ومنديل جيب الصدر تأهبا للذهاب.

الممثلة تنظر نحوه. تقاوم ضعفها فتعتدل فى جلستها)

المـمـــثلـة : انتظـــر .

(تدلك رأسها. تقوم بصعوبة. تمضى إلى أقرب المقعدين المتقابلين أمام المكتب لتعتمد عليه)

: متى نجتمع لنقرأ النص الجديد؟

(صمت)

: لا تهجرنا .

(صمت)

: لقد وعدت بألا تهجرنا .

(صمت)

: **(مشيرة إلى الجالسين)** ما وقع بيننا ليس الأول من نوعه ولن يكون الأخير .

(صمت)

: سوف تعود المياه إلى مجاريها .

(صمت)

: **(مشيرة إلى الممثل)** سيكون أول من يعتذر، إنى خير من يعرفه .

(صمت)

(يتبادلان نظرة طويلة. هى متطلعـة فى لهفة وهو لا ينم وجهه عن شىء. فيـتصافـحان ثم يمضى على مـهل إلى الخارج ويرد الباب وراءه. الممثلة تتابعه بعينيها ثم تظل رانية إلى الباب)

المهـــمّـــة

(بقعة صحراوية خالية. تقوم فى وسطها هضبة صخرية. أمام الهضبة يتمشى شاب جيئة وذهابا وهو ينظر فى ساعته من آن لآن. الوقت أصيل. الشاب أنيق بدرجة ملحوظة. والجو يوحى بأنه ينتظر موعدا غراميا.

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقيلة. الشاب يرهف السمع فى قلق، وباقتراب الأقدام يتجهم وجهه ويتوقف عن المشى فيلزم مكانه أمام الهضبة.

يدخل رجل فى الخمسين، مهمل الهندام، ولكنه قوى البنية يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى إلى يسار الهضبة فيقف متطلعا إلى الخلاء.

الشاب ينظر صوب الرجل مقطبا ولكن الآخر يبدو وكأنه لا يشعر له بوجود. يقترب منه خطوة).

الشاب : (مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد وغضب)

: ماذا تريد؟

(يظل الرجل رانيا إلى الخلاء كأنما يسمع صوتا)

: (بصوت أشد ارتفاعا) إنى أسألك عما تريد.

(الرجل يبدو مستغرقا فى الأفق، ويترنم مغنيا)

والله زمان والله . .

: (بحدة حانقة) لماذا تتبعنى؟

(الرجل يواصل ترنمه فى هيمان)

: إننى أخاطبك وأنت تعلم ذلك، لا أحد سوانا فى هذا الخلاء.

الرجل : (ملتفتا فى دهشة) حضرتك تخاطبنى؟

الشاب : دون سواك.

الرجل : معذرة، ماذا قلت؟

الشاب : إنى أسألك عما تريد منى.

الرجل : (متظاهرا بالدهشة) أنا؟!

الشاب : أنت، أنت دون سواك.

الرجل : عجيب سؤالك يا سيدى، أنا لا أريد منك أى شيء.

الشاب : لم إذن تتبعنى بإصرار؟

الرجل : أتبعك، إنى أراك لأول مرة فى حياتى!

الشاب : (بعناد) إنك تتبعنى منذ الصباح الباكر، ولم تكف عن تتبعى حتى هذه اللحظة من الأصيل

الرجل : أنت مخطئ فى ظنك فأنا لم أرك وبالتالى لم أتبعك.

الشاب : لم أذهب إلى مكان إلا رأيتك قادما فى أثرى.

الرجل : لا يحق لى أن أكذبك ولكنى لم أرك ولم أتبعك.

الشاب : (بنبرة لا تخلو من تهكم) أهى مجرد مصادفة؟

الرجل : سمها كيفما شئت.

(صمت. يعود الرجل إلى النظر صوب الأفق أما الشاب فلا يبرح مكانه ولا يكف عن النظر إليه).

الشاب : هل تتفضل بإخبارى عن الجهة التى تنوى الذهاب إليها بعد هذه الوقفة؟

الـرجـل : (ملتفتا نحوه فى دهشة) بأى حق تسألنى هذا السؤال الغريب؟!

الشـاب : معذرة، أود التخلص من فكرة اتباعك لى.

الـرجـل : أنا لا أعرفك، لم أتبعك، وفى هذا الكفاية.

الشـاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا؟

الـرجـل : بـلى.

الشـاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم.. فلافل.. بشارع محمد على؟

الـرجـل : بـلى.

الشـاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى مقهى الشمس؟

الـرجـل : بـلى.

الشـاب : ألم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار؟

الـرجـل : بـلى.

الشـاب : ألم تشهد مزادا بصالة المعروضات بالدقى؟

الـرجـل : بـلى.

الشـاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى عيادة الدكتور عرنوسى طبيب الأسنان؟

الـرجـل : بـلى.

الشـاب : ألـم...

الـرجـل : (مقاطعا) أكنت تتبعنى يا سيدى؟

الشـاب : (ضاحكا ضحكة جافة) أنا؟!

الـرجـل : أليس من الغريب أن تعرف تحركاتى طيلة اليوم بهذه الدقة؟!

الشـاب : ولكنك كنت، لا مؤاخذة، كأنك كنت تتبعنى!

الـــرجـــل : لقد شغلت نفسك بى أكثر مما يتصور .

الـشـــاب : فى كل مكان رأيتك قـادمـا فى أثرى، حـتى فى هذه المنطقة النائية الخالية!

الـــرجـــل : عجيب أننى لم أرك ولا مرة واحدة .

الـشـــاب : الحق أن عينينا التقتا أكثر من مرة .

الـــرجـــل : لا يرى الإنسان جميع ما تقع عليه عيناه من أشياء .

الـشـــاب : إذن فأنت لا تتبعنى؟

الـــرجـــل : ولم أتبعك؟

الـشـــاب : لعلك تعذرنى .

الـــرجـــل : لـك العــذر .

الـشـــاب : مصادفة عجيبة .

الـــرجـــل : هى بالقياس إلى لا شىء .

(الشاب يضحك ضحكة عصبية ثم يسود الصمت. وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل)

: آسف جدا لأنى أزعجتك بغير قصد .

الـشـــاب : أن تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا .

الـــرجـــل : ليس فى جميع الأحوال .

الـشـــاب : أعنى إذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى .

الـــرجـــل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة .

الـشـــاب : لا يكفى هـذا لإسـكات وسـاوسك مـا دمت تجـهله وتجهل مقصده .

الـــرجـــل : (باسما) أيهـما أبعث على الخـوف . . المجـهول أم المعروف؟

الـشـــاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا .

الــــرجــــل : الحق أننا نخاف أكثر مما ينبغى .

(الشاب يصمت متجهما)

: أكـرر الأسـف .

الـشـــــاب : (بعصبية) الحق أنك أفسدت علىَّ يومى كله .

الــــرجــــل : عجيب أن نرتكب جريمة ونحن لا ندرى .

الـشـــــاب : وجـئت إلى هذه الـبـقـعـة الخـاليـة النائيـة لأكـتـشـفك وأحرجك!

الــــرجــــل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .

الـشـــــاب : ترى ما الذى دعاك إلى المجىء إلى هنا؟

الــــرجــــل : إنها أحد الأماكن المختارة التى أشهد فيها الغروب .

الـشـــــاب : أتحب الغروب؟

الــــرجــــل : إنه أحب ساعات اليوم إلى نفسى .

الـشـــــاب : ألم يزعجك أن تجدنى هنا؟

الــــرجــــل : أنا أحب الناس .

الـشـــــاب : (بعد تردد واضح) هلا أخبرتنى عن خطواتك التالية؟

الــــرجــــل : أما زلت على ريب منى؟

الـشـــــاب : كلا ، ولكنى أود أن أمتحن دهاء المصادفة .

الــــرجــــل : الواقع أنى سـرت طيلة اليوم على غـير هـدى وبلا خطة موضوعة ، إنه يوم عطلتى .

الـشـــــاب : لابد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .

الــــرجــــل : من طول خضـوعى للتخطيط على مدى الأسبوع فإنى أتحرر يوم العطلة من أى قيد .

الـشـــــاب : أمـا أنا فـسـأبقى هنا بعض الوقت ثم أذهب إلى حـانة «الأحمر والأبيض» .

الرجل : (بحماس مفاجئ) حانة النبيذ الفاخر والسلطة الخضراء! . . ما أجملها!

الشاب : هل تقرر الذهاب إليها؟

الرجل : أعترف بأنك ذكرتني بمكان أحب الجلوس فيه!

الشاب : وبعد ذلك سأمضي إلى بيتي!

الرجل : من يدري، ربما توثقت العلاقة بيننا في «الأحمر والأبيض» فنمضي إلى البيت معا.

(يضحكان معا، ثم يسود الصمت. يلتفت الشاب إلى الناحية الأخرى فيعود الرجل إلى التطلع صوب الأفق. الشاب يتمشى غير خال من القلق. يختلس إلى ظهر الرجل النظرات، ينظر في ساعته، يتضاعف قلقه. تدخل فتاة جميلة متأنقة. ما إن ترى الشاب حتى تهرع نحوه متهللة ولكنها تنتبه إلى وجود رجل غريب فتتمالك مشاعرها وتلوح في وجهها خيبة. الشاب يمضي بها إلى يمين الهضبة. يتبادلان قبلة)

الشاب : لسنا وحدنا.

الفتاة : ماذا يفعل؟

الشاب : ينتظر الغروب!

الفتاة : الغروب؟!

الشاب : (متهكما) أحب ساعات اليوم إليه.

الفتاة : هل تعرفه؟

الشاب : كلا.

الفتاة : هل حادثته؟

الشاب : نعم.

الفتاة : لِمَ؟

الشــــاب : الواقع أنه لم يفارقنى منذ الصباح الباكر .

الفــتــاة : (بدهشة) كيف؟

الشــــاب : ظننته يتبعنى .

الفــتــاة : ما دام لم يفارقك طوال اليوم .

الشــــاب : ولكنه أكد لى أنه لم يرنى .

الفــتــاة : وهل صدقته؟

الشــــاب : لــم أكــذبه .

الفــتــاة : ألا ترى أنه يحسن بنا أن نذهب؟

الشــــاب : إنى ضنين باللقاء .

الفــتــاة : ولكن قلبى غير مطمئن .

الشــــاب : لعله ينتظر صديقة .

الفــتــاة : ليتها تجىء لتحل المشكلة من أساسها .

(يتبادلان قبلة طويلة)

: (مشيرة إلى الناحيـة الأخرى من الهضبة) لم يفارقك طوال اليوم؟

الشــــاب : بــلى .

الفــتــاة : لنـذهب .

الشــــاب : لماذا يتبعنى؟

الفــتــاة : (بقلق واضح) ترى هل يتعلق الأمر بى؟

الشــــاب : هل سبق لك أن رأيته .

الفــتــاة : لا لم ألمح إلا ظهـره، وبسرعة عابرة، لم يذكرنى بأحد أعرفه .

الشــــاب : لا داعى لكثرة الظنون .

الفــتــاة : أرى أنه يحسن بنا أن نذهب .

الشـــاب : لننتظر فإنى ضنين باللقاء .

الفـــتـــاة : أعترف بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه .

الشـــاب : كيف تخافينه وأنت لم ترى إلا ظهره!

الفـــتـــاة : إنه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج .

الشـــاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعبث بنواياه .

الفـــتـــاة : نوايـــاه؟!

الشـــاب : أعنى إن كان ثمة نوايا يضمرها حقا .

الفـــتـــاة : ولكن كيف؟

الشـــاب : (وهو يجذبها نحو صدره) هكذا .

(يتعانقان وهما يتبادلان قبلة طويلة. يواصلان العناق والقبل كأنما قد نسيا الآخر تماما. فى أثناء ذلك يجلس الآخر على الأرض كأنما أتعبته الوقفة، يمد ساقيه ويسند رأسه إلى حافة الهضبة. صوت غراب ينعق. الشاب والفتاة يفيقان من سكرة الحب. يتبادلان النظر فى دهشة)

الفـــتـــاة : كم مضى من الوقت؟

الشـــاب : لا أدرى، ولن أنظر فى الساعة فما أحب أن أكدر صفونا بالزمن .

الفـــتـــاة : (مشيرة إلى الناحية الأخرى) ترى هل ذهب؟

الشـــاب : سيان عندى أن يذهب أو أن يبقى .

: لا يند عنه صوت .

: لعله مات .

(صمت يتخلله تبادل قبل)

: من الحماقة أن أخافه .

الفـــتـــاة : ولكنك تجهله .

الشـــــاب : هـو عـلى أى حـال كهـل وبوسـعى أن أصـرعه بلكمـة واحدة .

الفـــتـــاة : ولكنى وجدتك قلقا لدى حضورى .

الشـــــاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .

الفـــتـــاة : لعـــله . .

(وقبل أن تتم كـلامها يتـرامى إليهما شـخير منتظم من ناحـية الرجل. يتبادلان نظرة ذاهلة)

: نـــام؟

الشـــــاب : لعله شخير رجل آخر .

(الشـاب يمضى فى حذر شـديد نحـو الرجل. تـتبعـه الفتـاة. يلقيان عليه نظرة داهشة. الرجل يسـتيقظ لدى وقوع نظرتهما عليه كأنما رمى بطوبة. ينـهض بسرعة ويحدق فيهـما بانزعاج وتحد معا)

الـــرجـــل : (متجهما) من أنتما؟ . . ماذا تبغيان؟

الشـــــاب : لا مؤاخذة لم نقصد إزعاجك .

الـــرجـــل : (مستعيدا تذكره وهدوءه) آه . . أنت . .

(صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما)

: (باسما) وقعت أحداث جديدة فى أثناء غفوتى!

الشـــــاب : أى أحـــداث؟

الـــرجـــل : (ناظرا إلى الفتاة) كنت وحدك فيما أذكر!

الشـــــاب : ثم لحقت بى خطيبتى!

الـــرجـــل : (مبديا دهشة سمجة) خطيبتك!

الشـــــاب : (بحدة) نعم خطيبتى!

الـــرجـــل : (بقـحة) وكـيف تجىء بخطيبتك إلى هذه البقـعة النائية المهجورة؟

الشـــاب : (غاضبا) بأى حق تحاسبنى على ما أفعل؟

الـــرجــل : (متراجعا) معذرة. لم أسترد تفكيرى السليم بعد.. (يهمّ الفتى والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع باعتراض سبيلهما)

الـــرجــل : متى نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض»؟

الشـــاب : نذهب؟

الـــرجــل : ألم نتفق على ذلك؟

الشـــاب : كلا.. قلت لك إنى ذاهب لا إننا ذاهبان، وقد عدلت عن قرارى.

الـــرجــل : يا للخسارة!

الشـــاب : اذهب أنت إذا شئت...

الـــرجــل : لعلك ضحكت علىّ حين كنت تنتظر خطيبتك؟

الشـــاب : لا داعى للأخذ والرد.

الـــرجــل : إذن فلم تقصد هذا المكان لتحرجنى كما قلت؟

الشـــاب : لننه حديثا لا جدوى منه.

الـــرجــل : ولكننا وصلنا فى الحديث إلى حافة الصداقة.

الشـــاب : لندع ذلك إلى فرصة أخرى.

الـــرجــل : (راجعا إلى مكانه الأول) أتمنى لكما وقتا طيبا.

(الرجل يعود إلى موقفه الأول ليرنو من جديد إلى الأفق. يعود الشاب بالفتاة إلى موقفهما إلى يمين الهضبة).

الشـــاب : ها قد عدنا إلى الجنة.

الفـــتـــاة : ليتنا لم نغادرها.

الشـــاب : لعنة الله على الفضول.

الفـــتـــاة : دعنى أذهب..

(يضمها إلى صدره ويقبلها فتستسلم دون استجابة)

الشـــاب : ابتســمى .

الفـــتـــاة : يا له من رجل كريه!

الشـــاب : لنلق به فى النسيان .

(يتعانقان حتى يغيبا عن الوجود. فى أثناء ذلك يتسلل الرجل من موقفه حتى يقف قبالتهما ويبدو سعيدا بمشاهدتهما. ينتبهان إليه. ينفصلان فى ارتباك وانزعاج. الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الـــرجـــل : ما أجمل هذا!

الشـــاب : وقاحـــة .

الـــرجـــل : استمرا فى لعبكما الظريف .

الشـــاب : (محتدا) ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : بالله لا تغضب .

الشـــاب : وقـــح .

الـــرجـــل : إنك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس .

الشـــاب : ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : أحب أن أرى الأشياء الظريفة .

الشـــاب : احذر أن تدفع ثمن قحتك .

الـــرجـــل : لقد تسللتما لتلقيا علىّ نظرة وأنا نائم وها أنا أرد التحية .

الفـــتـــاة : (وهى تهم بالذهاب فيمسك الشاب بها) إنى ذاهبة .

الـــرجـــل : (للفتاة) لا تذهبى ، لم أقصد إزعاجك .

الشـــاب : هذا سلوك غير لائق .

الـــرجـــل : بل هو طبيعى وجميل .

الشـــاب : اذهـــب .
الـــرجـــل : ألا ترى أنى أعرض مودتى بغير حساب؟
الشـــاب : اذهب وإلا . .
الـــرجـــل : يجدر بك ألا تهددنى .
الشـــاب : سأفعل أكثر من التهديد .
الـــرجـــل : كلا ، لا تدفعنا إلى عواقب غير محمودة .
الشـــاب : لـــك .
الـــرجـــل : ولك أيضـــا .
الشـــاب : لا تحملنى على تأديبك وأنت فى سن أب .
الـــرجـــل : لا تغتر بفوارق السن .
الفـــتـــاة : دعنى أذهـــب .
الـــرجـــل : (للفتاة) محال أن تكدرى صفوك بسببى .
الفـــتـــاة : إذن فابتعد عنا .
الـــرجـــل : إنها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .
الشـــاب : أأنت مجنون؟
الـــرجـــل : أنا رجل يحب مشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك إذا شئت .
الشـــاب : ماذا تعنى؟
الـــرجـــل : (حانيا رأسه بأدب) دعنى أحل محلك وتفضل بمشاهدتنا أنت لتحكم بنفسك .

(الفتاة تلطمه. الرجل يتلقى اللطمة باسما)

(صمت)

الفـــتـــاة : (هامسة للشاب) دعنى أذهب .
الشـــاب : (بعناد وكبرياء) كلا .

الفتـــاة : بل يجب أن أذهب فى الحال .

الشـــاب : (بإصرار) لن تذهبى .

(الرجل يبتعد خطوات، يتحسس خده مكان اللطمة وهو ما يزال يبتسم)

الـرجـل : (مخاطبا الخلاء) بنوايا طيبة أسير ، ولكنى أتلقى اللطمات ، وكلمات أقسى من اللطمات ، لماذا؟ لماذا يصر الناس على الوهم والحماقة؟ لم لا يقفون على أرض الواقع؟ كيف لا يفرقون بين العدو والصديق؟

الفتـــاة : (للشاب) لا تكن عنيدا .

الشـــاب : لـن تذهـبى .

الفتـــاة : لا فـائدة .

الشـــاب : ولكنك لن تذهبى .

الـرجـل : (مستمرا فى مخاطبة الخلاء) المتعلم والأمى فى الجهالة سواء ، لمَ يسيئون الظن بى؟ ماذا عليهم لو استمروا فى لهوهم أمام وجودى البرىء؟ أحب مشاهدة الأفراح ، ولا عدو لى إلا الحماقة والأنانية .

الفتـــاة : (للشاب) إنه مجنون .

الشـــاب : ليكـــن .

الفتـــاة : إنى خائفة .

الشـــاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الـرجـل : (مخاطبا الخلاء أيضا) يخلقون المتاعب من لا شىء ثم يلقون بها فى وجهى ، أهيم على وجهى باحثا عن أشياء ثمينة فلا ألقى إلا الصد ، الخلاء يشهد بأننى ذو شأن ولكن اللعنة على الحماقة .

الفتـــــاة : إنه مجنون، لن أبقى دقيقة أخرى.

(الفتاة تمضي نحو الخارج. الشاب يلحق بها فيمسك بيدها)

: لابـد من ذهـابى.

الشــــاب : ولكـــن. . .

الفتـــــاة : لا تُكرهنى على البقاء.

الشــــاب : إذن فلأوصلك.

الفتـــــاة : (مانعة إياه بيدها) ابق هنا حتى لا يتبعنا.

(يتصافحان. تغادر المكان. الشاب يتبعها بعينيه. الرجل يقترب منه ولكنه يتجاهله)

الـــرجـــل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف.

(الشاب يصر على تجاهله)

: أى نحس يفسد علىّ مطالبى البريئة؟!

(الشاب يتمشى والرجل يتبعه كظله)

: أكرر الأسف من كل قلبى.

الشــــاب : (متوقفا عن المشى فى مواجهته) ألا تخجل من نفسك؟

الـــرجـــل : انظر إلى جزاء من يسعى إلى حب الناس!

الشــــاب : أتسـخر منى؟

الـــرجـــل : صدقنى فيما أقول، بيد أنى رجل سيئ الحظ.

الشــــاب : لقد ضيعت علىّ ثمرة يومى المرهق الطويل بلا حياء.

الـــرجـــل : أنــا؟

الشــــاب : دون غيرك.

الـــرجـــل : كلما سعيت إلى إنسان بقلب مفتوح رُميت بهذه التهمـة.

الشــــاب : يخيل إلىّ أنك ذو تاريخ قديم فى النحس.

الـــرجـــل : لا ذنب لى على الإطلاق .

(الشاب يغادره إلى يسار الهضبة فيتبعه على الأثر)

: أود أن تؤمن ببراءتى .

الشـــــاب : أمن الضرورى أن تلاحقنى لتحدثنى عن نحسك؟

الـــرجـــل : فرصة طيبة للحديث والتعارف .

(الشاب يقطب ثم يسود صمت)

: افتح لى صدرك .

الشـــــاب : أكنت تتبعنى منذ الصباح كما ظننت؟

الـــرجـــل : (باسما) بصراحة نعم .

الشـــــاب : إذن كذبت علىّ؟

الـــرجـــل : بسبب نحسى المزمن أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس .

الشـــــاب : أكنت تعرفنى؟

الـــرجـــل : كـــلا .

الشـــــاب : لم تبعتنى؟

الـــرجـــل : إنى أهيم على وجهى من مطلع الصبح فأتبع أول من يصادفنى .

الشـــــاب : أيـا كـان؟

الـــرجـــل : أيـا كـان .

الشـــــاب : كـل يـوم؟

الـــرجـــل : كـل يـوم .

الشـــــاب : أليس لك عمل فى الحياة؟

الـــرجـــل : ليس لى عمل .

الشـــــاب : ثـــرىّ؟

الرجل : موفور الإيراد .

الشاب : ما قصدك من مطاردتى؟

الرجل : أتصيد لحظة للتعارف .

الشاب : أليس لك أصدقاء؟

(صمت)

الرجل : وآمل من وراء التعارف أن أحطم أسطورة النحس!

الشاب : (ضاحكا ضحكة مكفهرة) الآن وقفت على سر الحظ العاثر الذى لازمنى طيلة يومى .

الرجل : لا تكن كالآخرين .

الشاب : فى ميدان القلعة زلّت قدمى فوقعت على ركبتى .

الرجل : (باسما) كنت تنظر إلى امرأة فى نافذة!

الشاب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .

الرجل : كنت تأكل بسرعة كأنك فى سباق!

الشاب : وفى مقهى الشمس خسرت نقودى .

الرجل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .

الشاب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة الثانية .

الرجل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .

الشاب : وأخيرا أفسدت علىّ أجمل ثمرة فى يومى .

الرجل : ألم توقظنى من النوم بنفسك؟

(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)

الشاب : أليس لك أصدقاء؟

الرجل : (متنهدا) كلا .

الشاب : ألست رب أسرة؟

الرجل : جربت حظى مرات ولكنى لم أوفق!

الشــــاب : (يضحك رغما عنه) لا مؤاخذة .

الـــرجـــل : العفـــو .

الشــــاب : أظن آن لى أن أذهب

الـــرجـــل : (يتوسل) كـــلا .

الشــــاب : ليس ثمة ما يدعونى إلى البقاء .

الـــرجـــل : فلنشهد الغروب معا .

الشــــاب : لا أحب الغروب .

الـــرجـــل : ثم نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض» .

الشــــاب : لن أذهـــب .

الـــرجـــل : إذا كنت مفلسا فلا يهمك .

الشــــاب : لن أذهـــب .

الـــرجـــل : تكره مرافقتى؟

الشــــاب : نعـــم .

الـــرجـــل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك .

الشــــاب : (محتدا) إنك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب!

الـــرجـــل : أقلع عن الخرافات .

الشــــاب : أقلع أنت عن نحسك .

الـــرجـــل : أتوسل إليك أن تبقى ولو حتى ساعة الغروب فحسب .

الشــــاب : وداعـــا .

(الشاب يمضى صوب الخارج بعزم وصـرامة. الآخر ينظر إليه بأسف. عند منتصف المسافة يتوقف الشاب فجأة ويعلو صوته بالتـأوه ثم ينحنى قـابضا بيـديه على ركـبتـه. الرجل يلحق به متسائلا)

الـــرجـــل : مـــالك؟

الشـــاب : ركـبتى!

الـــرجـــل : مد ساقك، دلكها.

الشـــاب : نار.. نار موقدة..

(يثب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس فى أسفل الهضبة. يمد ساقه السليمة ويثنى الأخرى ثم يتأوه من الأعماق)

الـــرجـــل : ماذا حدث؟.. كنت فى غاية الصحة.

الشـــاب : الحق أنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية أبدا...

الـــرجـــل : لكنك لم تشكُ طيلة الوقت.

الشـــاب : كان يعاودنى ألم خفيف فظننته عابراً.

الـــرجـــل : حالة طارئة لا تلبث أن تزول.

الشـــاب : لعـل وعسى.

الـــرجـــل : من المفيد أن تدلكها.

الشـــاب : لا أستطيع لمسها.

الـــرجـــل : حال بسيطة فيما أعتقد.

الشـــاب : **(متأوها)** قلبى يحدثنى بأن الأمر أخطر مما تتصور.

الـــرجـــل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك.

الشـــاب : صدقنى فإن الحال خطيرة حقا.

الـــرجـــل : أرجو أن تكون واهما...

الشـــاب : أريد إسعافا عاجلا...

الـــرجـــل : سأذهب لاستدعاء الإسعاف.

الشـــاب : وتعود بسرعة من فضلك!

الـــرجـــل : لا أظن فإن أقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة.

الشـــاب : **(بقلق)** لا تتركنى وحدى طويلا.

الــــرجــــل : مــاذا تخــاف؟
الـشـــــاب : المساء قريب، وهذه بقعة غير مأمونة لإنسان عاجز.
الــــرجــــل : ومـا الحــل؟
الـشـــــاب : هل يمكن أن أسير معتمدا عليك؟
الــــرجــــل : سأضطر إلى حملك وهو ما أعجز عنه، جرب أن تسير على مهل.
الـشـــــاب : الحال أخطر مما تتصور.
الــــرجــــل : لابد من حل وبخاصة أننى لن أبقى بعد الغروب!
الـشـــــاب : ولكنك لن تتركنى وحدى!
الــــرجــــل : أخشى أن أضطر إلى ذلك إذا لم تسعفنى بحل.

(صمت وتأوه)

الـشـــــاب : ولكنك لن تفعل ذلك.
الــــرجــــل : لا يمكن أن أبقى هنا إلى مــا شــاء الله ولـكنى ســأتلفن للإسعاف فى طريق العودة.

(الشاب يرمقه بنظرة صامتة متألمة)

: سـأفعل من أجـلك ما لا تنتظره من رجـل لا تعرفه ولا يعرفك.
الـشـــــاب : (بحياء) حدثتنى عن رغبتك فى الصداقة وأمامك فرصة لربطنا برباط المودة إلى الأبد.
الــــرجــــل : (بشىء من الجفاء) ولكنك رفضت يدى!
الـشـــــاب : اغفر لى غضبى الأحمق!
الــــرجــــل : الحق أنك كرهتنى طوال الوقت.
الـشـــــاب : الإنسـان عـدو مـا يجـهله ولـكنى سـأعـرفك من خـلال سلوكك النبيل.

الرجل : (بنبرة لم يعد بها أثر من الرقة القديمة) لا أقبل اصطياد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة.

الشاب : (بضراعة) ولكنك إنسان كبير القلب.

الرجل : أول كلمة طيبة أسمعها منك.

(صمت)

الشاب : ماذا تنوى أن تفعل؟

الرجل : سأشاهد المغيب ثم أذهب.

الشاب : وتتركنى عاجزا للخلاء والليل؟

الرجل : لا حيلة لى فى ذلك.

الشاب : سيكون سلوكك غير إنسانى.

الرجل : لم ألق من السير وراء الناس إلا الصد والاتهام واللعنة!

(الشاب يتأوه)

: أأنا الذى خلقت النحس حقا؟

(الشاب يتأوه)

: كيف تعاملون التربى؟ . . . إنه يوارى جثثكم فى التراب، يصون كرامتكم، يعرض نفسه لألوان شتى من المخاطر، ويستحق فى أحاديثكم التقليدية الجنة بغير حساب، ولكنه لا يسعد فى حياته بصديق واحد، ويمضى وحيدا كالوباء . . .

الشاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا.

الرجل : كم صددتنى، كم أهنتنى، ولم تصدق أننى إنسان إلا بعد إصابتك وقبيل الغروب.

الشاب : يا لسوء حظى!

الرجل : ها أنت تعود إلى اتهامى.

الشـــــاب : لم أقصد هذا ألبتة.

الـــرجــــل : ألست النحس الذى سلبك المال والحب والصحة؟

الشـــــاب : ســــيدى!

الـــرجــــل : أين فتـــاتك؟

الشـــــاب : لا سبيل إليها الآن.

الـــرجــــل : أليست هى أوْلى بتمريضك منى؟

الشـــــاب : إنها لا تعلم بما حل بى.

الـــرجــــل : زهدت لوجودى فى وصالك نفسه.

الشـــــاب : (متأوها) أريد إسعافا.

الـــرجــــل : سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة.

الشـــــاب : لا تتــركنى.

الـــرجــــل : (متأفـفا) إنك مزعج فى مرضك كـما كنت مزعـجا فى صحتك.

الشـــــاب : ألا ترى كم أنهكنى المرض؟

الـــرجــــل : ألا ترى كم أنهكنى السير؟

(صمت)

الشـــــاب : أليس لك خبرة بالإسعافات الأولية؟

الـــرجــــل : لا خبرة لى بشىء.

الشـــــاب : ولكنك فى سن الحكمة والخبرة.

الـــرجــــل : أعرف كيف أسير على غير هدى، وأعرف كيف أسير فى أعقـاب إنسـان أحـمق، وأعـرف كـيف آمل دواما فى علاقة لا تتحقق أبدا.

الشـــــاب : (بضراعة متأوهة) لا تذهب.

الـــرجــــل : سأذهب عندما يجب الذهاب.

الشـــاب : لا تذهــب .

الــرجــل : اعتدت أن يقال لى اذهب عندما أرغب فى البقاء وأن يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .

(الشاب بتأوه. جو المغيب يهبط فيغطى الخلاء. الرجل يمضى إلى يسار الهضبة ليتطلع إلى الشمس الغاربة)

الشـــاب : لا تبتعد عن إنسان يتألم لتشاهد شمسا تغرب .

الــرجــل : صه، لا تكدر صفو الساعة، الساعة الفريدة، الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس، الوحيدة التى تنظر فيها إلى الشمس دون أن تُصاب بالعمى، الوحيدة التى يُرى فيها الظلام وهو يزحف، الوحيدة التى أسمع فيها التوسلات بدلا من اللعنات، ها هى الشمس تختفى تماما . . .

(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو إليه دقيقة).

الــرجــل : الــوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشـــاب : لا تذهــب .

(يواصل السير غير ملتفت إليه)

: أستحلفك بالله .

(يواصل سيره)

: انتظر . . انتظر . . .

(الرجل يختفى)

: عليك اللعنة . .

(الشاب ينظر فيما حوله بخوف. الظلام يهبط رويدا رويدا

حتى يختفى كل شىء... تمر فترة قصيرة على تلك الحال، ثم تترامى أضواء من وراء الهضبة. ويسمع وقع أقدام قادمة. من يمين الهضبة ومن يسارها يجىء رجلان حاملين مشعلين، يرتدى كل منهما سروالا وصدارا أحمرين. يقفان على مبعدة من الشاب إلى اليمين وإلى اليسار ويلازمان الصمت طوال الوقت. يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا فى النوم. ثم يتبعهما رجلان فى أردية سوداء يحمل كل منهما سوطا وحبلا معقودا. يقفان عن يمين الشاب ويساره وهما يحملقان فى وجهه. يوثقان يديه وقدميه بإحكام ثم يعودان إلى وقفتهما ممعنين فيه النظر. الشاب يفتح عينيه. ينظر إلى الأمام فى ذهول. يهم بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال. ثم ينتبه إلى وجود الرجال الأربعة. يردد عينيه بينهم فى دهشة ووجل)

الشاب : من أنتم؟ . . وماذا تريدون؟

الرجل ١ : (للرجل رقم ٢ فى تهكم) إنه لا يعرفنا!

الرجل ٢ : (فى تهكم أيضا) طبعا . . إنه يرانا لأول مرة.

الرجل ١ : (للشاب) أليس كذلك أيها المخادع المارق!

الرجل ٢ : أنت لا تعرفنا، هه؟

الشاب : آسف، لم أكن أفقت من النوم بعد.

(يركلانه بقدميهما فيصرخ)

: الرحمة . . .

الرجل ١ : (ضاحكا) ابن الأبالسة يطلب الرحمة!

الشاب : لا تحكموا علىّ بالظواهر، أنا برىء. . .

الرجل ٢ : نفس الكلمات، لا جديد، نفس الأكاذيب العفنة!

الشاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد.

الـرجــل ١ : الزمن، الزمن، ذلك المتهم الوهمى.

الـشــاب : الرحمـــة.

الـرجــل ٢ : الرحمـــة؟!

الـشــاب : العــدل.

الـرجــل ١ : لا يدرى ماذا يطلب.

الـشــاب : الرحمة والعدل.

الـرجــل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل؟

الـشــاب : الرحمة والعدل.

الـرجــل ١ : لا تكن طماعا.

الـرجــل ٢ : نحن لا نعطى عادة إلا الموت.

الـرجــل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان.

الـشــاب : ولمَ لا يجتمعان؟

(يركَلانه مرة ثانية فيصرخ)

الـرجــل ١ : هذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن أن تعامل بالرحمة فى الوقت نفسه؟!

الـرجــل ٢ : حدد أفكارك عما تريد، العدل أم الرحمة؟

الـرجــل ١ : (بحدة) العدل أم الرحمة؟

الـشــاب : الرحمة، لعلّ الرحمة هى ما أريد...

الـرجــل ١ : ألست على يقين مما تريد؟

الـشــاب : لست على يقين من شىء، لقد أنهكنى التعب.

الـرجــل ٢ : ألم تبدد الوقت بغير حساب؟

الـشــاب : يلزمنى شىء من الراحة لأحسن الإجابة، فكوا قيودى لأحظى ببعض الحرية.

الـرجــل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد!

الرجل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة!

الشاب : أليست جميعها أخوات لا يفترقن؟

الرجل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القربى ليطالب بالدنيا والآخرة!

الرجل ٢ : استمر فى الطلب إلى غير نهاية، وبلا حياء، ماذا تريد أيضاً؟.. ثروة؟.. صحة؟.. جاه؟.. ما رأيك فى الحب؟.. الذرية؟.. طاقية الاختفاء؟ جناحين للطيران؟ هرمونات لتجديد الشباب؟ مهضمات وملينات ومسهلات؟ فاتحات شهية؟ جواز سفر إلى جميع البلدان؟ ماذا تريد أيضا؟

الشاب : بعض الرفق، نحن إخوة!

الرجل ١ : إخوة!، من ناحية الأب أم من ناحية الأم؟

الشاب : أعنى أننا جميعا بشر.

الرجل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية، هه؟ ولأنك تتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الكون فسوف تحاول استغفال الكون كله، ماذا تريد أيضا؟

الشاب : إنى متألم فكوا قيودى.

الرجل ٢ : تريد الحرية؟

الرجل ١ : إن كنت تريد الحرية فاختر بنفسك الوسيلة التى نقتلك بها.

الشاب : لا تسخروا منى، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة!

الرجل ١ : كذبت، كل واحدة منها تُستورد من بلد غير البلد التى تُستورد منه الأخرى.

الـرجـــل ٢ : ويؤدى ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة .

الـشـــــاب : إنى متألم لحد العجز .

الـرجـــل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة؟

الـرجـــل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد .

الـرجـــل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه .

الـرجـــل ٢ : إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق، وإن أردت العدل قتلناك بعد تحقيق، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التى تفضلها!

الـرجـــل ١ : ماذا تريد؟ . . تكلم بوضوح وصراحة، العدل أم هرمونات تجديد الشباب؟ الرحمة أم جواز سفر إلى جميع البلدان؟ الحرية أم أملاح الفواكه الفوارة؟ ما طريقة القتل المفضلة لديك؟ ألك وصية بما يتعلق بجثتك؟ . . أترغب فى دفنها؟ . . فى حرقها؟ . . فى تركها فى الخلاء؟ . . فى شحنها إلى بلد معين؟

الـرجـــل ٢ : ماذا تريدنا على أن نفعل بالذرات التى يتكون منها جسدك؟ . . أن نتركها للديدان؟ . . أن نهبها للجمعية الطبية؟ . . أن نصنع منها قنابل مدمرة؟

الـشـــــاب : لا سبيل إلى التفاهم فيما بيننا .

(يركلانه فيصرخ)

الـرجـــل ١ : لقد بددت وقتنا سدى، ألهذا أرسلناك؟

الـشـــــاب : أرسلتمونى؟! . . متى كان ذلك؟ . . لم يرسلنى أحد!

الـرجـــل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!

(يركلانه فيصرخ)

الـرجـــل ١ : أحقا لم يرسلك أحد؟

الشـــــاب : معذرة، ضعفت ذاكرتى من المرض والإنهاك، معذرة.

الـرجــل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة التى كُلّفت بها؟

الشـــــاب : المهمـــة؟!

الـرجــل ٢ : المهمة التى كُلّفت بها!

الشـــــاب : أى مهمـــة؟

الـرجــل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!

(يضربه بالسوط.. الشاب يصرخ)

الـرجــل ١ : وإلا فلماذا أرسلناك؟

الشـــــاب : أنتم صـادقـون وأنا مـعـذور، الزحـام هناك شـديد، والأصـوات مزعجـة، وعمـلى اليـومى اسـتغرق جـلّ وقتى.

الـرجــل ١ : وما عملك اليومى؟

الشـــــاب : مـدرس تـاريخ.

الـرجــل ٢ : حدثنا عن دروسك، ماذا فعل الإنسان القديم؟

الشـــــاب : اكتشـف الزراعـة، صنـع التقـويم، بنى الأهـرام، هزم وانهزم...

الـرجــل ١ : ألم يذكرك شىء من ذلك بمهمتك؟

الشـــــاب : كنت مستغرقا طوال الوقت.

الـرجــل ١ : ألم تخطر بذاكرتك ولو كالهمس؟

(الشاب يصمت. الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ متوجعا)

الـرجــل ٢ : اعتــرفْ..

الشـــــاب : اللعنة على ذاكـرة لا تـسـعف صـاحـبـهـا بما يحب أن تتذكـره.

الـرجــل ١ : كـــذاب.

الـرجـــل ٢ : اعترف بأنك تجنبت ذكر ما يجر عليك المتاعب .

الـرجـــل ١ : مخـادع جبـان .

الـشــــاب : جربونى مرة أخرى!

الـرجـــل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى .

الـشــــاب : أعطونى رسالة مكتوبة كيلا أنسى .

الـرجـــل ٢ : وكيف نحيط بالظروف المتقلبة التى تواجهك؟

الـشــــاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط. الشاب يصرخ)

الـرجـــل ١ : مـاذا فـعلت بيـومك الطويل؟ . . لـِمَ قـصـدت مـيـدان القلعـة؟

الـشــــاب : كنت أسير على غير هدى .

الـرجـــل ١ : تسير على غير هدى وأنت لم ترسَل إلى هناك إلا لمهمة؟

الـشــــاب : كان اليوم عطلة .

الـرجـــل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئا يذكرك بمهمتك؟

الـشــــاب : زلّت قدمى فوقعت على ركبتى .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الـرجـــل ٢ : ألم يوح المطعم لك بشىء؟ . . ولا المقـهى؟ . . ولا دار الآثار؟ . . ولا صالة المزاد؟ . . ولا عيادة الطبيب؟

(الشاب يصمت فى يأس)

: وماذا جاء بك إلى الخلاء؟

الـشــــاب : فتـــاة .

الـرجـــل ٢ : ولِمَ اخــتــرت لـلّقـــاء مكـانا هو أصلح لدفن الموتى؟

(صمت)

: لم يذكرك اللقاء بشىء عن مهمتك؟

الشـــــاب : ثمة رجل كريه كان يتبعنى طول الوقت فشتت فكرى .

الـرجـــل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكّرك بشىء!

الشـــــاب : هو النحس نفسه، وقد أفسد كل شىء .

(الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الـرجـــل ١ : ضيعت وقتك ووقتنا يا جبان .

الـرجـــل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .

الـرجـــل ١ : ولم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .

الشـــــاب : ما تلقيت تحذيرا قط .

الـرجـــل ١ : كذاب غبى أعمى .

الشـــــاب : الرحمـــة!

الـرجـــل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحرية؟

الـرجـــل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب؟

(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا.

الرجل ١ يشير إشارة خاصة إلى الرجلين حاملى المشعلين.

الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان إلى مكانهما الأول وراء الهضبة)

حامل المشعل : (مخاطبا الشاب) لمَ تحن أسراب الطيور المهاجرة إلى أعشاشها التى تركتهاَ فى الجبل؟

(يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)

: تذكر أن الطفل يبكى حين تنحيه أمه عن ثديها الأيمن ولكنه يجد فى اللحظة التالية سلوه فى ثديها الأيسر .

(يمضى حامل المشعلين فى مشية متمهلة والآخر يتبعه حاملا الشاب بين يديه)

(ســـتار)

المطاردة

(المسرح خال تماما. يدخل شابان فى ميعة الصبا. يرتدى أولهما قميصا أبيض وبنطلونا رماديا قصيرا وحذاء من المطاط، ويرتدى الآخر قميصا أحمر وبنطلونا أزرق وحذاء من المطاط. سنطلق على الأول «الأبيض» نسبة إلى قميصه والآخر الأحمر نسبة إلى قميصه أيضا. ينظران فيما حولهما باستطلاع واهتمام).

الأبيض : مكان مناسب وبه كل ما نحتاج إليه.

الأحمر : إنه مكان على أى حال ونحن فى حاجة إلى مكان.

الأبيض : (كمن يتذكر) يخيل إلىّ أننا لعبنا فيه من قبل.

الأحمر : (هازئا) دائما تقول ذلك.

الأبيض : أو لعله قريب الشبه منه.

الأحمر : المهم أنه مكان صالح للعب.

الأبيض : هذا هو المهم حقا.

الأحمر : وهو بعيد فلن يهتدى إليه.

الأبيض : أرجو ذلك.

الأحمر : لعله يجد ما يشغله عنا.

الأبيض : لعله.

الأحمر : كأنه لا هم له إلا التطفل علينا.

الأبـــيـــض : لو نوفق إلى تجاهله!

الأحـــمـــر : كيف وهو لا يتركنا لحالنا؟

الأبـــيـــض : فلنلعب.

الأحـــمـــر : فلنلعب.

الأبـــيـــض : لنلعب لعبة الأحلام.

الأحـــمـــر : إنها مضجرة وخير منها الملاكمة.

الأبـــيـــض : الملاكمة رياضة عنيفة فلنجر فى الهواء الطلق.

الأحـــمـــر : (ساخرا) أنت جبان.

الأبـــيـــض : (باسما) أنت حيوان.

(يتوثبان لبعضهما فى تحد ـ يتراجعان وهما يرهفان السمع فى قلق).

الأبـــيـــض : ماذا هناك؟

(الأحمر يشير إليه بالسكوت ويرهف السمع)

الأبـــيـــض : سمعت شيئاً؟

الأحـــمـــر : وقع أقدام!

الأبـــيـــض : حقا؟!

الأحـــمـــر : اسمع ولا تتكلم.

الأبـــيـــض : **(مرهفا السمع. وقع الأقدام يتضح)** وقع أقدام حقا.

الأحـــمـــر : هو؟

الأبـــيـــض : أو أى ذى قدمين.

الأحـــمـــر : لا تتظاهر بعدم الاهتمام.

الأبـــيـــض : أنا لا أحسن التظاهر ولا أحبه.

الأحـــمـــر : ألا يزعجك حقا؟

الأبـــيـــض : بلى، ولو لدرجة ما.

(تقترب الأقدام. يدخل رجل متين البنيان، قوى بصورة واضحة، يرتدى قميصا أسود وبنطلونا أسود وبيده سوط. رغم قوته وشباب ملامحه فإنه لا توجد شعرة سوداء واحدة فى رأسه الأبيض.

تنحى الشابان جانبا وهما ينظران إليه فى حذر. أما هو فوقف منتصب القامة ناظرا فيما أمامه نظرة مجردة بعيدة المرمى وهو يحرك قدميه (محلك سر) طيلة الوقت).

الأحمر : أرأيت؟

الأبيض : نعم .

الأحمر : نذهب إلى مكان آخر؟

الأبيض : فلنلعب إن تكن لك رغبة فى اللعب حقا .

الأحمر : تحت عينيه؟

الأبيض : ولم لا؟

الأحمر : (ملَاحظا الرجل) إنه لا يكف عن الحركة رغم أنه لا يبرح مكانه .

الأبيض : المهم ألا يتدخل فى شئوننا .

الأحمر : ولكنه يتبعنا أينما سرنا .

الأبيض : لا يعد ذلك تدخلا فى شئوننا .

(صمت)

الأبيض : فلنلعب «وطى البصلة» .

الأحمر : (يهز منكبيه استهانة) فليكن ، «وطى» .

الأبيض : وطى أنت أولا .

الأحمر : بل أنت الأول .

الأبيض : لا تكن أنانيا .

الأحـــمـــر : لا هم لك إلا المعارضة.

الأبـــيـــض : وأنت تتصرف كأن لا وجود لأحد معك.

الأحـــمـــر : لاعبنى «برادى فير» والمغلوب يوطى.

(الأحمر ينطرح على بطنه ويركز ذراعه على كوعه ناظرا إلى الأبيض فى تحد فيضطر هذا إلى أن يفعل مثله، يتصارعان، الأحمر يميل ذراع الأبيض حتى يلصقها بالأرض..).

الأحـــمـــر : (صائحا بفرح) غلبت.... لم يوجد بعد الذى يستطيع أن يغلبنى (تلوح منه نظرة نحو الرجل القوى المتحرك فيبوخ حماسه نوعا) لم يوجد بعد.. (الأبيض ينهض مستسلما، يوطى واضعا يديه على ركبتيه. الأحمر يتراجع مسافة ثم يجرى نحو الآخر ويثب من فوقه معتمدا بيديه على ظهره المنحنى، ثم يوطى بدوره فيثب الأبيض من فوقه، هكذا تستمر اللعبة حتى يتعثر الأبيض وهو يثب فيرتطم بالآخر ويقعان معا، ويغرقان فى الضحك. يقفان وهما يضحكان. ويكف الأبيض عن الضحك ويواصله الأحمر. الأبيض يشير إلى صاحبه بالسكون وهو يرهف السمع، ثم يتراجع به بعيدا عن الرجل).

الأبـــيـــض : يخيل إلىّ أنه طالبنا بالكف عن اللعب.

الأحـــمـــر : لم أسمع شيئا.

الأبـــيـــض : ولكنى سمعته.

الأحـــمـــر : سمعى أقوى من سمعك.

الأبـــيـــض : ولكنك كنت تضحك.

الأحـــمـــر : (غاضبا) أرى أن نوقفه عند حده..

الأبـــيـــض : يحسن بنا أن نتجاهله..

الأحـــمـــر : بأى حق يتدخل فى حريتنا؟

(صمت)

الأحـــمـــر : وكلما سكتنا زاد فى غيه.

الأبـــيـــض : تذكر أنه كان صديقا لوالدنا!

الأحـــمـــر : لا نستطيع أن نحكم، كنا وقتها صغارا.

الأبـــيـــض : ولكنه لم يكف عن زيارته حتى آخر يوم فى حياته..

الأحـــمـــر : لعله كان يتدخل فى شئونه كما يريد أن يفعل معنا؟

الأبـــيـــض : لا يبدو أنه شرير..

الأحـــمـــر : ولكن غير بعيد أن يكون به لطف!

الأبـــيـــض : لعل متابعته لنا حيثما نذهب نوع من الرعاية بحكم صلته القديمة بوالدنا؟

الأحـــمـــر : أنت عبيط، ولعله كان ضمن الأشياء التى نغصت صفو أبينا فى أواخر أيامه..

الأبـــيـــض : ولكن والدنا لم يذكره بسوء.

الأحـــمـــر : كنا صغارا لا نفقه لما يقال معنى..

الأبـــيـــض : لم يكن لوالدنا أعداء.

الأحـــمـــر : من أدرانا بحقائق ذلك الزمن؟

(صمت)

الأحـــمـــر : لماذا يطاردنا؟

الأبـــيـــض : إن صح أنه يطاردنا حقا فلماذا يطاردنا؟

الأحـــمـــر : انظر إلى حركته المستمرة، إنه مجنون..

الأبـــيـــض : لا تتسرع فى الحكم..

الأحـــمـــر : هل يقبل عاقل أن يقف كما يقف ويحرك ساقيه كما يحركهما؟

الأبيض : بعض الناس لا يطيقون السكون . .

الأحمر : ترى ما مهنته؟

الأبيض : إنه قوى ، خالى البال ، فلعله من الأعيان .

الأحمر : دعنا نناقشه جهارا .

الأبيض : كلا ، مظهره لا يشجع على المناقشة . .

الأحمر : دعنى أسأله بضعة أسئلة . .

الأبيض : مثل ماذا؟

الأحمر : لماذا يطاردنا؟

الأبيض : لن يعترف بذلك ، ولا دليل عليه . .

الأحمر : ألم تسمعه وهو يطالبنا بالكف عن اللعب؟

الأبيض : حتى ذلك غير مؤكد .

(صمت)

الأبيض : خير ما نفعل أن نتجاهله . .

الأحمر : لا أستطيع . .

الأبيض : لولا عصبيتك . . .

الأحمر : (مقاطعا) دائما ترمينى بعجزك . .

الأبيض : لا حد لمكابرتك . .

الأحمر : أحيانا أود أن أدق عنقك .

الأبيض : سأضيق بك يوما فأهجرك . .

(يتواجهان فى غضب. الرجل يضرب الهواء بسوطه فيحدث طرقعة شديدة.. يدب الخوف فى قلبيهما. ينسيان خلافهما الطارئ. يغادران المكان. الرجل يقف وقفته وهو يحرك ساقيه (محلك سر).. المكان يظلم..).

* * *

٢

(يضاء المسرح. نفس المسرح الخالى. يقف الأحمر والأبيض متواجهين. لقد تغيرا تغيرا ملحوظا. ارتدى كل منهما جاكتة من لون القميص وحذاء جلديا وأصبح لكل شارب صغير يتبادلان النظر فى ارتياح).

الأحمر : هيهات أن يتعرف علينا الآن .

الأبيض : تغيرنا لدرجة لا بأس بها .

الأحمر : ولكنها كافية لتضليله . .

الأبيض : هذا هو المأمول .

الأحمر : لا تبدو واثقا ولا مطمئنا .

الأبيض : يخيل إلىّ أحيانا أن التغير سطحى .

الأحمر : أنت مولع دائما بالتهوين من مهارتى .

الأبيض : أبدا، استعدادى طيب للاعتراف بمواهبك . .

الأحمر : إذن فلماذا تبدو مرتابا؟

الأبيض : أخشى ألا يخدعه مظهرنا الجديد .

الأحمر : لن يصل إلى حقيقتنا الكامنة وراء الشارب والجاكتة والحذاء .

الأبيض : عظيم، هذا هو المأمول . .

الأحمر : نحن الآن موظفان من قوة الدولة !

الأبيض : هذا صحيح و . . .

(يصمت فجأة متنصتا. الآخر يتنصت أيضًا)

الأبـــيـــض : وقع أقدام . .
الأحـــمــــر : لا أظن .
الأبـــيـــض : إنه قادم . .
الأحـــمــــر : لعله عابر سبيل مجهول .
الأبـــيـــض : بت أعرف إيقاع قدميه . .
الأحـــمــــر : لا تدّع امتلاك الحكمة كلها .

(يصبح وقع الأقدام مسموعا. يدخل الرجل بنفس الصورة التى ظهر بها أول مرة، ولكنه لا يقف إنما يمضى ذهابا وجيئة فى بطء ملحوظ بعرض المسرح وفى عمقه. الشابان ينظران نحوه بذهول. يتنحيان جانبا بعيدا عن مسمعه).

الأبـــيـــض : أرأيت؟
الأحـــمــــر : مهلا . . أرجح أنه لم يتعرف علينا .
الأبـــيـــض : أتؤمن بذلك حقا؟ !
الأحـــمــــر : لعل الذى يجـمـعنا هو الطريق والمصـادفـة ولا شىء سواهما . .
الأبـــيـــض : لا بأس من أن نسلم بذلك . .
الأحـــمــــر : فلنتجاهله ولنمارس عملنا فى هدوء وسكينة . .

(يرجعان إلى وسط المسرح، يتظاهران بالانهماك)

الأحـــمــــر : **(بنبرة عظمة)** حررت استمارات الصرف؟
الأبـــيـــض : لم تبق إلا واحدة .
الأحـــمــــر : أسرع من فضلك لتتم مراجعتها اليوم .
الأبـــيـــض : على أى حال فالخزانة لا تغلق قبل منتصف النهار .
الأحـــمــــر : لا يجوز تأجيل عمل اليوم إلى غد .
الأبـــيـــض : ألا ترى أنه يجب مراجعة ميزانية المصروفات؟

الأحــــمـــــر : أعلم أنها تسمح بالصرف حتى نهاية العام المالى . .

الأبـــيـــض : إذن يحسن أن أكتب المذكرة .

(صمت)

الأحــــمـــــر : هل لك علاوة هذا العام؟

الأبـــيـــض : كلا وأنت؟

الأحــــمـــــر : أستحق علاوة هذا العام .

الأبـــيـــض : مبارك .

الأحــــمـــــر : ستغرق فى خضم أعباء المعيشة .

(الأبيض يتنصت فجأة وهو يمد أذنه نحو الرجل المتحرك، ثم يأخذ الآخر من يده بعيدا عن مسمعه).

الأبـــيـــض : أسمعت؟

الأحــــمـــــر : كلا .

الأبـــيـــض : عاد يطالبنا بالكف عن اللعب . .

الأحــــمـــــر : متأكد؟ !

الأبـــيـــض : بلا أدنى شك .

الأحــــمـــــر : اللعنة . .

الأبـــيـــض : من السهل خداعه .

الأحــــمـــــر : ماذا يريد منا؟

الأبـــيـــض : الله أعلم .

الأحــــمـــــر : واضح أننا لا نلعب .

الأبـــيـــض : واضح جدا .

الأحــــمـــــر : أيظن أنه ولى أمرنا؟

(الأحمر يغضب. يأخذ الأبيض من يده ويذهبان إلى وسط المسرح. الأحمر ينظر نحو الرجل المتحرك متحديا).

الأحمر : هل تخاطبنا يا حضرة؟

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحمر : يجب أن تتكلم . .

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحمر : نحن موظفان محترمان، ولا نقبل إلا المعاملة اللائقة بكرامة الدولة . .

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأبيض : هل لك حاجة فى المصلحة؟

الأحمر : عليه أولا أن يجيب . .

الأبيض : هل لك طلب؟ . . شكوى؟ . . أموال متأخرة؟

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحمر : كيف دخلت الإدارة؟ . . أمعك بطاقة شخصية؟

الأبيض : نحن فى خدمة الجمهور . .

الأحمر :(ثائرا) كف عن حركتك اللعينة فقد أدرت رءوسنا!

الأبيض : وتذكر أن الخزانة تغلق فى تمام الثانية عشرة .

الأحمر : لو رآك المدير وهو ذاهب إلى دورة المياه فلن تحمد العواقب . .

الأبيض : ما زلت أقول إننا فى خدمة الجمهور .

الأحمر : يا ويلك من رجال أمن الوزارة لو رأوك!

الأبيض : ماذا جاء بك يا سيدى؟

الأحمر : طبعا عندك فكرة عن العقوبة التى ينالها من يعتدى على موظف فى أثناء قيامه بأعمال وظيفته؟

الأبيض : هل تضايقك بعض الشكليات السخيفة؟

الأحمر : أنت أدرى بما يضايقك، ومن حقك أن تشكو، ولكن لكل إجراء نظمه المتبعة الواجبة الاحترام .

الأبـــيـــض : وحتى إذا احتاج الأمر إلى رعاية خاصة أو وساطة لها وزنها فستجد عندنا ما يحقق رغباتك المشروعة .

الأحـــمـــر : عليك أولا أن تكف عن الحركة وأن تتفاهم كما يجدر بالناس الطيبين .

(الرجل يواصل حركته وفجأة يضرب الهواء بسوطه فيحدث فرقعة شديدة.. يتراجع الشابان فى خوف).

الأحـــمـــر : (بلهوجة) أذن موعد الانصراف .

الأبـــيـــض : هيا بنا إلى معركة المواصلات .

(يغادران المكان بسرعة، وفى خوف لم يفلحا فى إخفائه. يستمر الرجل فى حركته. يظلم المسرح).

٣

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض متواجهان بنفس الحال التى رأيناهما عليها، عدا الشارب الذى امتد ونما فأضفى عليهما مظهر رجولة لم تجاوز حدود الشباب).

الأحـــمـــر : أليست فكرة بارعة؟

الأبـــيـــض : وطبيعية، وتهيئ لنا استقرارا .

الأحـــمـــر : الزواج هناء، ومصاهرة تقوى مركزنا وسواعدنا، وفى إطار الصورة الجديدة لن يتعرف علينا .

الأبـــيـــض : هو خير من العزوبة على أى حال .

الأحـــمـــر : (فى عصبية) لا أراك متحمسا .

الأبـــيـــض : بل إنى مرحب جدا بالفكرة .

الأحـــمـــر : لا أرى أثرا للحماس فى وجهك .

الأبـــيـــض : الزواج فكرة طيبة ولكن هل يغيرنا للدرجة التى تضلله عنا؟

الأحـــمـــر : أعتقد ذلك .

الأبـــيـــض : فلنجرب والله معنا .

الأحـــمـــر : أظن يكفينا زوجة واحدة؟

الأبـــيـــض : فكرة مبتكرة .

الأحـــمـــر : واقتصادية، ولكنى أخشى قيام نزاع يهدد كل شيء .

الأبـــيـــض : (باسما) طالما واجهنا الحياة كشخص واحد .

الأحـــمـــر : كثيرا ما نختلف ونتخاصم .

الأبـــيـــض : ولكن شيئا لم يستطع أن يقضى على الرابطة التى تجمعنا .

(صمت)

الأحـــمـــر : وقع اختيارى على زوجة ممتازة ولكن هل تتفق أذواقنا؟

الأبـــيـــض : بيننا تقارب لا شك فيه ولا تنس تسامحى .

(صمت)

الأحـــمـــر : إنى أحب اللون الخمرى .

الأبـــيـــض : اللون الأبيض لا يُعلى عليه .

الأحـــمـــر : بدأ الخلاف .

الأبـــيـــض : (بسرعة) ومع ذلك فجميع الألوان واحدة .

الأحـــمـــر : وأحب العود الممتلئ .

الأبـــيـــض : نحن فى عصر الرشاقة .

الأحـــمـــر : لا أتصور ذلك أبدا .

الأبـــيـــض : ليكن . . ليكن . . بشرط ألا يزيد وزنها بعد المعاشرة .

الأحمر : بل لا بأس من أن يزيد وأن تمتلئ المواقع التى يريد الله لها أن تمتلئ.

الأبيض : (متنهدا) لتكن إرادة الله.

الأحمر : ورأيت من الحكمة أن تكون ذات مال ولو فى الحدود المعقولة.

الأبيض : يا له من تفكير تجارى!

الأحمر : أنت جاهل بالدور الذى يلعبه المال فى الحضارة!

الأبيض : ليكن ما تريد، لا تغضب.

الأحمر : ولا أقبل بحال أن تكون كاملة التعليم، حسبها التعليم الابتدائى، فالعلم زينة غير مقبولة للمرأة وهو يغريها دائما بالعمل الذى يحولها فى النهاية إلى رجل.

الأبيض : رأيك هذا كان رأيا عصريا فى العصر الحجرى.

الأحمر : أنا لا يخيفنى التعبير بالعصور القديمة.

الأبيض : ما دمنا نرغب فى أن نكون ثلاثة فأكثر، وما دام ذلك فى صالحنا وضمانا لأمننا المهدد، فلا يعنى إلا القبول.

الأحمر : وطالبت بأن تكون لعوبا فى نطاق الشرع!

الأبيض : المرأة اللعوب لا يسعها إلا أن تكون لعوبا سواء فى نطاق الشرع أو خارجه.

الأحمر : بل فى نطاق الشرع وحده وسوف ترى.

الأبيض : فلنجرب على أى حال.

(صمت)

الأحمر : هل لك مواصفات أخرى؟

الأبيض : مواصفات هامشية ولكنها لا تخلو من فائدة، مثل البراعة فى الحديث.

الأحمر : لا أهمية لذلك، أنا أعرف زوجا سعيدا، ترجع سعادته أولا إلى كون زوجته خرساء.

الأبيض : ويا حبذا لو كانت تجيد الغناء!

الأحمر : لا أهمية لذلك أيضا فلدينا الكفاية فى الإذاعة والتليفزيون.

(صمت)

الأحمر : هل من مواصفات أخرى؟

الأبيض : كلا.

الأحمر : أعتبر اتفاقنا كاملا؟

(الأحمر ينظر إلى الجانب الأيمن من المسرح ويزغرد. تسمع موسيقى زفة العروس.

تدخل العروس وهى تسير بين شيخ وشرطى. يقفون أمام الشابين ثم يستدير الرجلان ويذهبان. تتبادل النظرات بين العروس وبين الشابين).

الأحمر : أهلا بك يا عروس.

العروس : (فى حياء) أهلا بك.

الأبيض : فلتحل بحلولك النعمة والهناء.

العروس : آمين.

(يقبلانها فى وقت واحد، كل فى خد)

العروس : (بحيرة) توقعت قبلة واحدة!

الأبيض : سيتكرر ذلك كثيرا.

الأحمر : وعلى كل موقع مختار!

(ذهول من العروس وضحك من الشابين)

الزوجة : (فى حيرة أكثر) إنى أتزوج لأول مرة فمعذرة.

الأحمر والأبيض معا : ونحن كذلك!

الـزوجـــــة : نحن؟!

الأبــيــض : نعم.

الأحـــمـــر : لسنا من أنصار تعدد الزوجات.

الـعــــروس : ولكن.

الأحـــمـــر : أنت الزوجة ونحن الزوج.

الـعــــروس : معا؟

الأحـــمـــر : نعم.

الـعــــروس : ولكنكما اثنان.

الأبــيــض : اعتبرينا شخصا واحدا.

الـعــــروس : لا أفهم شيئا.

الأحـــمـــر : ثمة أمور لا تفهم إلا بعد ممارسة الحياة الزوجية بالفعل.

الـعــــروس : لم يكن ذلك ضمن المعلومات التى زودتنى بها أمى.

الأحـــمـــر : طيبة منها ولا شك.

الـعــــروس : وكيف تستقيم المعيشة معكما معا؟

الأحـــمـــر : ستعلمين ذلك فى حينه.

الـعــــروس : أليست حالا غير طبيعية؟

الأحـــمـــر : هذا ما جرت به الطبيعة منذ الأزل.

الـعــــروس : قيل لى إن التوفيق مع زوج واحد أمر ليس بالهين فكيف يتيسر مع اثنين؟

الأبــيــض : هو غير هين لذلك وليس لسبب آخر.

الأحـــمـــر : ستتعلمين كل شىء فى حينه.. تعالى.

(ينهالان عليها قبلا وأحضانا وهى مرتبكة)

الـعــــروس : ستوجد مشاكل؟

الأحمر : مشاكل؟

العروس : (فى حياء) من سيكون أبا الوليد؟

الأبيض : سيحمل اسم من يسجله فى المكتب المدنى .

العروس : ولكن ذلك شىء عرضى جدا .

الأبيض : الأسماء كلها عرضية .

العروس : أعجب ما سمعت فى حياتى!

الأحمر : هكذا سيبدو لك كل شىء .

العروس : لم أسمع بذلك مَن قبل .

الأحمر : ولذلك فإنى من أنصار تعليم الجنس فى المدارس!

(صمت)

(يترامى وقع أقدام. يخرجون بعنف من جو الموقف ويرهفون السمع)

الأحمر : غير معقول .

الأبيض : (متنهدا) لم أكن مغاليا .

العروس : من القادم؟

الأحمر : (للأبيض) : ولكن . . هيهات أن يعرفنا!

الأبيض : فليحقق الله ظنك .

العروس : أتتوقعان قدوم أحد؟

الأحمر : كلا .

العروس : فمن القادم؟

(صمت مع إرهاف السمع)

(يدخل الرجل بصورته الثابتة، ويمضى ذهابا وإيابا فى حركة أسرع قليلا مما كانت عليه فى المنظر السابق.

الأحمر والأبيض والعروس يتراجعون بعيدا عن مسمعه).

الأحـــمـــر : قلبى يحدثنى بأنه لم يعرفنا .

الأبـــيـــض : طالما منينا أنفسنا بذلك .

الـعـــروس : (بضيق واضح) ماذا جاء به إلى هنا؟

الأحـــمـــر : (للعروس) أرأيته من قبل؟

الـعـــروس : أكثر من مرة!

الأحـــمـــر : أنت أيضا؟!

الـعـــروس : وأنتما؟ . . أليس كذلك؟!

الأبـــيـــض : لعله من سكان الحى!

الأحـــمـــر : أكاد أوقن بجنونه .

الـعـــروس : كان من المترددين على أبى .

الأحـــمـــر : أيضا!

الـعـــروس : ظننته سينقطع عن الظهور عندما أصير فى عصمة رجل ولكنه مصر رغم أننى صرت فى عصمة رجلين!

الأحـــمـــر : لا داعى للتشاؤم فلعله لم يعرفنا .

الأبـــيـــض : لعله!

الـعـــروس : رباه . . ما أشد قلقى . . ماذا يجدر بنا أن نفعل؟

(صمت)

الأحـــمـــر : فلنتجاهله . . ولنغن احتفالا بحياتنا الزوجية .

(يرجع الأحمر بهما إلى موقفهما السابق وسط المسرح ثم يغنون):

بشـــرى لنـــا   نلنـــا المنـــى
زال العنـــــا   وافى الهنـــا

(الأبيض يرهف السمع باهتمام واضح)

الأبـــيـــض : (للأحمر) عاد يتكلم .

الأحمر : (منفعلا) ماذا قال؟

الأبيض : كالعادة.

الأحمر : (مخاطبا الرجل) ماذا تريد؟

الأبيض : (للرجل) سيدى.. لم تضيع وقتك هدرا؟!

الأحمر : (للرجل وحدته ترتفع) هل تغرك قوتك؟ هل تستند إلى أحد من ذوى الشأن؟ إذن فاعلم أننا أصهرنا إلى واحد منهم هو والد هذه الزوجة الكريمة، وقد أصبحنا ثلاثة تؤيدهم حلقة متينة من العائلات الأصيلة.

الأبيض : (للرجل) أخى شاب ذو حدة، ولكننا فى النهاية من صلب الرجل الطيب الذى كان صديقا لك.

الأحمر : (مستسلما للحدة) : لم أعد أطيق هذا التدخل السخيف!

العروس : ولا أنا.

الأبيض : (للرجل) ماذا تريد يا سيدى؟ كأنه لا يروق لك شىء مما نفعله، فماذا تريدنا على أن نفعل؟

الأحمر : (للرجل) تكلم.. يجب أن تتكلم.

العروس : (للرجل أيضا) احترم الحياة الزوجية المقدسة.

الأبيض : نحن ندعوك لحفل زفافنا، ما رأيك؟

(صمت)

الأحمر : (موجها خطابه للزوجة والأبيض) لا فائدة!

العروس : يا للأسف!

الأبيض : (وهو يتنهد بصوت مسموع) أصبح لنا أسرة على أى حال!

(الرجل وهو يواصل حركته ذهابا وإيابا يضرب بسوطه

الهواء فتسمع طرقعة شديدة.. يتراجعون بعيدا عنه فى ذعر واضح).

العروس : لا أطيق ذلك.

الأحمر : ولا أنا.

الأبيض : لنبدأ رحلة شهر العسل!

الأحمر : لنبدأها فورا.

العروس : هيا.. هيا.

الأحمر : سيسقط يوما من الإعياء جثة هامدة.

العروس : آمين.

(يتأبط كل منهما ذراعا لها ويغادرون المكان وهم يسترقون النظر إليه فى حذر. يواصل الرجل حركته على حين يظلم المسرح).

٤

(يضاء المسرح. الأبيض والأحمر بنفس الملابس ومعهما الزوجة. واضح أن العمر قد تقدم بهم فجرى المشيب فى رءوسهم وذبلت نضارتهم، أصبحوا كهلين وسيدة).

الزوجة : مهما يكن من متاعبكم فلا يجوز أن ننسى الأبناء!

(الرجلان يتبادلان نظرات عميقة وكأنهما لم يسمعا صوت الزوجة).

الأحمر : إذا طارت درجة المدير العام هذه المرة فقل عليها السلام.

الأبيض : ما زالت اجتماعات اللجنة مستمرة!

الأحمر : ككل مرة، ثم يرقى شخص مجهول لا يخطر ببال أحد.

الأبيض : هل تطيق الصحة أعباء جديدة يا عزيزى؟

الأحمر : لا شيء يهمك حتى الأعماق، أبدا، هل فكرت فى تحسين المعاش كما ينبغى لرجل مسئول؟!

الزوجة : المعاش فى النهاية أهم من المرتب نفسه!

الأحمر : كررى ذلك على مسامعه!

الأبيض : إنى أود الترقية أيضا ولكنى أكره حرق الدم.

الأحمر : سرعان ما تضيق بأى شيء.

الأبيض : فليهتم بالمعاش من لن يملكوا سواه، أما أنت فإن نشاطك الحر أضعاف نشاطك الرسمى.

الأحمر : لولا ذلك ما توافرت لنا الحياة التى ننعم بها.

الأبيض : غرقنا فى العمل طيلة عمر، للدولة ولأنفسنا، بت أتطلع لحياة أخرى، لشيء من الهدوء والراحة.

الأحمر : عما قريب ستشبع من الهدوء والراحة وتبكى الأيام الخالية.

الأبيض : لا أظن.

الزوجة : كفا عن النزاع، ولندع الله أن يهبنا القوة والصحة، ولكن فكرا قليلا فى الأبناء.

الأحمر : (للأبيض) أنت مثبط للهمم.

الأبيض : كلا، لى طموح بعيد أيضا.

الأحمر : لا أعترف به.

الأبيض : تلزمنا فترة تأمل عقب الجنون المحتدم.

الأحمر : من أين لنا بها؟ ثلاثة اجتماعات فى اليوم، ورابع فى

المساء مع سمسار من السوق الحرة، وعلينا بعد ذلك أن نقيم وليمة عشاء للعملاء . .

الـزوجـــــة : ستكون وليمة يشهد لها العدو قبل الصديق . .

الأبــيـــض : (للأحمر) ولكن ألا ترى أن وظيفة المدير العام ستلتهم وقتنا الضيق؟

الأحــمــــر : كلا، فهى من ناحية أخرى تذلل كثيرا من الصعاب . .

الأبــيـــض : لا تنس أمراضك المزمنة .

الأحــمــــر : إنى مسيطر عليها تماما . .

الـزوجـــــة : نسأل الله السلامة . .

الأحــمــــر : (للزوجة) لن أنسى أفضالك فأنت ممرضة ماهرة!

الأبــيـــض : هى نفسها لا تخلو من أمراض مزمنة . .

الأحــمــــر : هذا يدعونا إلى مضاعفة النشاط .

الـزوجـــــة : والأبناء؟

الأحــمــــر : (فى ضـــيق) الأبناء . . الأبناء . . لا حكاية لك إلا الأبناء، وحكايتهم لا تسر الخاطر . .

الـزوجـــــة : ولكنها جديرة بكل اهتمام وعناية . .

الأحــمــــر : اللعنة . . إنهم أعقد من درجة المدير العام .

الـزوجـــــة : (للأبيض) قل شيئا . .

الأبــيـــض : فى ذلك المجال فإنى أفعل أكثر مما أتكلم .

الـزوجـــــة : (متأوهة) حسادنا كثيرون على حين أننا تعساء .

الأحــمــــر : (غاضبا) كفى عن الولولة!

الـزوجـــــة : (غاضبة أيضا) أنت رجل أنانى . .

(يخرصهم السكوت فجأة فيرهفون السمع فى قلق واضح).

الأحــمــــر : كلا . . لا شىء . .

الزوجة : ماذا هناك؟

الأحمر : خيل إلىّ . .

الزوجة : يا رحمن يا رحيم .

الأبيض : ليست المرة الأولى .

الأحمر : ماذا تعنى؟

الأبيض : سمعنا الأقدام مرات ولكن الرجل لم يظهر ، منذ مدة لم يظهر .

الأحمر : بل كدنا ننساه تماما .

الزوجة : ليس تماما .

الأبيض : ولكنه كثير ما يسمعنا وقع أقدامه . .

الأحمر : مجرد ظنون .

الزوجة : لعله مات . .

الأبيض : مات؟!

الزوجة : وإلا ما اختفى طيلة تلك المدة . .

الأبيض : لكنه لم يختف تماما . .

الأحمر : أقسم أننى كدت أنساه . .

(وقع الأقدام يسمع بوضوح. ينصتون بقلق واضح..).

الأحمر : ليتنا ما ذكرناه . .

الزوجة : ليتنا . .

الأبيض : ولكن لا حيلة لنا فى ذلك .

الأحمر : لا تنقصنا الهموم . .

الزوجة : وكل الهموم تهون بالقياس لهمه . .

الأبيض : ونحن نخلق من الهموم ما يكفى .

الأحمر : (للأبيض فى غيظ وحنق) يخيل إلىّ أحيانا أنك حليفه علينا!

الأبـــيـــض : ليتك تزداد مع العمر حكمة . .

الأحـــمـــر : الإعجاز أن نزداد مع العمر حماقة!

الأبـــيـــض : أشهد أن ذلك الإعجاز لا ينقصنا!

الأحـــمـــر : ما زلنا شبابا .

الأبـــيـــض : ظننت أن الشباب قد ولى . .

الأحـــمـــر : (مشيرا إلى قلبه) الشباب هنا وليس فى مكان آخر .

الـزوجـــة : ما زلنا شبابا!

الأبـــيـــض : إذن فعليكم ألا تهتموا بمطاردة الرجل لنا .

الأحـــمـــر : ولكنى لا أرتاح إليه .

الـزوجـــة : وأما أنا فإنى أمقته . . ويخيل إلىّ أنه سيقتلنا يوما ما .

الأبـــيـــض : نحن نقتل أنفسنا أيضا . .

الأحـــمـــر : لقد حققنا أعمالا مجيدة .

الـزوجـــة : أعمال غير قابلة للموت .

الأبـــيـــض : لا يجوز أن نخشى الموت أكثر مما ينبغى .

الأحـــمـــر : كلام فارغ ، أنت أول من يخاف الموت .

الـزوجـــة : كيف لا نخشى الموت؟!

الأبـــيـــض : لا يبعد أن يكون آخر مغامرة فى الحياة . .

الأحـــمـــر : لا تتعلق بالأوهام . .

(وقع الأقدام يشتد. يدخل الرجل. منظره لم يتغير. يمضى فى حركته ذهابا وإيابا بسرعة أكبر مما كانت عليه فى المنظر السابق. يتابعونه بذهول. يتراجعون بعيدا عن مسمعه).

الأحـــمـــر : قلبى يحدثنى بأنه لم يعرفنا .

الأبـــيـــض : لا تتعلق بالأوهام!

الـزوجـــة : إنه يزداد سرعة!

الأحـــمـــر : ذلك يعنى أنه يزداد جنونا .

الأبـــيـــض : ترى ما معنى ذلك؟

الأحـــمـــر : لا تحمل الأمور أكثر مما تعنى . .

الـزوجـــة : (فى عصبية) ما له يسرع هكذا!

الأحـــمـــر : علينا أن نفزعه . .

الـزوجـــة : كيف؟

الأحـــمـــر : (غامزا بعينه) فلنمثل دورنا بإتقان . .

: **(يرجع بهما إلى المكان الأول وهو يتظاهر بالثقة والعظمة..).**

الأحـــمـــر : (للأبيض) هل أضفت الأموال إلى حسابنا الجارى؟

الأبـــيـــض : نعم .

الأحـــمـــر : عظيم . . لا يجوز أن نترك مليما بلا استثمار .

الـزوجـــة : عين الصواب .

الأحـــمـــر : سأقابل غدا بعض كبار المسئولين .

الـزوجـــة : لعلهم ضمن المدعوين إلى مأدبة العشاء؟

الأحـــمـــر : كلا ، ستكون الوليمة قاصرة على الوزراء!

الـزوجـــة : ولا تنس السفراء يا عزيزى .

الأحـــمـــر : ذلك ما لا يمكن نسيانه .

الـزوجـــة : سيتم كل شىء على خير وجه قبل أن تسافر إلى الخارج .

الأحـــمـــر : **(وهو يضحك عاليا) طبعا.. طبعا..**

(الأبيض يرهف السمع باهتمام وقلق، يتجه نحو الأحمر).

الأبـــيـــض : تكلم مرة أخرى كالعادة!

الأحـــمـــر : أنت وحدك تسمع رغم أنك أضعفنا سمعا!

الأبـــيـــض : عليك أن تصدقنى . .

الأحـــمـــر : (للرجل وهو يتقد غضبا) ماذا تريد؟

الـزوجـــة : (للرجل) ماذا جاء بك إلى بيتنا؟

الأحـــمـــر : (») نحن نطالبك بالأدب واللياقة .

الأبـــيـــض : (») لم يعد يمكن أن يقال إننا نبدد وقتنا فى اللعب!

الأحـــمـــر : (») وماذا يهمك من سلوكنا؟

الـزوجـــة : (») ألا تخاف على أعصابك وأنت تجرى بهذه السرعة؟

الأحـــمـــر : (») يوجد قانون وتقاليد .

الـزوجـــة : (») صن صـحـتك من أجل خـاطر أولادك، أليس لك أبناء؟

الأبـــيـــض : (للرجل) ليتك تصارحنا بما تريد .

الأحـــمـــر : (») إنى أحذرك عواقب الاستهتار .

الأبـــيـــض : (») المصارحة مفيدة للطرفين .

الأحـــمـــر : (للأبيض) لا تلاينه فإنه لا يزداد بالملاينة إلا عتوا .

الـزوجـــة : (للأحمر متوسلة) دعه يجرى!

(يتراجع الأحمر والزوجة تاركين الأبيض يجرب حظه..).

الأبـــيـــض : علاقتك القديمة بوالدنا لا يمكن أن تنسى . .

(الرجل يواصل حركته وكأنه لا يسمع شيئا).

الأبـــيـــض : إنك لا تدرى مدى الإزعاج الذى تسببه لنا بحسن نية .

(الرجل يواصل حركته وكأنه... إلخ)

الأبـــيـــض : أأنت مكلف بمهمة؟ ما هى؟ من كلفك بها؟ . . صارحنا وأعدك بالمساعدة!

(الرجل يواصل.. إلخ)

الأبـــيـــض : لا تسىء بنا الظن، لنا أخطاء بلا شك، ولكن أعمالنا لا تخلو من قيمة . . وخيرنا أكثر من شرنا . .

(الرجل يواصل.. إلخ)

الأبيض : صارحنا بما فى نفسك وإلا فمن العدل أن تتركنا وشأننا . .

(صمت مع استمرار الرجل فى حركته)

الزوجة : (لنفسها) الكلام الطيب لا يؤثر فيه .

الزوجة : (للرجل بصوت مرتفع منفعل) هذه أرضنا ، لنا فيها أبناء وأموال وأعمال ، فليس من الإنصاف أن تزعجنا على هذا النحو . .

الأحمر : (بنبرة تهديد) لا فائدة ، ولا مفر من اللجوء إلى المسئولين . .

(الرجل مستمر فى حركته على حين ينضم الأحمر والزوجة إلى الأبيض).

الأحمر : (بنفس النبرة المهددة) قوى شر كثيرة تعترض مجرى الحياة ، مستهترة بالقوانين والتقاليد ، ولكن كيف تكون عاقبتها ولو على المدى البعيد؟ تغلب على أمرها ، ويحق عليها الجزاء والقهر ، هذه هى سنة الحياة وإلا حق عليها الفناء . .

(الرجل وهو مستمر يضرب الهواء بسوطه فيحدث طرقعة رهيبة فينكمش الثلاثة ، ثم يرون من الأوفق أن يغادروا المكان فيغادروه متعثرين . الرجل مستمر والظلام يهبط . .) .

٥

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض والزوجة وقد طعنوا فى السن وركبتهم الشيخوخة. الأحمر يرتدى عباءة حمراء وطاقية حمراء، والأبيض عباءة بيضاء وطاقية بيضاء، أما الزوجة فترتدى روبا يجمع بين اللونين. يتحركون حركات تنم عن الضعف والشيخوخة).

الأحمر : آه .

الأبيض : آه .

الزوجة : آه .

(صمت)

الزوجة : الحمد لله على أى حال .

الأبيض : له الحمد والشكر .

الأحمر : اللهم احفظنا .

(صمت)

الأبيض : (مرهفا السمع) هل تسمعان وقع أقدام؟

الأحمر : ثقل السمع !

الزوجة : إنى أسمعها عن غير طريق الأذن!

(صمت)

الزوجة : أتذكران عندما كنا أطفالا؟

الأحمر : ولكننا عرفناك بعد مرحلة الطفولة !

الأبيض : (فى حنان) عندما كنا أطفالا !

الـزوجــــــة : (متنهدة) عندما كنا أطفالا!

(صمت)

الـزوجــــــة : كأنه الأمس.

الأبـــيـــض : كأنه الأمس.

الأحـــمـــر : كأنه.. كأنه.. كأنه.. عليكم اللعنة!

(صمت)

الـزوجــــــة : الأيام الحلوة.

الأبـــيـــض : والأحلام الحلوة.

الأحـــمـــر : كنا نبول على أنفسنا وها نحن نبول على أنفسنا مرة أخرى!

(صمت)

الأبـــيـــض : (مرهفا السمع) هل...

الأحـــمـــر : (مقاطعا) تسمعان وقع أقدام؟

الـزوجــــــة : إنها تدب بلا انقطاع.

الأبـــيـــض : أعتقد أننا ألفناها.

الأحـــمـــر : أعتقد أنك مزعج مثله.

الـزوجــــــة : لا داعى للخلاف الآن.

(صمت)

الأحـــمـــر : فاتتنا فرص عظيمة ولكننا قمنا بأعمال تستحق الذكر.

الـزوجــــــة : نحمده على ما نلنا ونستعيضه عما فاتنا.

الأبـــيـــض : نحمده.

(صمت)

الأحـــمـــر : ترى هل أخطأنا فى توظيف أموالنا؟

الـزوجــــــة : العمارات أثبت من السوق المتقلبة!

الأبـــيـــض : سبحان من له الدوام .
الأحـــمـــر : وفكرة البيع الصورى للأبناء رائعة من ناحية الضرائب!
الأبـــيـــض : هى أروع فكرة قانونية للخروج عن القانون .
الأحـــمـــر : (غاضبا) أنت عنيد وأحمق .
الأبـــيـــض : دائما لا تعجبك الحقيقة .
الـزوجـــة : لا تضاعف من مخاوفنا .
الأحـــمـــر : (ساخرا) الابن الوحيد الذى يحمل اسمك ضاع ، إخوته رجال أعمال يفخر بهم الوطن أما هو فماذا يعمل؟ . . ملحِّن، ملحِّن . . ها . . ها .
الأبـــيـــض : لا يقل عن إخوته شأنا ولا يتطلع مثلهم للهجرة إلى الولايات المتحدة .
الأحـــمـــر : (وهو يضحك) ماذا يعمل بالله؟
الأبـــيـــض : إنه يلحن فيقول الناس آه .
الـزوجـــة : (متأوهة) آه .
الأحـــمـــر : (متأوها) آه .

(صمت)

الـزوجـــة : (معاتبة) كفا عن النزاع لم تعودا صغيرين .
الأحـــمـــر : (فخورا) لولاى ما دامت لنا الحياة الزوجية .
الأبـــيـــض : (فى امتعاض) الحق أنه لولاى لانفصمت عروة الزوجية فى أعقاب شهر العسل!
الأحـــمـــر : (ساخرا) أى فضل لك فى شهر العسل؟!
الـزوجـــة : (مغطية وجهها) يا للفضيحة! . . أخفضا صوتكما!

(صمت)

الأحـــمـــر : (متذكرا أوجاع الكبر) آه .

الزوجة : آه .

الأبيض : آه .

(صمت)

الأحمر : آن لى أن أذهب إلى النادى .

الزوجة : يحسن بك ألا تخرج فى فصل الشتاء .

الأحمر : لا أريد أن يشمت بى أحد من الأعداء .

الأبيض : لا تبالغ فى تصور الأعداء .

الأحمر : الناس بطبعهم أعداء للرجل الناجح .

(وقع الأقدام يرتفع لدرجة لا تخفى على أحد. يرهفون السمع فى رهبة صامتين. يدخل الرجل بمنظره المألوف. يمضى ذهابا وإيابا فى سرعة أكبر من المنظر السابق وهم يتابعونه بذهول).

الزوجة : إنه يكاد يجرى .

الأحمر : يزداد جنونه استفحالا .

الأبيض : لا يبدو عليه الكبر مثلنا .

الزوجة : ما فائدة أن نتساءل عما يجعله يتبعنا؟ !

الأبيض : ولا تؤثر فيه وسائل دفاعنا .

الأحمر : مهما يكن من أمر فلا يجوز أن نطلعه على ضعفنا .

الأبيض : أتؤمن بجدوى ذلك؟

الأحمر : بلا أدنى شك ، فلولا علمه بعملنا ونجاحنا وعلاقاتنا بذوى الشأن لقضى علينا من قديم!

(صمت)

الزوجة : أتوجد فائدة من مناقشته؟

الأحمر : يقينا لا .

الأبيض : واضح أنه يتبعنا أينما نذهب ولكنه لا يتعرض لنا بسوء .

الأحمر : (فى غيظ) ألم يجعلنا طول العمر نتوقعه ونفكر فيه ونضيق به ونتوجس منه؟

الأبيض : نحن الذين نفعل ذلك لا هو .

الأحمر : يا لك من مكابر !

الزوجة : كان وما زال هما ثقيلا على القلب .

الأحمر : كيف فاتنا طيلة عمرنا أن نهاجمه ولو مرة؟!

الزوجة : حذار أن تفكر فى ذلك .

الأبيض : لم نعد أهلا للمعارك .

الأحمر : ولكننا كنا أهلا يوما ما!

الأبيض : شغلتنا المعارك الأخرى .

الأحمر : لا يخلو صوتك من تأنيب أبدا .

الأبيض : دائما ألام على قول الحق!

الأحمر : أنت عبء طالما حملته فوق عنقى .

الأبيض : علم الله أنك كنت العبء لا أنا وأننى تحملتك بصبر يفوق طاقة البشر .

الأحمر : يا لك من مكابر جاحد!

الأبيض : يا لك من جاهل !

الأحمر : لولاك ما جرؤ هذا المجنون على مطاردتنا والاستهزاء بنا .

الأبيض : إنه يستهزئ بك وحدك .

(الزوجة تفصل بينهما لتلطف الجو. يسود الصمت. تتعلق الأبصار بالرجل المتحرك بسرعته المفزعة).

الأحمر : عندى فكرة .

الأبيض : كل ما فعلناه كان من وحى فكرك ولكنه لم يجد .

الأحــــمـــــر : أتستهين بما فعلنا؟
الأبـــيـــض : كلا، إنه عظيم، ورغم مخالفته للقانون أحيانا فهو عظيم، ولكنه لم يرحنا من مطاردته.
الأحــــمـــــر : لم لم نلجأ إلى المسئولين عن الأمن؟
الأبـــيـــض : لَأننا كنا وما زلنا نخشاهم!

(يتبادلان نظرة تحد ولكن الزوجة تفصل بينهما مرة أخرى).

الـزوجـــــة : لجـأ كـثـيـرون إلى رجـال الأمن ولكن مـاذا كـانت النتيـجـة؟.. لا شيء، وهو لا يرتكب جـريمة يعـاقب عليها القانون، ولعله يعتمد على صلاته بأناس فى أقوى مـواقع السلطة، بل علمت أن كـثيـرين من رجـال الأمن أنفسهم يعانون منه مثلنا.
الأحــــمـــــر : لعله يطمع فى شيء مما نملك؟
الأبـــيـــض : ولكنه يطاردنا مذ كنا لا نملك شيئا.

(الأحمر يضرب الأرض بقدمه مغيظا محنقا)

(صمت)

الأبـــيـــض : (وكأنه يحدث نفسه) أهو يطاردنا حقا؟ وإن صح ذلك فلماذا يطاردنا؟ وهل يعمل لحسابه أو لحساب شخص آخر؟

(صمت)

الأبـــيـــض : (مسترسلا فى تفكيره) أضعنا وقتا طويلا دون أن نعنى عناية حقيقية بذلك.
الأحــــمـــــر : (هازئا) لو عنينا بذلك عناية حقيقية لما تبقى لنا وقت لتحقيق شيء ذى قيمة!
الأبـــيـــض : نحن الآن على المعاش وبلا عمل جدّى.

الأحـــمـــر : ولكننا طاعنون فى السن، ومـرضى، ولا قدرة لنا على البحث!

(صمت)

الـزوجـــــة : (بغيظ) ترى ما الذى يجعله يحافظ على قوته رغم مرور الزمن؟

الأحـــمـــر : (فى سخرية) ربما لأنه لم يتزوج!

الـزوجـــــة : (غاضبة) يا لك من جاحد أنانى!

الأحـــمـــر : (للأبيض) لا داعى لطرح أسـئلة والانشـغـال بهـا على حين أنهـا واضـحـة الجـواب، فـهـو يطاردنا بلا ريب، ويطاردنا ليقضى علينا، ولا يهم بعد ذلك أن يكون عمله لحسابه أو لحساب شخص آخر.

الأبـــيـــض : ولكن يخيل إلىّ أحيانا انه بفضله حققنا ما حققنا من عمل.

الأحـــمـــر : ليس بفضله ولكن دفعا لمطاردته الملحة.

الأبـــيـــض : (بنبـرة اعتـراف) الحق أننى قـمت سرا بتـحريات كـثيرة عنه.

الأحمر والزوجة (معا) : حقا؟

الأبـــيـــض : بلا نتيجة تذكر.

(صمت)

الأبـــيـــض : حسبته مندوبا لمصلحة الضرائب أو مرشدا للمخابرات أو موظف إحصاء، أو من شرطة الآداب!

الأحـــمـــر : جميع أولئك ثقلاء ولكن ليس لهذا الحد.

الأبـــيـــض : وحتى تلك المراكز الهامة تبين لى أنهم لا يعرفونه أكثر منا ويعانون من مطاردته مثلنا.

الأحمر : ولم سكتوا عنه وهم يقضون على الآلاف بلا حساب؟

الأبيض : بلَ إن محاولات قتله وفيرة ولكنها تبوء عادة بالفشل.

الزوجة : (فى عصبية) سرعته تدير رأسى!

(ينظرون إليه بحنق. يضرب الرجل الهواء بالسوط محدثا الطرقعة المخيفة. يتجمعون ويغادرون المكان ببطء حسبما تسمح به سنهم المتقدمة.

الرجل يستمر فى حركته على حين يهبط الظلام).

٦

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض والزوجة ولكنهم تغيروا تغيراً مذهلا، عادوا إلى منظر الشباب وملابسه كما رأيناها سابقا. واضح أنهم صبغوا الشعور وشدوا الجلود وفعلوا المستحيل لاستعادة شبابهم الضائع. يتبادلون النظرات وهم يبتسمون فى ارتياح وسرور).

الأحمر : آخر حيلة ولكنها تجوز على الجن الأحمر نفسه.

الزوجة : ما أحلى الرجوع إلى الشباب.

الأبيض : ما أحلاه.

الأحمر : لن يعرفنا ولو دار حول الأرض.

الزوجة : استجب يا رحمن.

الأحمر : من اليسير أن يتابع أناسا وهم يكبرون ولكن كيف يخطر له أنه يمكن أن يرجعوا يوما إلى الشباب؟!

الزوجة : قلبى يحدثنى بأننا نجونا من مخالبه.

الأحمر : وليعوضنا الله عما بذلنا من جهد ومال.

الزوجة : طبيب التجميل وما أخذ نظير تجديد جلد الوجه.

الأبيض : والصبغة العجيبة وارد الخارج.

الأحمر : والحقن، لا تنسوا الحقن.

الزوجة : والهرمونات والحمامات الطبية والتدليك الفنى.

الأحمر : (فى حبور) حل لغز ما وراء الموت أقرب إليه من التعرف علينا.

الأبيض : هى على أى حال آخر ما فى الجراب من حيل.

(صمت)

الأحمر : وثمة مفاجأة جديدة تتم بها اللعبة وتحقق كمالها المنشود.

الأبيض : أكثر مما تحقق بالفعل؟

الأحمر : نعم.

الأبيض : ترى ما هى؟

الأحمر : عروس جديدة!

(الزوجة تصرخ غاضبة محتجة مهددة)

الأحمر : لا تسيئى فهمى.

(الزوجة مستمرة فى صراخها الغاضب)

الأحمر : اعلمى أننى أعمل من أجل سعادة الجميع!

الزوجة : غدر وإجرام!

الأحمر : من أجل عذابك حيال مطاردته لنا اللعينة.

الزوجة : لا داعى مطلقا لهذه المفاجأة، ما حققناه كاف وأكثر.

الأحمر : انضمام العروس إلى الصورة الجديدة يغيرها تغيرا مطلقا.

الزوجة : أنت تستطيع خداعه ولكنك لا تستطيع خداعى .

الأحمر : لا مجال للشهوات ولكننا ندافع عن حياتنا .

الزوجة : لا تحاول خداعى، أنا أعرفك أكثر مما تعرف نفسك .

الأحمر : مضى زمان الحب، وما شبابنا الراهن إلا قناع، هل تجدين رغبة فى الجنس؟

الزوجة : (بتحد) نعم .

الأحمر : يالك من عجوز مستهترة .

الزوجة : وعندك أضعاف ذلك .

الأحمر : لا تضيعى من أيدينا آخر فرصة لنا .

الزوجة : إن أردت عروسا جديدة فهاك أنا!

الأحمر : اتقى الله يا ولية وجربى قرعتك فى الحج هذا العام .

الزوجة : إنى صالحة للحب كما أنى صالحة للحج .

الأحمر : ألم تزجرينى كثيرا مذكرة إياى بالأبناء والأحفاد؟

الزوجة : لا تذكرنى بتلك الأيام اللعينة .

الأحمر : أؤكد لك أنك غير صالحة للحب .

الزوجة : جرب . . العبرة بالتجربة .

الأحمر : أنت مجنونة!

الزوجة : أنتَ غدار خائن .

الأحمر : (للأبيض) هل خرست؟ . . أسعفنا برأيك .

الأبيض : أمهلنا وقتًا للتفكير .

الزوجة : (للأبيض) حتى أنت تريد أن تفكر!

الأحمر : فات الوقت، العروس الجديدة حقيقة مفروغ منها .

(الزوجة تعاود الصراخ)

الأبيض : كان يجب أن نتشاور!

الزوجة : لن يكون ذلك أبدا .

الأحمر : لا أسمح بكلمة أخرى . . وإلا اضطررت إلى الطلاق!

الزوجة : تطلقنى وأنا جدة؟ . . حتى الوحوش تستنكف ذلك .

الأحمر : اذهبى إلى أولادك قبل أن يعصف الغضب برأسى .

(الأبيض يتدخل لإنقاذ الموقف. يأخذ الزوجة من يدها إلى الخارج وهو يحادثها بصوت غير مسموع.. ثم يعود الأبيض وحده).

الأبيض : يا لك من جرىء حقا!

الأحمر : أظهر سرورك الآن يا منافق!

الأبيض : لن تجد عروسا مناسبة أبدا . .

الأحمر : عروس فى السادسة عشرة مثل لهطة القشدة .

الأبيض : أصغر من حفيدتنا .

الأحمر : ليست حفيدتنا على أى حال .

الأبيض : لا تحرجنا .

الأحمر : ستعلم أنها أقوى أثرا من كافة العقاقير .

الأبيض : يا لها من مغامرة!

الأحمر : لن تكون أفظع من المطاردة اللعينة .

(الأحمر يصفق بيديه. نسمع موسيقى الزفة. تدخل العروس بين شابين هما أمين من أمناء الشرطة حاملا جهازه اللاسلكى ومأذون عصرى متأبطا دفتره مرتديا بنطلونا وقميصا أمريكيا متعدد الألوان. يقدمان العروس ويذهبان.. الثلاثة يتبادلون النظرات..).

الأحمر : مبارك يا عروس .

(العروس تضحك ضحكة عذبة دون أدنى ارتباك).

الأحـــمـــر : خذى راحتك على آخرها فأنت فى بيتك .

العـــروس : شكرا . . ولكن .

الأحـــمـــر : أفصحى عما تريدين بكل حرية .

العـــروس : أشعر كأنى فى حاجة إلى تشجيع .

الأحـــمـــر : قلت لك إنك فى بيتك .

العـــروس : أعنى أنه من المفيد . . أعنى أن قليلا من . . الويسكى . .

الأحمر والأبيض: ويسكى!

العـــروس : قليل منه مناسب .

الأحـــمـــر : هل لك تجربة سابقة به؟

العـــروس : فى نطاق ما يسمح به عمرى .

(الأحمر والأبيض يتبادلان النظر فى ذهول. ينتحيان جانبا).

الأحـــمـــر : فى نطاق ما يسمح به عمرى!

الأبـــيـــض : سمعت كل كلمة . . ما رأيك؟

الأحـــمـــر : ما كان كان .

الأبـــيـــض : عظيم .

الأحـــمـــر : ولكن الخمر مضرة لنا ونحن لم نجدد الكبد .

الأبـــيـــض : ولم نجدد القلب ولا العروق .

الأحـــمـــر : الله معنا .

(يرجعان وهما يبتسمان)

الأحـــمـــر : ما أجمل أن نستغنى عن الخمر!

العـــروس : أتسمعنى وعظا فى ليلة الزفاف؟

الأحـــمـــر : كلا ، ولكنها الصحة .

العـــروس : أأنت مريض؟

الأحـــمـــر : كلا . . ما زلنا بعيدين عن سن الأمراض!

العروس : اتفقنا!

الأحمر : (ضاحكا) يبدو لى أنك فتاة ذات ذكاء وتجربة.

العروس : هذا هو طابع القرن!

الأحمر : لا أستبعد أن تكونى على إلمام بالتربية الـ . . . العاطفية.

العروس : العاطفية؟

الأحمر : أعنى الجنسية؟

العروس : أووه.

الأحمر : لكنها لم تقرر بعد فى المدارس!

العروس : (ضاحكة) لكنها مقررة فى أماكن كثيرة!

الأحمر : يا لك من عروس مثيرة!

العروس : إذا كنت ممن يخافون فلم زججت بنفسك فى الحياة الزوجية؟

الأحمر : لا خوف هناك ولكن للأسر العريقة تقاليدها.

العروس : طظ!

(الأحمر يتظاهر بالضحك وكذلك الأبيض)

الأحمر : أسلوبك بديع ولكنه جرىء، أجرأ من أساليب العذارى!

العروس : لم يعرف التاريخ إلا عذراء واحدة!

(الرجلان يتبادلان النظر فى ذهول. العروس تفتح حقيبة يدها وتخرج منها زجاجة ويسكى.. وتشرب.. وتمد بها يدها إليهما).

العروس : يبدو أنك بخيل، خذ واشرب وإلا غضبت.

(الأحمر يحرج فيتناول الزجاجة ويشرب ثم يعطيها الأبيض فيشرب، وتنتقل الزجاجة بينهم).

العروس : ذلك مفيد جدا فى التغلب على الحياء!

الأحمر : (مندهشا) الحياء؟!

العروس : نعم الحياء، أنت لم تر شيئا بعد.

الأحمر : نخب الحياء.

(الزجاجة تدور. فى نشوة يقبلان العروس فى الخدين فى وقت واحد).

الأحمر : (للعروس) لعلك مندهشة لأن القبل تنهال عليك من رجلين لا من رجل واحد.

العروس : (وهى منتشية) القبل نعم مشكورة لا يجوز أن نفسدها بالتساؤل!

الأحمر : (ضاحكا) الحقيقة أن لك زوجين لا زوجا واحدا!

العروس : (منقلة البصر بينهما) أرجو أن أجد فى ذلك الكفاية حتى أنعم بالاستقرار المنشود.

(الرجلان يتبادلان النظر ثم يغرقان فى الضحك. الزجاجة تدور مع القبلات).

الأحمر : لم نفلح فى إثارة دهشتك ولو مرة واحدة!

العروس : عسير جدا أن تثار دهشة فى هذه الأيام.

(الأبيض يتنصت فى ترقب مفاجئ)

الأبيض : (للأحمر) سمعت شيئا؟

(الأحمر ينصت. يترامى وقع أقدام)

الأحمر : لعله عابر سبيل..

الأبيض : ولكنها أقدامه هو.

الأحمر : غير معقول، وحتى لو كان هو فلن يتعرف علينا..

العروس : هل تتوقعان قدوم أحد؟

الأحـــمـــر : كلا .

الـعـــــروس : أظن أن اثنين فيهما الكفاية!

(الرجل يدخل. هو هو كـما رأيـناه. يذهب ويجىء فى سرعـة تفوق سرعاته السابقة كلها).

الأحـــمـــر : اللعنة .

الأبـــيـــض : أعوذ بالله .

الـعـــــروس : هذا الرجل أذكره .

الأحـــمـــر : أنت أيضا تعرفينه؟ هذا ما توقعته ، إنه مجنون .

الـعـــــروس : مثل جميع الطاعنين فى السن فيما يبدو .

الأبـــيـــض : ولكنه ليس طاعنا فى السن فيما يبدو .

الـعـــــروس : كان صديقا لأبى . .

الأحـــمـــر : (بإصرار) لنشرب .

(تدور الزجاجة بينهم)

الأحـــمـــر : لا مفر .

الأبـــيـــض : لا مفر .

الـعـــــروس : ظننته يوما يطاردنى للحب . .

الأحـــمـــر : إنه مجنون بداء المطاردة .

الـعـــــروس : لا يبعد أن يكون لطيفا خفيف الروح .

الأحـــمـــر : عرفناه أكثر منك .

(صمت)

الأحـــمـــر : (للرجل متـحـديا وهو ثمل) اجـر . . اجـر . . افـعل مـا تشاء . . ماذا يهم؟ . . ولكن لا تعد نفسك منتصرا . . لن نقتنع بأنك تتـعـرف علينا بحـاسـة مـجـهـولة . . أبدا . . الحكاية أن البلد مـلأى بـالجـواسـيـس . . أنت على صلة

بالشرطى أو المأذون أو طبيب التجميل أو الصيدلى . . لا سر هناك ولا معجزة . . افعل ما تشاء . . اجر . . اجر حتى تقع مغشيا عليك . . وسوف نضحك كثيرا وطويلا . .

الأبيض : (للرجل) ليتك تشرب معنا، الشرب صنع لنا معجزات . .

العروس : كيف أنساكما هذا الرجل عروسكما؟

(يدور الشراب والقبلات والأحضان)

الأحمر : (للرجل) سنفعل ما يحلو لنا تحت سمعك وبصرك، سينبت فى رأسك قرنان وأنت تجرى كالمجنون . .

الأبيض : (للرجل) معذرة، للخمر سلطان وللحب سلطان، ولكننا فى الواقع نحترمك، صدقنى فأنت تشغل من وقتنا أكثر مما تتصور، وأنا مقتنع بأنك لا تتعرض لنا بأذى، وأننا فى الواقع مسئولون عن كل شيء، فنحن الذين نعمل ونحن الذين نتغير ونحن الذين نكبر، ولا حق لنا فى أن نعلق عليك الأخطاء والمتاعب، وبودى أن تقبل دعوتى للشراب!

الأحمر : (للأبيض) يا لك من منافق!

الأبيض : لا تفسد شهر العسل بسوء الأدب.

العروس : هل تزوجتمانى لقتل الوقت بالشجار والجدل؟

(يرجعون للقبل والأحضان والضحك. العروس والأبيض يرقصان. الأحمر ينظر نحو الرجل وهو يترنح من السكر).

الأحمر : اجر . . لا يهم . . سيدور رأسك وتقع جثة هامدة . .

(العروس تتخلص من ذراع الأبيض ثم تقبل نحو الأحمر فيرقصان معا. الأبيض وهو يترنح ينظر نحو الرجل).

الأبيض : أود أن أقابلك على انفراد..

(الرقص مستمر وكذلك الرجل)

الأبيض : سيجرى بيننا حوار مفيد، وإن كان ثمة جديد فلعله يكمن فى صدرك الصامت..

(الرجل يضرب الهواء بسوطه محدثا طرقعة رهيبة..).

(الأحمر والأبيض يتلاصقان. يحاولان مغادرة المكان ولكن قدميهما لا تسعفانهما. يسقطان. يزحفان على أربع إلى الخارج حتى يختفيا تماما. العروس مستمرة فى الرقص وحدها.. الرجل تأخذ حركته فى التباطؤ رويدا رويدا حتى يقف تماما وهو يحرك قدميه (محلك سر). العروس ترقص وحدها أمام الرجل).

(ستار)

الجبل

كهف فوق سطح المقطم. إلى اليسار ممر يبدأ من نقطة عند حافة الكهف اليسرى ويمتد فوق السطح إلى الخارج. إلى اليمين ممر يبدأ من نقطة عند حافة الكهف اليمنى وينحدر نحو الخارج موحيا بالامتداد حتى سفح الجبل.

الكهف مظلم. ثمة أشباح. يد شبح تشعل المصباح المدلى من سقف الكهف. يتضح المنظر. يوجد رجل بالملابس البلدية مقيد اليدين والقدمين جالسًا على الجهة اليسرى من الأرض وأمامه من الناحية المواجهة خمسة من الشبان جالسين على الأرض أيضًا يرتدون القمصان والبنطلونات.

يتوسطهم عساف بمركز الرياسة. إلى يمينه إسماعيل وحلمى. إلى يساره رمزى وحسنى.

الرجل المقيد: (فى حال فزع) انقضضتم علىّ فى الظلام وأنا راجع فتوهمتكم لصوصا، وها أنا ذا أرى أنكم أبناء من حارتى، أنت عساف، أنت إسماعيل، أنت حلمى، أنت رمزى، وأنت حسنى، جيران وأبناء جيران، ما معنى ذلك؟ لماذا فعلتم بى ما فعلتم؟!

عساف: جئنا بك لنحاكمك.

الرجل: (وقد امتزج الفزع بالدهشة) قلت تحاكموننى؟

عساف : نعم.

الرجل : ما أنا بالمجرم.

عساف : إنك مجرم.

الرجل : وما أنتم بالقضاة.

عساف : نحن قضاة كما ترى.

الرجل : إن كنتم تريدون نقودًا. . .

عساف : (مقاطعا) لسنا لصوصا.

الرجل : ولست مجرما.

عساف : إنك مجرم وتعلم أنك مجرم.

الرجل : حذار يا أبنائى من الخطإ، القانون لا يغفل، ولا يفلت أحد من العقاب.

عساف : نشكر لك نصيحتك التى لا حاجة بنا لها.

الرجل : إنكم شبان، الحياة أمامكم طويلة وعريضة، ولستم قضاة.

عساف : نحن قضاة ما دام العدل لا يجد من يقيمه.

الرجل : إن كنتم قضاة فأين الدفاع؟

عساف : ما جدوى الدفاع وجريمتك جارية على كل لسان؟!

الرجل : إننى أقرأ الحكم فى أعينكم متجسدا.

عساف : وسبق أن حكم عليك كل متعامل معك.

الرجل : أمثالى يملئون الأسواق.

عساف : سيجيئون تباعًا. .

الرجل : ليس ذنبى ولكنه الزمن.

عساف : بل هو الجشع.

الرجل : وما عقوبتى فى تقديركم؟

عســـــاف : القتل!

الــرجـــل : (صارخًا) القتل؟!

عســـــاف : رجوعك يعنى هلاكنا .

الــرجـــل : (متوسلا) أقسم لكم . . .

عســـــاف : (مقاطعا) طالما حلفت كذبا بالطلاق!

الــرجـــل : الرحمة!

عســـــاف : قتلك رحمة بالعباد .

(يقفون وهو يرتعد. يحمله أربعة. الخامس يحمل خمس عصى غليظة ويتبعهم نحو اليسار. الرجل طيلة الوقت يستغيث)

(إظــلام)

٢

(إضــــاءة)

(يرجعون متجهمى الوجوه. تمر فترة صمت في وجوم ثم يبدأ حسنى بالكلام وهو أسوؤهم حالا):

حــــسنــى : أن تقتل إنسانا عمل فظيع حقا ، لن أنسى نظرة عينيه ولا جمود الموت الناطق بالفناء ، لا تعرف الحياة على حقيقتها إلا لحظة الموت ، الحق لقد مت معه .

(صمت. حسنى يجفف عرقه) معذرة فإنها المرة الأولى .

رمـــــزى : نحن مثلك . .

عساف : (متغلبا على وجومه) هل انهرتم وانتهيتم؟

رمزى وإسماعيل وحلمى: كلا . . كلا . . كلا . .

عساف : (مخاطبا حسنى) إنى مثلك تماما يا حسنى ولكن علينا أن نحترف ضبط النفس .

حسنى : تلزمنا أعصاب من فولاذ وقلوب لا تخفق!

عساف : علينا أن نتذكر دائمًا الظلم وأن نثق تمامًا بقوة العادة، وقد تناقشنا طويلا، واقتنعنا بكل قلوبنا، وتعاهدنا على عمل لا رجوع فيه، إنها رسالة، والرسالة وقودها العذاب .

حلمى : هذا ما ارتضيناه بوعى كامل .

عساف : واعتياد الظلم أفظع من اعتياد القتل .

حسنى : الظلم والقتل، كلاهما فظيع .

إسماعيل : لتغفر لنا نوايانا الطيبة .

عساف : تذكروا أننا شرفاء ورحماء .

حسنى : ولكننا لن نعرف الابتسام .

عساف : لنكن شهداء .

رمزى : لنكن شهداء .

عساف : (بنبرة جديدة) علينا أن ننسى الجبل إذا رجعنا إلى الحارة .

حلمى : نمارس حياتنا مثل بقية الناس .

إسماعيل : ونتساءل عن سر اختفاء عم فرجل مع الآخرين .

عساف : ونلعن اللصوص ونعطف على أولاده .

حسنى : أولاده؟! إنهم مظلومون مثلنا .

عساف : (بخشونة) نحن قضاة لا محامون، والتاريخ نهر طويل يتدفق بالدم المسفوك تسعة أعشاره من دماء الأبرياء .

عـــســـــاف : (يتـحـرك نحـو الـيـمين وهو يقـول) : لا تنسـوا أن دمـاءنا ستلتحم بدمائه البريئة ذات يوم .

(يذهبون واحدا فى إثر واحد).

(إظـــلام)

٣

(الكهف. عساف، إسماعيل، رمزى، حسنى)

عـــســـــاف : لندع لحلمى أن يوفق فى مهمته .

إسـمـاعـيل : فكرة طيبة ، المجرم زير نسـاء ، سرعـان ما يقتنع بأنه قـادم على سهرة طيبة .

رمـــــزى : ستهتز الحارة هذه المرة حتى الأعماق .

عـــســـــاف : سيؤمنون بأنه سفاح خطير .

رمـــــزى : لن يعطفوا على جلاديهم .

إسـمـاعـيل : من أسف أن الخوف سيجتاح الجميع .

حـــســنى : وربما فطنوا عاجلا إلى نوعية المختفين .

عـــســـــاف : لعله أنفع لرسالتنا .

حـــســنى : فى تلك الحال يخشى على الأبرياء من سوء الظن .

عـــســـــاف : الأبرياء لا خوف عليهم .

حـــســنى : قد يتعرضون للأذى .

عـــســـــاف : أشعر بأنك لم تبرأ بعد من ضعفك .

حـــســنى : ألا ترى أنى أعمل مثلكم؟

عساف : أعنى القلب، فقد يستقل عن اليد واللسان!

رمزى : اطمئن إليه كما تطمئن إلى نفسك.

(تترامى نحنحة آتية من الخارج. يدخل حلمى يتبعه رجل فى ملابس بلدية فاخرة. الرجل يدهش لرؤيته الآخرين ويتوقف عن التقدم)

الرجل : **(مخاطبا حلمى)** ما معنى هذا؟!

(ينقضون عليه بسرعة وإحكام. يطرحونه أرضا. يقيدون قدميه وذراعيه وهو يقاوم عبثا. يجلسونه مكان الضحية السابقة وهو ينظر إليهم فى فزع).

الرجل : ما معنى هذا يا أبنائى؟.. محال أن تكونوا لصوصا.

حلمى : صدقت، ستعرف كل شىء.

عساف : لسنا لصوصا كما قلت، نحن قضاة نحاكم مجرمى حارتنا.

الرجل : (برعب) قضاة.. محاكمة.. مجرمون..!

عساف : كما ترى.. وقد سبقك إلى هنا عم فرجل.

الرجل : ماذا فعلتم به؟

عساف : (مشيرا إلى اليسار) إنه مدفون فى الجبل.

الرجل : ألا تخافون القانون؟!

عساف : نحن رجال القانون الأسمى، دافع عن نفسك.

الرجل : (بفزع) أنا فى عرضكم.. خذوا ما تشاءون.

عساف : دافع عن نفسك.

الرجل : (بضراعة) صبركم، فكروا قليلا، فيم أختلف عن أى مالك فى مصر؟ ماذا يجديكم قتلى؟

عساف : ينقص الظالمين واحدا.

الـــرجــــل : الأمر أكبر من ذلك، فكروا قليلا، لنتفاهم، تجعلون من أنفسكم قتلة بلا ثمرة حقيقية.

عـــســـــاف : لديك أقوال أخرى؟

الـــرجــــل : ماذا أقول؟ ماذا يمكن أن يقال؟ ستبقى المشكلة، إنها أكبر مني ومنكم، قد يوجد حل ولكنه ليس فى القتل.

(يقفون. أربعة يحملونه إلى سطح الجبل، يتبعهم الخامس بالعصى).

(إظـــلام)

٤

(إضـــاءة)

(يرجعون بوجوه متجهمة. نلاحظ أيضًا أنهم أملك لأنفسهم من المرة الأولى. أما حسنى فقد انتحى جانبا على حال واضحة من السوء. أربعتهم يلاحظونه بقلق، وبخاصة عساف).

(صمت)

عـــســـــاف : لا يمكن أن تمضى الأمور على هذا النحو.

(صمت)

عـــســـــاف : إنى أتساءل متى تبرأ من ضعفك!

حـــســـنـى : يستحوذ عليّ إحساس غريب، لعله المرض.

عـــســـــاف : كلا، إنه أدهى وأمر.

حسنى : (بنبرة اعترافية) أخى عساف، ينبغى أن أصارحك بأن دفاع الرجل أقنعنى!

(فترة صمت)

عساف : ما شاء الله، وإذن فالرجل هو المظلوم لا أهل حارتنا!

حسنى : لا أعنى ذلك، إنما أعنى أن قتله لن يحل المشكلة.

عساف : اتفق رأينا فيما سبق على نقيض ذلك!

حسنى : (منفعلا) سنمضى من جريمة إلى جريمة، سنحترف الإجرام ونحن لا ندرى، بت أشعر بالمرض.

عساف : إنك مريض حقا، مريض الإرادة والروح.

حسنى : (بعصبية) العكس هو الصحيح!

عساف : حقا؟! كلامك يعنى أنك سليم وأننا المرضى؟

(صمت)

حلمى : (لحسنى) أهذا ما تعنيه؟

رمزى : (لحسنى) ماذا تقترح؟

عساف : بكل بساطة إنه يمهد للانسحاب.

حسنى : كلا.. أقترح أن نعدل جميعا عن خطتنا.

عساف : عن احتراف الإجرام؟

(صمت)

عساف : لا فائدة ترجى من مواصلة المناقشة، امكث قليلا فى هواء الليل النقى، استرخ فى هدوء، ثم نستأنف الحوار.

حسنى : (يتردد قليلا ثم يذهب ناحية اليمين ويخرج. يتبادلون النظرات).

عساف : ما رأيكم؟

حلمى : سوف يثوب إلى رشده.

إسماعيل : إنى لا أشك فى إخلاصه .

عساف : وإنى لا أشك فى إخلاصه ، ولكن الضعف غزاه ، ويجب أن نخشى عواقب ضعفه .

رمزى : لعله من الخير له ولنا أن ينسحب .

عساف : إنه حل قد يسفر عن عواقب وخيمة .

إسماعيل : لن يصلح رفيقا لنا .

عساف : أوافقك تماما ، ولكن ما الخطوة التالية؟

رمزى : نعفيه من العمل .

عساف : من يضمن لنا سكوته؟

إسماعيل : لا شك فى إخلاصه .

حلمى : وكشف الأمر يودى به كما يودى بنا .

عساف : الضعف قد يؤدى إلى التهور أكثر مما تؤدى إليه القوة!

(صمت)

إسماعيل : احتمال بعيد جدًّا .

عساف : وهل نضع أرواحنا ورسالتنا تحت رحمة الظروف؟

رمزى : لدى اقتراح آخر ، أن يقتصر عمله على استدراج المجرمين .

عساف : لن يغير ذلك من واقع الأمر شيئًا .

إسماعيل : فلنجرب ، لست متشائمًا .

عساف : دعونى أختبره . .

(عساف يخرج ناحية حسنى. إسماعيل وحلمى ورمزى يتبادلون النظرات فى حيرة واضحة).

إسماعيل : الصبر ، سينتهى الصراع إلى خير .

رمزى : لعله .

حــلــمــى : صدرى منقبض.

(يرجع عساف متثاقل الخطوات. يجلس القرفصاء دافنا وجهه بين ركبتيه. ينظرون نحوه بقلق واستطلاع).

إسمـاعيل : ماذا وراءك

(صمت)

رمــزى : يبدو أنك لم تقنعه؟

(صمت)

حــلــمــى : تكلم يا عساف، لا تسلط علينا الهواجس.

(يذهب إسماعيل إلى الخارج. تترامى منه آهة فزع. يرجع منفعلا نحو عساف).

إسمـاعيل : لقد خنقته!

(يضطرب رمزى وحلمى. يهرعان إلى الخارج. يرجعان أشد اضطرابا).

إسمـاعيل : من يصدق؟

رمــزى : إنه قرار انفرادى ما كان ينبغى أن يتخذ دون الرجوع إلينا.

حــلــمــى : نحن نتدهور وننتحر.

عــســاف : (رافعا وجها متقلصا من الحزن) الألم يمزقنى.

إسمـاعيل : (بحدة) هيهات أن يرده ذلك إلى الحياة.

عــســاف : لم يدع لى فرصة الاختيار.

إسمـاعيل : نحن نعمل كوحدة لا تتجزأ فلم انفردت بالقرار؟

عــســاف : لقد تحملت عنكم الألم وحدى.

إسمـاعيل : لقد قضيت علينا بألم لا يمحى.

عــســاف : أقدمت على الجريمة دفاعا عنكم وعنى وعن الرسالة، إنى سريع الحزن والألم.

إسمـاعيل : إنك قاس فوق ما تصورت .

عـسـاف : الرحمة وحدها هى التى تحركنا .

إسمـاعيل : يا للعجب! . . كيف طاوعتك يداك؟!

(عساف يدفن وجهه بين يديه. صمت).

(إظـلام)

٥

(إضـاءة)

(عساف، إسماعيل، حلمى. وجوههم جادة ولكن يبدو أن ذكرى حسنى قد جرفتها الأحداث).

حـلـمـى : لم يعد للحارة من حديث إلا حديث السفاح الخفى .

عـسـاف : عظيم .

إسمـاعيل : أهلى يتساءلون أين أمضى بعض الليالى حتى الفجر!

عـسـاف : إنه سؤال يتردد فى بيتى أيضًا ويثير متاعب .

إسمـاعيل : لذلك يتولانى شعور أحيانا بأننى مطارد .

حـلـمـى : وقد يربط قوم بين غيابنا واختفاء الضحايا!

عـسـاف : لقد اخترنا وسلمنا بالمصير المحتمل .

* * *

(يدخل رمزى متأبطا ذراع كهل. يدهش الرجل ويدهش كذلك عساف وإسماعيل وحلمى).

الـكـهـل : أين نحن؟ (رمزى يدفعه فيوقعه. يتعاونون على تكبيله على

رغم مقاومته وصراخه. يتبادلون النظرات فى صمت).

خدعتنى يا رمزى، ماذا أرى، أنتم لصوص؟!

عساف: لنحمله إلى الخارج حتى نتشاور. (يمضون به إلى اليسار ثم يرجعون) (لرمزى) إنه ليس من كنا ننتظر ولا هو من المدانين.

رمزى: لكنه لا يختلف عنهم فى شىء.

عساف: ما جريمته؟

(صمت)

حلمى: المسألة بصراحة أنه نجح فى أن يكون خطيب البنت التى يحبها رمزى.

عساف: كيف تقحمنا فى شئونك الخاصة؟

رمزى: إنه كهل وهى فتاة فى السادسة عشرة، استغل فقرها، وفضلا عن ذلك فهو فاسق بدليل مجيئه معى جريا وراء سهرة محرمة.

عساف: مسألة شخصية.

رمزى: بل إنه استغلال دنىء للضعفاء.

عساف: قد تكون البنت آثرته باختيارها.

حلمى: لا نملك دليلا ضده، ثم إنها مسألة خاصة.

رمزى: لها صفة عامة فى رأيى.

عساف: لا يمكن أن نقتل لمثل هذه الأسباب.

حلمى: أتفق معك.

إسماعيل: وأنا كذلك..

رمزى: هل نطلق سراحه ليفشى سرنا؟

عساف: للأسف لا مفر من قتله ولكننا لن نقتله فلسنا مجرمين.

رمــــــزى : إنك تلقى ألغازا؟

عـــســـــاف : إنى واضح تمامـا، عليك وحـدك أن تقـتله، وعليك وحدك أن تدفنه.

(رمزى ينظر نحو إسماعيل وحلمى ولكنهما يوافقان صامتين. أخيرا يتناول عصاه ويندفع نحو اليسار).

عـــســـــاف : سيصبح منذ الآن مجرما.

حــلـــمــى : أجل.

إسـمــاعـيل : الحق أننا شركاء له فى جريمته.

عـــســـــاف : ماذا؟

إسـمــاعـيل : ها هو ذا برىء يقتل بموافقتنا واقتراحنا، ماذا تريدون أكثر من ذلك؟

عـــســـــاف : هل عندك حل أوفق؟

(إسماعيل يصمت).

عـــســـــاف : (لحلمى) هل عندك أنت؟

حــلـــمــى : كــــلا.

عـــســـــاف : هل من سبيل لإنقاذ شرفنا؟

إسـمــاعـيل : لن تنقذه قوة فى الأرض.

عـــســـــاف : بل توجد وسيلة لإنقاذه!

إسـمــاعـيل : حقـــا؟

عـــســـــاف : أن نعاقب المجرم بما يستحق.

إسـمــاعـيل : (فزعا) تقتله كما قتلت حسنى؟

عـــســـــاف : (ساخرا) إنما أشير إلى الطريق الصواب ولكما الاختيار.

إسـمــاعـيل : إنه فوق ما نستطيع.

عـــســـــاف : كونا مجرمين إذن.

حلمى : لننس الأمر كله .

عساف : هيهات .

حلمى : لا مفر من ذلك .

عساف : إنه الضعف يغزونا مرة أخرى .

إسماعيل : أصبحت الحياة كريهة .

حلمى : لننس الأمر ولنواصل السير ، أصبحت الحياة كريهة حقا .

عساف : لقد جردتنا هذه الجريمة من شرفنا .

(يرجع رمزى غاض البصر . يقف مستندا إلى الجدار . يسود صمت) .

(إظلام)

٦

(إضاءة)

(عساف، إسماعيل، حلمى، رمزى أمام ضحية جديدة مكبلة بالحبال. عند رأس الممر الأيمن خارج الكهف تقف فتاة متنصتة).

عساف : انتهى التحقيق فلنحمله .

(يحملونه ناحية اليمين مثل كل مرة سابقة).

(الفتاة تدخل الكهف بحذر، متوارية وراء الجدار تصرخ فزعة وتقع مغمى عليها).

(يرجع الشبان الأربعة فزعين وبأيديهم العصى. عساف يركع

إلى جانب الفتاة على حين يجرى الآخرون نحو المخرج الأيمن).

عساف : (بحنان) هبة . . حبيبتى . . ماذا جاء بك؟!

(يربت خدها. يرجع الشبان).

إسماعيل : لا يوجد أحد، كيف جاءت؟!

عساف : (للفتاة) هبة . . هبة . . أفيقى .

رمزى : ماذا جاء بها؟

(تأخذ الفتاة فى الإفاقة. تنقل عينيها بين الوجوه. تتذكر. تقف فزعة).

هبة : (لعساف) ابعد عنى، إنك قاتل، كلكم قتلة .

عساف : مهلا، لسنا قتلة، اهدئى حتى أطمئن عليك .

هبة : لا تمسنى . . ابعد . .

عساف : مهلا . . كيف جئت إلى هنا؟

هبة : إنه حظى، لأعرفك على حقيقتك، أنت قاتل؟!

عساف : سأشرح لك كل شىء .

هبة : لقد رأيت بعينى . . رأيت القتل والدم .

عساف : ماذا جاء بك يا هبة؟

هبة : كنت عمياء، لاحظت تغيبك ليلة بعد أخرى، ظننت . . المهم أننى تبعتك .

عساف : يا لسوء الحظ!

هبة : يا للقتل والدم والوحشية .

(تتحول لتذهب. يقف رمزى فى طريقها) .

هبة : دعنى أذهب .

(يتبادلون النظرات) .

حلمى : غير ممكن .
إسماعيل : هذا مفهوم تماما .
هبة : فيم تفكرون؟
رمزى : لا يمكن أن تذهبى ، هذه هى الحقيقة الأليمة .
هبة : ماذا تعنى؟
إسماعيل : حقيقة أليمة حقا .
حلمى : أى لعبة قذرة دامية!
رمزى : (لعساف) تكلم يا عساف .
(عساف يئن صامتا) .
رمزى : لا حيلة لنا .
هبة : ماذا تريد؟
رمزى : لن ترجعى أبدا .
هبة : (وهى فى رعب متزايد) ماذا تقصد؟
(تنظر نحو عساف فيزداد منها قربا) .
عساف : دعوا المسألة لى .
رمزى : أوضح!
عساف : يلزمنى وقت للتفكير .
رمزى : الأمر واضح جدا ولعلك لم تنس مصرع حسنى!
(عساف ينظر إلى رمزى بقهر) . تكلم يا عساف .
عساف : (بانفعال) لا .
رمزى : لا؟! ماذا تعنى؟!
عساف : قلت لا . .
رمزى : أتريد أن تضحى بنا من أجل حبيبتك؟ (هبة تقترب أيضا من عساف) إنها بريئة ، سيئة الحظ ، ولكن لا مفر من

قتلها . . (هبة تصرخ فزعة) عليك أن تقتلها وعليك أن تدفنها .

إسماعيل : يجب أن ينتهى هذا العذاب .

حلمى : لقد حلت بنا اللعنة . .

رمزى : إنها مهمتك يا عساف .

هبة : (لعساف) أنت تقتلنى؟

عساف : كلا . . لن يمسك سوء .

رمزى : هل تعنى ما تقول؟

عساف : (بتحد) كما تسمع وترى .

رمزى : ها أنت ذا تنكشف على حقيقتك .

عساف : لن يمسها سوء وأنا حى .

رمزى : (للآخرين) لنتخذ قرارا .

إسماعيل : صبرك .

رمزى : حتى متى؟

عساف : اعتمدوا على ، إنها مشكلتى وسأجد لها الحل المناسب . .

رمزى : إنه قرار غير قابل للتأجيل .

عساف : نهرب معا ، أنا وهى . .

رمزى : وتتخلى عن الرسالة وعنا؟

عساف : إنه الحل الوحيد .

رمزى : بل يوجد حل آخر ، أن تقتلها وتدفنها بنفسك .

(ثم ينظر رمزى إلى إسماعيل وحلمى محتدا ويقول) تكلما . . ما معنى الخرس فى موقف البيان؟

حلمى : الحقيقة واضحة .

إسماعيل : هذا حق .

رمزى : إنه قرار إجماعى . .

عساف : إنه المستحيل . .

رمزى : نعفيك من التنفيذ ونقوم به نحن .

(هبة تصرخ متعلقة بعساف) .

عساف : لن يتم هذا وأنا حى . .

رمزى : **(منقضا عليه بعصاه)** إذن يتم وأنت ميت .

(يتبادلان الضرب. يسقط رمزى) .

(هبة تندفع نحو اليمين هاربة. حلمى يتبعها بعصاه. يندفع عساف فى أثر حلمى فيعترضه إسماعيل ولكنه يقتله وينطلق خارجا) .

(إظـــلام)

٧

(إضـــاءة)

(يرجع عساف حاملا هبة بين يديه.يضعها على الأرض. ينظر إليها حزينا).

عساف: عندما يتجاوز الشعور بالألم حده يفقد الإحساس بذاته . لذلك فإنى هادئ وسعيد . لولا أن الوقت غير مناسب لغنيت ورقصت . الوداع لكل شىء طيب أو قبيح . ولتسعفنى سعادتى على دفن الحبيبة والزملاء والأمل .

وأقول لأى هاتف بأننى لن أعترف ولن أنتحر. فى سطح الجبل الغائص فى الظلام متسع للتخبط الجنونى الثمل. امض أيها الشبح متلقيا الخلاء بخلاء أشد، مستعذبا التحدى بلا عون ولا هدف، مستشرفا ضربات المجهول ومفاجآت الغيب، مستعذبا الألم والسخرية وذكريات الأحلام الجميلة..

الشيطان يَعظ

مسرحية فى فصل واحد

مستوحاة من «مدينة النحاس»

ألف ليلة وليلة

١

(حجرة ذات أسلوب مغربي يتصدرها ديوان يجلس عليه موسى بن نصير).

(يدخل حاجب، ينحني تحية).

الحاجب : مولاي الأمير، قد وصل الأمير طالب بن سهل مندوب أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان . .

(موسى يقف ثم يتجه نحو الباب. يدخل الأمير طالب بن سهل على حين ينسحب الحاجب. يلتقيان بالأحضان وسط الحجرة).

موسى بن نصير : أهلا وسهلا ومرحبا برسول أمير المؤمنين .

طالب بن سهل : أهلا بكم أيها الأمير موسى بن نصير، وإليك أحمل سلام مولانا الخليفة .

(يجلسان على الديوان جنبا لجنب).

موسى بن نصير : أطال الله بقاء مولانا للإسلام والمسلمين .

طالب بن سهل : تبلغنا أنباء طيبة عن المغرب .

موسى بن نصير : إنه يقبس أنواره من المشرق بفضل الله العظيم وحكمة خليفتنا .

طالب بن سهل : إنك أمير حائز الرضا، فليتم الله نعمته عليك .

(طالب بن سهل يصمت قليلا ثم يواصل).

طالب بن سهل : معى إليك رغبة لأمير المؤمنين.

موسى بن نصير : إنى رهن إشارة مولانا الخليفة.

طالب بن سهل : إنه يريد قمقما من قماقم العفاريت!

(موسى بن نصير يؤخذ بما سمع فيتطلع إلى محدثه صامتا).

طالب بن سهل : فى مجلس سمر جرى الحديث إلى ذكر العفاريت العصاة حبيسى القماقم فتاقت نفس مولانا إلى امتلاك أحدها ليرى بعينه ويسمع بأذنه ويقتنع بعقله.

موسى بن نصير : رغبة مولانا واجبة علىّ، ولكن ماذا أملك لتحقيقها؟

طالب بن سهل : قيل من ضمن ما قيل إنه توجد قماقم من قديم الزمان فى صحرائكم.

موسى بن نصير : أشهد الله على أننى لا أعلم عنها إلا السماع والظن. ولكن ثمة رجلا طاعنا فى السن يعد أخبر الناس بصحرائنا، حاضرها وماضيها، فضلا عما حباه الله به من حكمة، فلنرسل فى طلبه.

(موسى بن نصير يصفق يدا على يد، يدخل الحاجب. على حين يهبط الظلام).

٢

(إضاءة)

(موسى بن نصير وطالب بن سهل. يدخل الحاجب).

الحاجب : الشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمُّودى. (ينسحب الحاجب. يدخل الشيخ. عجوز وقور. يرفع يديه تحية. يشير له ابن نصير بالجلوس فيجلس على وسادة بين أيديهما).

موسى بن نصير : مرحبا بالشيخ المبارك.

عبد الصمد : (حانيا رأسه) عظم الله المرسل ورسوله.

موسى بن نصير : إنك يا شيخ عبد الصمد رجل الصحراء دون منازع.

عبد الصمد : هى حياتى ومماتى أيها الأمير.

موسى بن نصير : لك علم ولا شك بما يقال عن قماقم العفاريت بها؟

عبد الصمد : (باهتمام) هذا ما توكده لنا الكتب القديمة.

طالب بن سهل : فى أى موقع من مواقعها؟

عبد الصمد : يقال إنها مستقرة فى قعر بحيرة بمدينة النحاس.

طالب بن سهل : وما مدينة النحاس؟

عبد الصمد : مدينة قديمة، يقال إنها ازدهرت قبل التاريخ المعروف بعشرين ألف سنة، لا يعلم عنها أكثر من ذلك، لم يذهب إليها أحد ولم يجئ منها أحد، قد تكون حقيقة وقد تكون خرافة.

طالب بن سهل : ألم يسع ساع إلى اكتشافها؟

عبد الصمد : ذاك ما يفوق طاقات الفرد والجماعة.

موسى بن نصير : مولانا الخليفة يرغب فى الحصول على قمقم من قماقمها!

عبد الصمد : (يصمت متفكرا ثم يقول) رغبة مولانا على الرأس والعين، ولكن الله أمرنا بالشورى، ومن يمد سلطانه بقوة القرآن فليس به حاجة إلى قوة العفاريت!

طالب بن سهل : اقتضت حكمته أن يسخرها فى خدمة الإسلام والمسلمين .

عبد الصمد : إنها مهمة شاقة حقا أيها الأمير ، فعلينا أولا أن نكتشف موقع فارس من نحاس إذا فركت يده أشارت إلى مكان المدينة .

موسى بن نصير : ستجد منى كل عون .

عبد الصمد : نحتاج إلى قافلة كاملة ومؤن ، وقوة وسلاح ، وحذر ودهاء ، فلعل المدينة ما زالت على قيد الحياة ، ولعلها تستطيع التصدى للغرباء ، بل لعل حاكمها قد سخر عفريتا لخدمته .

(موسى بن نصير وطالب بن سهل يتبادلان النظر برهة).

طالب بن سهل : لو كان لديهم عفريت مسخر لتسلطوا به على العالم .

موسى بن نصير : سأشرع من فورى لإعداد الحملة وسأكون على رأسها .

طالب بن سهل : ولن أتخلف عنها .

عبد الصمد : فليسدد الله خطانا وليجنبنا الضلال .

(يهبط الظلام)

٣

(إضاءة)

(مدخل مدينة النحاس. موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودى).

(ينظرون إلى الداخل وقد لفه ظلام الفجر).

موسى بن نصير : يا لها من رحلة خيالية فى مشقتها، لقد أرهقت الجند والجمال.

طالب بن سهل : لم يصادفنا حولها حى.

موسى بن نصير : اصبر، سوف ينقشع الظلام وتشرق الشمس.

طالب بن سهل : أليس غريبا أنه لا يوجد حارس واحد فى مدخل المدينة؟

عبد الصمد : لعل عزلتها الكاملة أغنتها عن الحراس.

طالب بن سهل : لم أعرف صمتا كهذا الصمت.

عبد الصمد : أهو صمت النوم؟

طالب بن سهل : ألا ينبح فيها كلب أو يصيح ديك؟

موسى بن نصير : ترى أين موقع البحيرة؟

عبد الصمد : ناحية المشرق غير بعيد من المدخل.

(يأخذ الظلام فى الانقشاع ويتجلى رويداً داخل المدينة).

(ميدان مكتظ بالناس، فى عمقه قصر، تقوم على دائرة محيطه الحوانيت وتتفرع عنه الطرقات. الرجال الثلاثة يتراجعون فى حذر).

موسى بن نصير : متى جاءوا؟ . . هل نستدعى الجنود؟

طالب بن سهل : انظر جيداً، إنهم لا يتحركون.

عبد الصمد : أجل.

طالب بن سهل : لا حركة، لا صوت، إنهم أصنام.

موسى بن نصير : هذه وجوه آدمية لا تماثيل.

طالب بن سهل : صدقت، هل يتحركون فجأة؟

موسى بن نصير : انظر إلى هيآتهم، كأنهم تجمدوا بغتة، توجد امرأة

على عرش، حولها حراس وحجاب، الجمهور منه من تجمد وهو يرقص أو وهو يهتف، هذه المرأة تجمدت وهى تزغرد، هذا الرجل تجمد وهو يصفق.

عبد الصمد : ليس فى وسع حى أن يتجمد بهذا الكمال، ألا تطرف له عين؟

موسى بن نصير : أترى أنه الموت؟

عبد الصمد : إنى أشم رائحته.

موسى بن نصير : وكيف لميت ألا يتهاوى ويتغير؟

طالب بن سهل : وأين بقية السكان؟ ألا يجىء شرطى أو عابر سبيل؟

عبد الصمد : سأقدم على مغامرة، بسم الله الرحمن الرحيم (ثم رافعا صوته).. يا هوه.. يا عباد الله.. (صمت).

موسى بن نصير : لا استجابة على الإطلاق.

طالب بن سهل : نحن حيال لغز.

عبد الصمد : لله ملك السموات والأرض.

طالب بن سهل : لابد من اكتشاف الحقيقة.. اتبعانى.

(يتقدم، يتقدمون فى حذر، يلمسون المتجمدين، يشقون طريقهم بينهم حتى عرش المرأة).

موسى بن نصير : هؤلاء بشر وليسوا بتماثيل.

عبد الصمد : أموات، ولكن أى موت؟

طالب بن سهل : (مركزا بصره على المرأة) يا لها من امرأة جميلة.

موسى بن نصير : قصر جميل وحوانيت ثرية، متى وكيف تخلت عنها الحياة؟

طالب بن سهل : كيف حافظت على أشكالها وتوازنها، ما أجمل هذه المرأة!

عـبـد الـصـمـد : قد يطول بنا الموقف، وهيهات أن نجد لهذا اللغز حلا، وقد نعود فيما بعد إلى هنا، أما الآن فلا يجوز أن ننسى مهمتنا.

موسى بن نصير : (متحركا وراء عبد الصمد) صدقت.

(ثم ينظر خلفه إلى طالب بن سهل).

موسى بن نصير : هلم أيها الأمير، هلم إلى البحيرة، احذر أن تقع فى شراك وهم.

(يهبط الظلام)

٤

(إضاءة)

(موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد، يرمون بالشباك فى بحيرة ويسحبونها فى دأب وصبر. تخرج شبكة عبد الصمد وفيها قمقم).

موسى : الله أكبر.

طالب بن سهل : قادر على كل شىء.

عـبـد الـصـمـد : يسبح له الإنس والجن وكل حى وجماد.

موسى : قمقم صغير لا يتصور الإنسان أنه يحبس فى بطنه هذه القوة اللانهائية.

عـبـد الـصـمـد : انظر إلى هذا المفتاح الصغير الملصق بعنقه، إذا دعك خرج العفريت وأصبح طوع أمرنا.

موسى بن نصير : هل نقدم على التجربة؟

عبد الصمد : لا أنصح بذلك، ولكننا نحاول الاتصال به.

موسى بن نصير : على الأقل ليتوكد لنا وجوده.

عبد الصمد : (يقرب إلى فمه عنق القمقم) أيها السجين، تكلم بحق الله المتعال.

صوت الجن : أخيرا وبعد عشرين ألف سنة من عذاب السجن.

عبد الصمد : من قضى عليك به؟

(صمت)

صوت الجن : ارتكبت معصية رآها ماسة بشرفه.

طالب بن سهل : ستحمل إلى أحكم الناس طرا مولانا الخليفة.

صوت الجن : كفانى عذابا، أخرجنى من القمقم أحقق لك ما تشاء نظير وعد بإطلاق سراحى.

طالب بن سهل : سيقضى الخليفة فى أمرك بما هو قاض.

صوت الجن : أصغوا إلى، إذا أخرجتمونى وجدتم فى خدمتكم قوة لا يقف أمامها بشر، بوسعى أن أجعل الخليفة نفسه عبدا لكم، لا تضيعوا فرصة لا تعوض لإنسان مرتين.

موسى بن نصير : عليك اللعنة، ما زلت عاكفا على الشر.

صوت الجن : ألا تحبون أن تسودوا الدنيا ومن فيها؟

موسى بن نصير : ملكك اللعين أخرج أبانا من الجنة فهيهات أن تخرجنا من الدين.

عبد الصمد : ألك علم سابق بمدينة النحاس؟

صوت الجن : كيف لا وأنا الذى قضيت عليها بالموت المسحور!

موسى بن نصير : إذن هى مدينة ميتة؟

صوت الجن : تلقت ميتتها المسحورة منذ حوالى عشرين ألف سنة.

طالب بن سهل : عشرون ألف سنة؟! . . كأنما ماتت لساعتها، ولكن لم قضيت عليها بما قضيت؟

صوت الجن : وقع قمقمى بين يدى الملكة ضمن صيد لها أصابه صياد القصر، ولمست يدها مفتاح القمقم وهى تقلبه فخرجت لها، وسرعان ما أدركت مدى القوة التى أذعنت لها، ثم وعدتنى بإطلاق سراحى إذا حققت لها ما تشاء، وإذا بها تتمادى فى غيها حتى الكفر! ولما كنت عفريتا مؤمنا بالله على رغم معصيتى فقد غضبت وأنزلت بها الميتة المسحورة التى تبقيها على حالها لا تتغير عبرة للمعتبرين، نابذا وعدها لى بالتحرر، هكذا ماتت المدينة ورجعت على رغم إرادتى إلى البحيرة.

عبد الصمد : سوف نخبر مولانا الخليفة بتضحيتك فى سبيل الله، وستكون خير تمهيد للإفراج عنك.

صوت الجن : طال انتظارى للعفو والرحمة.

طالب بن سهل : لكن من يثبت لنا صدقك؟

صوت الجن : بوسعى أن أجعل المدينة شاهدا على صدقى.

طالب بن سهل : كيف؟

صوت الجن : بوسعى أن ألغى سحر الموت عنها نهارا فتشهد بعينك ساعاتها الأخيرة.

موسى بن نصير : ألا يصيبنا سوء إذا عثروا علينا؟

صوت الجن : كانت مدينة عظيمة تموج بألوان البشر من الوافدين.

موسى بن نصير : وكيف نفهم لغتها أو تفهم لغتنا؟

صوت الجن : هذا علىّ هين.

طالب بن سهل : (بحماس) لابد من خوض هذه التجربة المثيرة، افعل أيها العفريت.

صوت الجن : إليكم آخر نهار من حياة المدينة، من طلوع الشمس حتى مغيبها.

(يهبط الظلام)

٥

(إضاءة)

(موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد، يقفون ناحية من الميدان غير بعيد من مدخل المدينة. يتابعون ما يحدث هنا وهناك وقد يعلقون عليه. ومنظر النهار يبدأ والميدان خال إلا من شرطي يتقلد سيفه ويتفقد الحوانيت. يمر عابر ثم آخر. يقبل التجار فيفتحون حوانيتهم ثم يقبل الزبائن نساء ورجالا وشبانا وتدب الحياة وتتصاعد).

موسى بن نصير : (ذاهلا) أيها الأموات.

طالب بن سهل : (متأملا) كما كنتم وكما نحن تكونون.

عبد الصمد : أموات لا يخطر لهم الموت ببال.

(من حانوت قريب تترامى أصوات. فتاة تقلب بين يديها أقمشة، وشاب أيضا يفعل مثلها).

التاجر : (للفتاة) إنه فاخر ومناسب وسيكون عليك فتنة للناظرين.

الفتاة : سأشهد به حفل زفاف فى الشهر القادم، أرنى أجمل ما عندك.

التاجر : إليك هذا الثوب وهو بخمسمائة.

الفتاة : الأسعار ترتفع بجنون.

الشاب : لكى تغطى أرباح الجشعين من التجار والحاشية!

التاجر : (للشاب) من أجل طول ألسنتكم ضاقت عنكم السجون!

الشاب : لن يبقى خارج الأسوار إلا العبيد.

صوت الجن : (للرجال الثلاثة) لم يحظ بالسيادة فى المدينة سوى الملكة والحاشية ورجال الأمن والتجار، وقد استعبدوا الشعب واستغلوه، ولما سقط القمقم بين يدى الملكة قررت أن تستعبد جميع قبائل الأرض.

موسى بن نصير : الحمد لله الذى هدانا إلى الإسلام فأنقذ كرامة البشر.

* * *

(يقبل شاب فتعترض سبيله فتاة جميلة ثم تتبعه مغازلة إياه وهو يتمنَّع ويتدلل).

الفتاة : كيف تسير وحدك يا جميل؟

الشاب : هذا وقت عمل، أليس لديك ما يشغلك؟

الفتاة : ما يشغلنى شىء عنك، تعال إلى نزهة وكأس عند البحيرة.

الشاب : (مسرعا) إن لم تنصرفى ناديت الشرطة!

عبد الصمد : (للقمقم الذى أخفاه فى عباءته) ما معنى هذا؟

صوت الجن : كان للنساء المقام الأول فى المدينة وبخاصة فى عهد الملكة ترمزين، وكانت الفتاة هى التى تخطب

عريسها، وهى التى تغازل الفتى، وهى التى تتمتع بحريتها الجنسية بخلاف الشاب.

طالب بن سهل : (ضاحكا) إذن لم تخل المدينة من طرائف مفيدة!

موسى بن نصير : (باسما) انتظر خيراً أيها الأمير فأنت الذى تمثل الشباب بيننا!

* * *

(تقترب متسولة من الرجال الثلاثة فى جلبابها الرث).

المتسولة : (للرجال الثلاثة) أعطونى مما أعطاكم الإله، أريد مأوى ورجلا وعبدا ومورد رزق ثابت.

طالب بن سهل : فليرزقك الذى خلقك.

المتسولة : (غاضبة) عليكم اللعنة.

* * *

(يقبل رجل مريض يتوكأ على ذراع زوجته).

المريض : (للرجال الثلاثة) أين الطريق إلى المستشفى؟

موسى بن نصير : نحن غرباء لم نعرف مدينتكم بعد، شفاك الإله.

المريض : غرباء؟! إنكم أصل المصائب، تجيئون إلينا من أطراف الأرض حاملين أمراضكم معكم، فتسرقون نقودنا وتعطوننا أمراضكم.

(يبصق ثم يذهب).

* * *

(يقدم موكب رجل غنى. عبيد يحملون هودجه، وعبيد يتقدمون موكبه وهم يوسعون له طريقا بين الناس بالعنف).

شابة : (لزميل يتأبط ذراعها) هذا سلوكهم، ماذا يفعلون غدا وقد سخروا العفريت لخدمتهم؟

صـــوت الجن : (للرجال الثلاثة) أعترف لكم بأن هذا القول وأشباهه أثرت فى، إذ إننى كنت أنتمى إلى شعب العفاريت المضطهدين.

* * *

(رجل عجوز يقف ناحية من الميدان).

العجوز الضرير : من يسمع كلمة تنفعه؟ . . من يسمع كلمة تنفعه؟

(يقبل عليه نساء ورجال ذوو مظهر حسن وهم يتغامزون).

امـــرأة : (للعجوز) ماذا عندك مما ينفع الناس؟

العجوز الضرير : إنى أعمى . . .

امـــرأة : (مقاطعة) هذا واضح.

العجوز الضرير : ولكنى أرى خيرا منكم.

(ضحك).

العجوز الضرير : أرى أشياء جميلة غير الشراء والربح والفسق والسكر وامتلاك العبيد.

كـهل وجيـه : يا لك من أعمى.

العجوز الضرير : وأرى الموت أقرب إليكم من أجسادكم.

أصـــوات : عليك اللعنة.

(يقترب الشرطى فيضع يده على منكب الضرير).

العجوز الضرير : من أنت؟

الشـــرطى : شرطى، ماذا تقول؟

العجوز الضرير : (فى خوف) أقول لهم إن خدمة الملكة ترمزين أهم من الربح وامتلاك العبيد.

الشـــرطى : (بخشونة) اذهب لحال سبيلك، مولاتنا الملكة ليست فى حاجة إلى أحد.

* * *

(يخرج حاجب من باب مكتوب أعلاه «العدل أساس الملك»).

الحاجب : محكمة!

(يتوجه كثيرون نحو المحكمة ويقفون على مبعدة).

(يخرج شرطى سائقًا أمامه رجلا معصوب العينين يئن بصوت مسموع فيدفعه بعيداً عنه ثم يخاطب الجمهور).

الشرطى : ادعى هذا الرجل أنه توجد نجوم لا ترى بالعين فحكم عليه بفقوء عينيه.

(يدخل الشرطى ثم يجىء بشاب يسير مفرجا الجمهور).

هذا الشاب طالب بمساواة الرجال بالنساء فقضى عليه بالإخصاء.. (ضحك).

(يدخل الشرطى ثم يرجع بنعش محمول. ثم يخاطب الجمهور).

هذه جثة مجرم، احتج جهرا على تسخير جلالة الملكة للعفريت.

(ثم يرجع وهو يقول) وفى الغد البقية، فإلى الغد.

عبد الصمد : (للقمقم) أهلكت المدينة كلها؟

صوت الجن : نعم.

عبد الصمد : وما ذنب هذا الشعب التعيس؟

صوت الجن : قررت إهلاك الظالمين بظلمهم والآخرين بنفاقهم وجبنهم.

عبد الصمد : ألم توجد بينهم مقاومة؟

صوت الجن : بلى، منهم من قتل، ومنهم من هاجر فنجا.

* * *

(صوت طبل يجيء من ناحية القصر الملكى. الأنظار تتجه نحو القصر. يخرج الحاجب الأكبر محوطا بحرس ثم يمضى حتى يقف فى وسط الميدان. يلتف الجمهور حوله. حتى التجار يغادرون حوانيتهم. يقترب من الجمع موسى بن نصير وطالب بن سهل وعبد الصمد).

(صمت)

الحاجب الأكبر : إعلان مهم من حضرة صاحبة الجلالة الملكة ترمزين إلى شعبها الوفى الأمين.

(صمت)

بناء على ما تيسر لنا من قوة لا نهائية بفضل تسخيرنا لقوة الجن فى خدمة شعبنا وتحقيق السيادة له على الأرض.

وبناء على نيتنا الصادقة فى ممارسة هذه القوة بالحكمة والعدل ومراعاة سعادة شعبنا بصفة خاصة وشعوب الأرض بصفة عامة، فقد تفضل الإله المعبود فأضفى رضاه عنا، وأصدر قراره بالنزول لنا عن عرشه فوق الأرض.

وإطاعة لقراره المقدس يتعين علينا أن نصبح المعبود الأوحد فى الأرض، وحق على شعبنا أن يعبدنا وأن يقدم لنا القرابين فى الأعياد الدينية.

وبهذه المناسبة المقدسة فإنى أدعو شعبى لشهود حفل التتويج الإلهى فى هذا الميدان عند غروب الشمس.

(صمت)

الحاجب الأكبر : (يهتف) لتحيا الإلهة ترمزين.

أصوات الحراس وبعض المتجمهرين : لتحيا الإلهة ترمزين .

(الحاجب الأكبر والحراس يرجعون إلى القصر).

موسى بن نصير : أعوذ بالله الواحد الأحد .

عبد الصمد : قتل الإنسان ما أكفره .

طالب بن سهل : كيف اختبأ الفجر البشع وراء ذلك الوجه الجميل؟!

* * *

وجيه : (لزميل له) كان الإله يتخذ من الأصنام رموزًا له وها هو ذا أخيرًا يتخذ رمزًا حيا جميلا .

الزميل : فلتحل بنا البركات .

* * *

تاجر : (لزميل له) من يصدق أننى حلمت بهذه المعجزة ليلة أمس؟

الزميل : إنك رجل ذو قلب نقى .

* * *

(يتجمع نفر من الشباب نساء ورجالا على مبعدة يسيرة من الرجال الثلاثة).

شاب : متى وكيف قرر الإله ألا يعبد فى الأرض؟

شاب ثان : ماذا يحدث لنا بعد موت المعبودة الجديدة؟

شابة : فى الحق نحن مدعوون لعبادة العفريت المسخر .

موسى بن نصير : (غير متمالك نفسه من الدخول فى حوارهم) أيها الناس إنه كفر وإنه لا إله إلا الله .

الشاب الأول : (لموسى) ماذا قلت أيها الغريب؟

موسى بن نصير : (محتدا) قلت إنه كفر ولا يجوز أن يضلكم عن إيمانكم .

الشاب الثاني : (لموسى) صه . . لا يخلو المكان من آذان وعيون . . هلم إلى الحقول لنستمع إليك فى أمان .

طالب بن سهل : (يمسك بذراع موسى بن نصير ويقول) إياك أن تذهب معهم أيها الأمير .

موسى بن نصير : السكوت على الكفر كفر .

طالب بن سهل : لقد مضى على الحوار عشرون ألف سنة .

موسى بن نصير : (يذهب قائلا) سأغير الماضى كما أغير المستقبل .

(يذهبون).

طالب بن سهل : لقد زج بنفسه فى متاعب ماض انقضى منذ عشرين ألف سنة .

عبد الصمد : نحن ملتحمون به الآن ولا ندرى كيف يتعامل معنا .

طالب بن سهل : كأننى فى حلم .

عبد الصمد : إنه حلم فى باطن حلم!

* * *

(صوت موسيقى من ناحية القصر).

(يخرج موسيقى ومنشد يتبعهما عبيد يحملون دنان الخمر).

(يملئون الكئوس.. يقدمونها للناس).

خادم : نخب المعبودة .

خادم ثان : اشرب واطرب وتمتع بحياتك .

خادم ثالث : الدنيا قبلة وكأس .

(أناس يقبلون على الشراب ويشيع الطرب).

* * *

(يذهب السقاة وهم يوزعون الخمر. تترامى أصوات موسيقى شعبية، يظهر فريق جديد من طريق جانبى يدل مظهره على

أنه يمثل «سيرك» ويعلن عنه. يتقدمه مناد يتبعه بلياتشو ورجال أقوياء مصارعون وحاملو أثقال).

المنادى : بشرى . . بشرى . . (الناس يلتفتون نحو المنادى).
السيرك الكبير يشارك فى أفراح الشعب لمناسبة تتويج معبوده الجديد بعرض خاص هذه الليلة، برنامج حافل لم يسبق له مثيل، إليكم بعض النمر المختارة:
مصارعة حرة بين أسد جائع وبين رجل من أهل مدينتنا ثبتت خيانته فى مطالبته بتحرير العبيد. عرض نماذج من مجانين ممتازين نساء ورجالا سبق أن تولوا مناصب مهمة فى الدولة.
حرق رجل وهو حى لاعتراضه على عبادة الملكة ترمزين.
رجل وامرأة يعرضان قواهما الجنسية العجيبة.
ساحر السيرك يتنبأ لأى زبون عن مستقبله.
نشيد جديد عن الأبطال الذين بنوا مدينتنا سيدة الدنيا.
(الناس تتابع الإعلان، وعند نهاية كل مقطع يتصاعد الهتاف).

طالب بن سهل : (ساخرا) واأسفاه. . لن يسعدنا الحظ بمشاهدة هذا العرض الحافل.

عبد الصمد : (باسما) من يدرى؟، قد ينجح الأمير موسى فى تغيير الماضى!

* * *

(ضجة تجىء من طريق جانبى. تتقدم الجماعة المتمردة على رأسها موسى بن نصير وقد أحاط بهم جنود شاكو السلاح يسوقونهم نحو القصر).

طالب بن سهل : (بجزع) اكتشفت السلطة أمرهم، ما العمل؟ أخاف أن يصيب أميرنا سوء؟

عبد الصمد : (محاولا تهدئته) هل تستطيع يد هالكة منذ عشرين ألف سنة أن تؤذى إنسانا من زماننا؟!

طالب بن سهل : محتمل أن يؤثر سحر قديم فى أحدنا، أليس كذلك؟

عبد الصمد : (للقمقم) أثمة خوف حقا على صاحبنا؟

صوت الجن : إنى لا أعلم الغيب.

عبد الصمد : لكنهم أموات يعيدون تمثيل أحداث وقعت وبلا زيادة.

صوت الجن : أضاف صاحبكم بتدخله حدثا جديداً.

طالب بن سهل : أرجعهم إلى ما كانوا عليه قبل أن يمتد يد بسوء إلى الأمير.

صوت الجن : هذا ما أعجز عنه وهيهات أن يتكرر قرارى قبل اللحظة التى وقع فيها.

طالب بن سهل : يا للفظاعة، لن أتردد عن التدخل لدى أول فرصة.

صوت الجن : إنها حياتك فافعل ما تشاء.

طالب بن سهل : (لعبد الصمد) لعلك تعرف قراءة الطالع؟

(تسمع السؤال امرأة مارة فتقف ثم تقترب من عبد الصمد).

المرأة : أود أن تقرأ لى طالعى.

(سرعان ما يتجمهر أناس حوله مستطلعين).

عبد الصمد : لست عرافا.

المرأة : سمعتك تقرأ لصاحبك طالعه.

عبد الصمد : ما سمعت من ذلك شيئا.

رجــــــــــل : بل سمعتك . . لماذا تضن علينا بقدرتك؟

(المتجمعون يلحون فى غضب).

طالب بن سهل : اقبل، قل ما يحلو لك، وأنقذنا من غضبهم .

عبد الصمد : عظيم . . عم تسألون؟

المــــــــرأة : الذى فى بطنى أنثى أم ذكر؟

عبد الصمد : ذكر . . أبشرى . .

المــــــــرأة : (بفزع) أتسخر منى أيها الدجال؟!

عبد الصمد : (هامسا لطالب بن سهل) نسيت ورب الكعبة .

شــــــــاب : (لعبد الصمد) ألا سبيل إلى مقاومة العفريت؟

عبد الصمد : لا تنس أنه يعمل فى خدمة إنسان!

الشـــــــاب : (بحماس) بلى : سيظل الإنسان هو الأقوى .

كــــــهـــل : ما علاج الخوف من الموت؟

عبد الصمد : الموت نفسه .

(غضب من الكهل وضحك من الجمهور).

فـــــتـــــاة : متى يزول الظلم؟

عبد الصمد : بعد ساعات .

الفـــتـــاة : ماذا تعنى؟

عبد الصمد : ليس عندى زيادة .

رجــــــــــل : قضيتى هل أكسبها؟

عبد الصمد : لن يكسبها خصمك!

الــــرجــــل : إنى أسأل عما يخصنى .

عبد الصمد : ليس عندى زيادة .

امــرأة هزيلة : متى أشفى من مرضى؟

عبد الصمد : قبل حلول المساء .

المـــــــرأة : ما أحلى كلامك لو يتحقق.

(يمر الشرطى فيفترق الناس).

طالب بن سهل : كاد يغلبنى الضحك.

عبد الصمد : ما أعجب أن تجاور أمواتا!

طالب بن سهل : من موقعنا هذا ينكشف لنا الغيب طيلة هذه التجربة الفريدة.

عبد الصمد : حتى ذلك لا نستطيع أن نجزم به.

طالب بن سهل : نحن أحياء وهم أموات.

عبد الصمد : حسن أن تقول ذلك لنطمئن على أميرنا لكن لا تنس أنهم الآن أحياء وأننا لم نولد بعد.

طالب بن سهل : أود أن أفعل شيئًا لإنقاذ موسى.

* * *

(من القصر يخرج رئيس الشرطة يتبعه حراس. تنصب منصة فى الميدان).

حاجب : الشرطة تحاكم المتمردين تمهيداً لإحالتهم إلى المحكمة.

(الجمهور يهرع للمشاهدة).

(رئيس الشرطة يجلس على المنصة. يقدم أمامه مجموعة المتمردين وعلى رأسهم موسى بن نصير).

طالب بن سهل : ها هو ذا الأمير، لن يمسه أحد بسوء وأنا حى.

عبد الصمد : تمهل.. ولنتابع الماضى وهو يحاكم المستقبل.

رئيس الشرطة : (للمتمردين) إنكم شباب أرعن، لا إله لكم، وجهركم بالشر يغنى عن مساءلتكم، ستمثلون غداً صباحًا أمام القاضى فى المحكمة.

(رئيس الشرطة يلتفت نحو موسى بن نصير ويقول)

رئيس الشـــرطة : ماذا أوجدك بين هؤلاء الشبان وأنت كهل، ما كنت أتصور أن الكهول قابلون للعدوى بأمراض الشباب. ما اسمك؟

موسى بن نصير : موسى بن نصير.

رئيس الشـــرطة : أى اسم هذا؟

موسى بن نصير : هذا اسمى وأدعى به فى الشرق والغرب.

رئيس الشـــرطة : إنك تستحق بسببه السجن، أأنت غريب؟

موسى بن نصير : نعم.

رئيس الشـــرطة : من أى البلاد؟

موسى بن نصير : من بلاد المغرب.

رئيس الشـــرطة : لا علم لى بها. أنت كاذب، جاسوس وكاذب، ما عملك؟

موسى بن نصير : أمير المغرب.

رئيس الشـــرطة : لن ينفعك ادعاء الجنون.

موسى بن نصير : إنى أعرف أكثر منك بعشرين ألف سنة.

رئيس الشـــرطة : لن ينفعك ادعاء الجنون، إنك متهم بترويج أفكار مستوردة لإفساد شبابنا.

موسى بن نصير : ما قلت لهم إلا الحق وهو أنه لا إله إلا الله.

رئيس الشـــرطة : ها أنت ذا تعترف بكفرك على الملأ فما أنت إلا جاسوس يروج للكفر.

موسى بن نصير : سوف يحل بكم العقاب بعد ساعات ولا خلاص لكم إلا باتباع قولى.

رئيس الشـــرطة : سنرى من الذى سيحل به العقاب، سأفصل رأسك عن جسدك بيدى هذه صباح الغد. (للجنود) أعيدوهم إلى السجن.

(الجنود يسوقون المتهمين إلى القصر).

* * *

(يجيء رجلان وقوران، يقفان على مقربة من طالب بن سهل وعبد الصمد دون أن يفطنا إلى وجودهما).

الأول : سيدى الأستاذ نحن فى ورطة.

الثانى : لكل مشكلة مفتاح.

الأول : قضينا العمر ونحن ندرس لأجيال من طلاب العلم فلسفة تبجل الإله وقدرته، وتحلل الإنسان وفناءه، فكيف يكون موقفنا اليوم أيها الزميل؟

الثانى : نقول فى ترمزين ما قلناه فى الإله.

الأول : وكيف تفسر تناقضنا بين اليوم والأمس؟

الثانى : رأى الإله بقدرته اللانهائية أن يرفع الملكة إلى مرتبة الألوهية.

الأول : ولماذا ينزل الإله عن سلطانه لبشر فان؟

الثانى : لم تعد فانية.

الأول : وإن أدركها الموت؟

الثانى : أعتقد أننا سنسبقها إليه.

الأول : ومحتمل أن تسبقنا هى.

الثانى : نقول إن حكمة الإله لا تناقش.

الأول : وإذا تمادوا فى المناقشة؟

الثانى : نستعين بالشرطة فهى البرهان الأخير لمن لا يقتنع.

الأول : (ضاحكا) الآن شرحت صدرى، والآن نستطيع أن نعد الخطبة التى سنلقيها عند الغروب.. (يذهبان).

طالب بن سهل : (متعجبا) حتى أهل العلم؟!

عبد الصمد : يؤسفنى أيها الأمير أن أذكرك بأن دار الإسلام لا تخلو من أمثالهم.

طالب بن سهل : (دهشا) أأنت من شيعة على بن أبى طالب؟

عبد الصمد : إنى من شيعة الحق ورزقى على الواحد الأحد.

* * *

(يقترب نفر من الشرطة من موقف طالب بن سهل وعبد الصمد).

الشرطى : (لعبد الصمد) أنت العراف؟

عبد الصمد : ما أنا بعراف.

الشرطى : ترامى خبرك إلى جلالة الملكة فقررت أن تسمعك. أبشر بحظك السعيد واتبعنى.

(يتردد عبد الصمد ولكن الجنود تدفعه صوب القصر).

طالب بن سهل : لم يبق سواى، أصبحت وحيداً فى هذه المدينة الميتة، ترى بأى حال تنتهى هذه المغامرة؟

* * *

(ما يكاد يتم قوله حتى تقترب منه امرأة كهلة حسنة المنظر).

المرأة : أبشر أيها الشاب السعيد

طالب بن سهل : ماذا وراءك يا سيدة؟

المرأة : اتبعنى إلى حظك السعيد.

طالب بن سهل : أى حظ سعيد؟

المرأة : لقد رأتك الملكة ترمزين من نافذة قصرها!

طالب بن سهل : (بذهول) الملكة ترمزين؟!

المرأة : وهى تدعوك إلى حظك السعيد، اتبعنى.

(تسير المرأة فيتبعها طالب بن سهل منفعلا بصورة واضحة).

(يهبط الظلام)

٦

(إضاءة)

(بهو العرش. الملكة ترمزين جالسة فوق العرش حجاب. حراس).

(تدخل المرأة).

المـــرأة : (تنحني) مولاتي، إنه ينتظر.

المـلكـة : أذنت له.

(الملكة تشير إلى الحجاب والحراس فينسحبون).

(يدخل طالب بن سهل. ينحني تحية).

(الملكة تبتسم. تشير إلى مقعد قريب فيجلس عليه. تمعن فيه النظر بإعجاب لا تحاول إخفاءه. طالب يبادلها النظر بتأثر).

ترمـزين : العين أصدق رسول وأخلص دليل.

طالب بن سهل : هي كذلك يا مولاتي.

ترمـزين : حدثني عن نفسك.

طالب بن سهل : اسمي طالب بن سهل.

ترمـزين : غريب مثل صاحبيك؟

طالب بن سهل : ومن بلاد بعيدة.

ترمـزين : ما كنت أتصور أنه يوجد غريب بصورتك وقوامك.

طالب بن سهل : الغرباء مثل رعاياك يسعون ويحبون ويموتون.

ترمـزين : لا تجدف إنك استثناء، ما عملك؟

طالب بن سهل : تاجر.

ترمزين : تاجر وعراف وجاسوس.. ماذا جمعكم؟

طالب بن سهل : لقد تورط صاحبنا دون قصد سيئ.

ترمزين : لا تدافع عن مجرم، ولكن لندع هذا الحديث جانبا، قلت إنك تاجر. التاجر شخص ممتاز ومفيد، ولكن موضعك الحقيقى بين الحجاب أو الحراس.

طالب بن سهل : ما أنبل نواياك يا مولاتى!

ترمزين : نحن النساء ننتظر قدرنا منذ البلوغ، وصدقنى فإنك أول رجل فى حياتى.

طالب بن سهل : من السعادة يا مولاتى ما يعز على الأحلام.

ترمزين : (باسمة) فيك جرأة محببة، ما من شاب فى موقفك إلا ويبدى الخجل والتمنع، أما أنت فتجاهر بسعادتك بلا تردد، أصارحك بأنه يعجبنى الشاب المتحلى بأحوال النساء!

طالب بن سهل : (مداريا ابتسامة) أخرجنى الانبهار من الحياء.

ترمزين : بالصدق والصراحة هل تبادلنى عواطفى؟

طالب بن سهل : أجل.. أجل يا مولاتى، ومنذ قديم.

ترمزين : حقا؟.. لعلك رأيتنى فى احتفال البحيرة؟

طالب بن سهل : رأيت جمالك فى خلوده.

ترمزين : رأيتك من نافذتى، من نظرة عابرة، دلتنى على أغنيتى المفضلة.

طالب بن سهل : ليهنأ كل محب بحبه إكراما لحبنا.

ترمزين : ولكن تجىء المتاعب فى أعقاب الحب!

طالب بن سهل : المتاعب؟

ترمـــــزين : اختيار غريب لرئاسة الحرس قرار مثير للاستياء. (صمت) وزواجى من بشر عقب جلوسى على عرش الآلهة مستحيل، ولكنك ستكون أقرب إلى من أنفاسى المترددة.

طالب بن سهل : (بنبرة غلبها الحزن) ستصفو لنا الأيام.

ترمـــــزين : وجـــهك ينطق بالأسى على حين يلهج لسـانك بالسعادة.

طالب بن سهل : إنى أتساءل هل يسعد إنسان حقا بحب إلهة؟

ترمـــــزين : بين يديك سأظل امرأة!

طالب بن سهل : قلبى يتوجس خيفة.

ترمـــــزين : يا له من قلب ساذج.

طالب بن سهل : لم يحدث ذلك لبشر من قبل.

ترمـــــزين : كأنما يداخلك شك فى قدرتى؟

طالب بن سهل : إنى بشر وأتمنى ألا تتخلى حبيبتى عن بشريتها.

ترمـــــزين : لدى من القوة ما أستطيع أن أطيِّر به مدينة فى الفضاء.

طالب بن سهل : قوة عفريت مذنب؟!

ترمـــــزين : القوة هى القوة بصرف النظر عن مصدرها، ماذا يملك الإله أكثر من ذلك؟

طالب بن سهل : يملك القوة ومصدرها والمسيطر عليها.

ترمـــــزين : إنك تذكرنى بأقوال الخونة!

طالب بن سهل : ما أنا إلا محب يحب حبه ويحرص عليه.

ترمـــــزين : ستجد ألا أصل لمخاوفك وأوهامك.

طالب بن سهل : أتوسل إليك أن ترجـعى عن قـرارك قـبل فـوات الفرصة.

ترمزين : أرجع؟

طالب بن سهل : أتوسل إليك، من أجل حبنا، من أجل سعادتنا.

ترمزين : سنكون أقدر على الاستمتاع بها من جميع البشر.

طالب بن سهل : إنها تجربة تنذر بالهلاك.

ترمزين : الهلاك؟!.. ماذا قلت؟

طالب بن سهل : ارحمى قلبى وحبى.

ترمزين : ما أعجب الحب، لو نطق غيرك بما نطقت به لفصلت رأسه عن جسده.

طالب بن سهل : ابقى امرأة لا إلهة.

ترمزين : ستجدنى امرأة وقتما تشاء.

طالب بن سهل : (بحرارة) أصغى إلى باسم الحب، صدقى قلبا يهيم بحبك، فالحب يلهمه الصواب. أقول إن الهلاك معلق فوق رأسك فتجنبيه، خذى الحب ودعى الموت، استجيبى لى لعل معجزة تقع.

ترمزين : (ضاحكة) أيها الرعديد المحبوب، ستشهد التتويج بنفسك، ثم نرجع لنصنع من حبنا الأعاجيب.

طالب بن سهل : (بأسى) لن نذوق من الحب قطرة واحدة.

ترمزين : (بحدة) إنك تتحدث عن الموت كأنه حقيقة واقعة.

طالب بن سهل : لقد رأيته بعينى!

ترمزين : (ساخرة) أأنت عراف أم تاجر؟

طالب بن سهل : أنا محب والمحب يرى ما لا يراه الآخرون.

ترمزين : كفى، لن ننتهى إلى اتفاق، تعلق بمخاوفك حتى تنقشع فى ليلتنا السعيدة، حسبنا ما ضاع فى نقاش عقيم، إنى أنتظر صاحبك العراف الذى أجلت لقاءه لهفتى عليك، لنسمع صوت الغيب الصادق.

(تصفق. يدخل حاجب).

ترمزين : إلىّ بالعراف . (الحاجب يذهب. عبد الصمد يدخل. يرفع يديه تحية. يلمح طالب بن سهل ولكنه يتجاهله. يجلس عندما تشير إليه الملكة بالجلوس) (لعبد الصمد) أبلغتنى عيونى المنتشرة فى كل مكان عن قدرتك .

عبد الصمد : ما أنا إلا عبد .

ترمزين : لدى أسئلة عن الغيب قبل أن يسفر لى عن وجهه عند المغيب .

عبد الصمد : ما أنا إلا عبد .

ترمزين : تواضع محمود، أجبنى يا رجل : هل يوجد متمردون آخرون غير الذين قبض عليهم اليوم؟

عبد الصمد : التمرد كامن فى القلوب، جهر به البعض فقبض عليهم، وأخفاه الآخرون وراء أقنعتهم الكاذبة .

ترمزين : (بحدة) ماذا قلت؟

عبد الصمد : أقول ما يخطر لى وإن شئت سكت .

ترمزين : ألا يؤمن بى أحد؟

عبد الصمد : حتى الشيطان فى قمقمه يعبد الإله .

ترمزين : خيبت ظنى بك .

عبد الصمد : حذار من قرارك، سينفجر لعنة مدمرة على الأرض .

ترمزين : وما مصير ترمزين؟

عبد الصمد : مصيرك بيدك .

ترمزين : إنى أحب الحياة .

عبد الصمد : ما عليك إلا أن تحبيها بصدق .

ترمزين : أحبها وأحب الحب .

عبد الصمد : إذن تراجعى عن الموت .

ترمزين : إنى أدرك ما ترمى إليه .

عبد الصمد : ستهلكين عند مغيب الشمس .

ترمزين : أعلم يقينا أنك كاذب ، أتدرى ماذا يصيبك إذا نجوت؟

عبد الصمد : إذا نجوت من الموت فأرسلينى إليه .

(طالب بن سهل يرفع يده مستأذنا فى الكلام).

ترمزين : تكلم يا طالب .

طالب بن سهل : مولاتى ، هذا الرجل يتكلم بثقة ، وقد راهن على صدقه بحياته .

ترمزين : إنى أملك قوة لا تقاوم .

عبد الصمد : عفريتك عبد للإله ، سيغضب لإلهه فيتخلى عنك ولو فقد آخر أمل فى تحرره .

طالب بن سهل : سوف يدمرك فوق عرش الألوهية .

ترمزين : (غاضبة) الآن وضح الحق ، ما أنت يا طالب إلا نسيج فى مؤامرة ، مثل هذا العراف الكاذب ، ومثل صاحبكم الذى قبض عليه وهو يؤلب شعبى علىّ. (ترمزين تصفق. يدخل حاجب) أحضروا الجاسوس . (للرجلين) إنكم تخافون القوة المسخرة أن تذل شعوبكم ، ولكنى سأعتلى بها عرش الألوهية وأسود الأرض ، الحب نفسه يا طالب لن يغرينى بخيانة مدينتى المقدسة . . (يحضر موسى بن نصير ويسمع آخر خطابها ثم يقف) (تلتفت إلى موسى بن نصير غاضبة) ها هو ذا الجاسوس الذى سيفصل رأسه عن جسده غدًا (ثم ملتفتة إلى طالب بن سهل) أما أنت فإنك شر الثلاثة لقد اتخذ

أحدهما من الجاسوسية وسيلة إلى هدفه، ومارس الثانى الدجل، أما أنت فأهنت الحب المقدس، أنزلته من علياء سمائه وجعلته خدعة دنيئة.

طالب بن سهل : (بحرارة وأسى): أقسم بربى أننى أحبك من كل قلبى، وأننى أتحدى الماضى والواقع لأنقذك من العدم.

ترمزين : هيهات أن أصدقك.

موسى بن نصير : (منفعلا) الوقت يقترب بسرعة مخيفة، وإذا أردنا أن نخوض التجربة المتاحة النادرة وهى تغيير الماضى فما علينا إلا أن نكاشفها بالحقيقة (صمت).

(للملكة) أيتها الملكة.. إنك فى الحقيقة ميتة قد شبع منك العدم.

ترمزين : (تضحك ساخرة) أيها الضال المضلل، بلغنى أنك تدعى الجنون، ولكنك ستنال جزاءك غداة الغد، أنت أنت الميت لا ترمزين.

موسى بن نصير : إنك ميتة منذ عشرين ألف سنة!

ترمزين : (مغرقة فى الضحك) خوفكم من قوتى أذهب عقولكم، فلتذهب إلى الجحيم ولتبق ترمزين ومدينتها إلى الأبد.

عبد الصمد : ما أشق أن تقنع حيا بأنه ميت.

طالب بن سهل : مولاتى، أعيرينا أذنك لتسمعى قصة مدينتك.

ترمزين : أيها المخادع الكذاب هل تشاركهما جنونهما؟ هل ترانى ميتة أيضًا؟

طالب بن سهل : لقد اكتشفنا المدينة وما بها إلا جثث أهلها: ولما استخرجنا العفريت من البحيرة اعترف لنا بأنه هو

الذى أنزل بها الموت المسحور جزاء كفرها، ولكى يثبت لنا صدقه أوقف سحره نهاراً واحداً هو هذا النهار الذى يقترب من نهايته، هكذا دبت فيكم حياة كالحلم لا تلبث أن تنقشع، وسوف يدرككم الفناء كما أدرككم أول مرة.

ترمزين : يا للدجل والكذب والخداع!

عبد الصمد : اعدلى عن قرارك توهب لك الحياة من جديد.

طالب بن سهل : هى الحقيقة يا مولاتى، صدقينا قبل فوات الفرصة النادرة.

ترمزين : أيها الجواسيس الحقراء الحاقدون على عظمة مدينتى الموعودة!

موسى بن نصير : عن أى عظمة تتحدثين؟ ما هى إلا عظمة ذاتك ورجالك، إنك تذلين شعبك كما تذلين الغرباء، حتى أصحاب العقول والإلهام جعلت منهم عبيدا ودمى. انظرى، ها هو ذا المستقبل يتجسد أمام عينيك ويعدك بمعجزة فاستجيبى له، فمن لم يفقه لغة المستقبل دمره الحاضر.

ترمزين : (تخرج القمقم من تحت وسادة) أيها العفريت. اقذف بالحقيقة فى وجوه هؤلاء الجواسيس. (صمت) (مقطبة) أيها العفريت!

(صمت) (ثائرة) فهمت.. ما أنتم إلا سحرة، تسلطتم على لسان العفريت، ولكنى ما زلت مالكته، وسوف يتحرر من سحركم حال قتلكم.

طالب بن سهل : حبيبتى لا تهدرى فرصة لا يجود بها الزمان أبدا،

أمامنا فرصة للحب ولخلق معجزة يفيد منها عالمنا الحى، اقنعى بإنسانيتك وفيها الكفاية من المجد، أطلقى سراح العفريت فما يجوز أن يملكه فرد به ضعف، حررى شعبك، احترمى عقل الإنسان وقلبه، المجد لمن يخدم لا لمن يستخدم، ولنحظ بعد بأغنية الحب الخالدة فلا خالد فى الدنيا إلا أنغامها.

ترمزين : لا يوجد فى الأحياء من يستطيع خداعى.

عبد الصمد : (للقمقم) كاشفها أنت بالحقيقة، دعنا نشهد المعجزة!

(صمت)

صوت العفريت : مولاتى ترمزين.

ترمزين : (بدهشة وسرور) أخيراً تكلمت.

صوت العفريت : إنى رهن إشارة منك.

ترمزين : أيها العفريت ما رأيك فيما قال هؤلاء؟

طالب بن سهل : نحن راضون بحكمه ولكن عليك أن تفقهى قوله.

ترمزين : (للقمقم) ما رأيك فيما قال هؤلاء؟

(صمت)

صوت العفريت : إنك حية بل سيدة الأحياء.

(ترمزين تضحك فى سرور وشماتة)

عبد الصمد : أيها العفريت، ألم تهلك المدينة وصاحبتها منذ عشرين ألف سنة؟

صوت العفريت : كذبت أيها الجاسوس!

ترمزين : يا للنصر.

(تصفق. يدخل حاجب. تأمره بإحضار الجنود)

صوت العفريت : لا يجوز أن تعدمى أحداً منهم قبل التتويج.

(يدخل الجنود)

ترمـــــــزيـن : خذوا الجواسيس إلى السجن وآتونى برءوسهم لدى عودتى من التتويج .

(تقف. تقترب من طالب وهو ضمن المقبوض عليهم)

(لطالب بن سهل) سوء الحظ لم يدركك وحدك يا طالب .

طالب بن سهل : إنى سيئ الحظ ما فى ذلك من شك .

ترمـــــــزيـن : لا مجد بلا ثمن . (تشير إلى الجنود فيمضون بهم) (محدثة نفسها فى أسى) ولكن ما أفدح الثمن .

(يهبط الظلام)

-٧-

(إضاءة)

(الميدان)

(حراس.. الجمهور يتطلع نحو العرش. موسيقى يتخللها هتاف كالهدير طبول يعقبها صمت شامل)

(يظهر موكب الملكة ترمزين خارجا من القصر فى هالة بالغة من الكمال والجمال)

(هتاف يستمر حتى تجلس على العرش)

(تشير الملكة إلى كبير الحجاب)

(يتقدم كبير الحجاب ويلقى خطبته)

كبير الحجاب : أيتها الملكة المجيدة ترمزين، سيدة عالمى الأحياء والأموات..

ودعى آخر لحظة من حياة البشر الفانية، وتبوئى عرش

الألوهية الخالد، دمت لنا وللأرض «إلهة خالدة»!

(فجأة يرعد انفجار مروع يعقبه ظلام)

٨

(إضاءة)

(المنظر الأول. منظر الميدان والجثث المتجمدة. موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد)

(موسى وعبد الصمد ينظران فيما حولهما. طالب مستغرق فى النظر إلى ترمزين)

عبد الصمد : مدينة الموت.

موسى بن نصير : مدينة الحلم.

طالب بن سهل : مدينة الحب المستحيل.

عبد الصمد : (منفعلا للقمقم) خدعتنا أيها العفريت، ما زال قلبك ينبض بالشر!

صوت العفريت : أبيت أن أضيف إلى ذنوبى ذنبا جديدًا.

عبد الصمد : أى ذنب فى هداية امرأة ضالة إلى الصواب.

صوت العفريت : لو فعلت لتعذر على إهلاكها، ولبعثت إلى الوجود مدينة ملعونة هلكت بظلمها لتواصل حياة غريبة متأخرة عن دنياها عشرين ألف سنة، ولعمرى إن ذلك شر من الموت نفسه.

موسى بن نصير : حجة مقبولة فيما أرى، فما يهلك لظِلم لا يحق بعثه.

صوت العفريت : حسبنا أن الثائرين قد هاجروا فنجوا ثم جاء عالمكم من ذراريهم .

عبد الصمد : (باسمًا) يبدو أنه قد اندس بينهم نفر من المنافقين والجبناء . . فما أبعد دنيانا عن الكمال .

موسى بن نصير : (ملتفتا نحو طالب بن سهل) أفق أيها الأمير فلا جدوى من التعلق بحب زمان مضى .

صوت العفريت : لقد كفرت عن ذنبى ، أطلقوا سراحى أيها الرجال الصالحون .

موسى بن نصير : عليك أن تقنع بذلك مولانا عبد الملك بن مروان .

صوت العفريت : صدقونى لا يجوز أن يملك قوتى إلا حكيم .

موسى بن نصير : خليفتنا أحكم الحكماء .

صوت العفريت : لا يخلو من أهواء البشر وضعفهم ، ألا ترون كيف يرد على حجج معارضيه بالسيف المسلول؟ (يتبادلون النظر فى صمت).

موسى بن نصير : (للقمقم) إنك قوة لو استغلت للخير لجعلت من دنيانا جنة .

صوت العفريت : ما تسلط علىَّ فرد إلا جعل منى نعمة له ولمن يحب ونقمة على الملايين ، صدقونى ما أحدث عفريت منا شرًا إلا تنفيذًا لمشيئة إنسان .

(يتبادلون النظر مرة أخرى)

عبد الصمد : لنطلق سراحه .

طالب بن سهل : هل أخيب فى مهمتى كما خبت فى حبى؟!

عبد الصمد : لا تتحمل مسئولية ستسأل عنها أمام رب العالمين .

صوت العفريت : قل لمولاك : من يحكم بالإيمان فلا حاجة به إلى الشيطان .

عبد الصمد : انطلق أيها العفريت فلقد نطقت بالحق .

أعمال نجيب محفوظ

١ ـ	مصر القديمة	ترجمــة	١٩٣٢
٢ ـ	همس الجنون	مجموعة قصصية	١٩٣٨
٣ ـ	عبث الأقدار	رواية تاريخية	١٩٣٩
٤ ـ	رادوبيــس	رواية تاريخية	١٩٤٣
٥ ـ	كفاح طيبة	رواية تاريخية	١٩٤٤
٦ ـ	القاهرة الجديدة	روايــة	١٩٤٥
٧ ـ	خان الخليلي	روايــة	١٩٤٦
٨ ـ	زقاق المدق	روايــة	١٩٤٧
٩ ـ	الســـراب	روايــة	١٩٤٨
١٠ ـ	بداية ونهاية	روايــة	١٩٤٩
١١ ـ	بين القصرين	روايــة	١٩٥٦
١٢ ـ	قصر الشوق	روايــة	١٩٥٧
١٣ ـ	الســـكرية	روايــة	١٩٥٧
١٤ ـ	اللص والكلاب	روايــة	١٩٦١
١٥ ـ	السمان والخريف	روايــة	١٩٦٢
١٦ ـ	دنيــا اللــه	مجموعة قصصية	١٩٦٢
١٧ ـ	الطـــريق	روايــة	١٩٦٤

١٨ ـ بيت سيئ السمعة	مجموعة قصصية	١٩٦٥
١٩ ـ الشـــحاذ	روايـــة	١٩٦٥
٢٠ ـ ثرثرة فوق النيل	روايـــة	١٩٦٦
٢١ ـ ميـرامـــار	روايـــة	١٩٦٧
٢٢ ـ أولاد حارتنا	روايـــة	١٩٦٧
٢٣ ـ خمارة القط الأسود	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٤ ـ تحـت المظـلة	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٥ ـ حكاية بلا بداية ولا نهاية	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٦ ـ شـهر العســل	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٧ ـ المـــرايا	روايـــة	١٩٧٢
٢٨ ـ الحب تحت المطر	روايـــة	١٩٧٣
٢٩ ـ الجـــريمـة	مجموعة قصصية	١٩٧٣
٣٠ ـ الكـــرنـك	روايـــة	١٩٧٤
٣١ ـ حكايات حارتنا	روايـــة	١٩٧٥
٣٢ ـ قـلب الليـل	روايـــة	١٩٧٥
٣٣ ـ حضرة المحترم	روايـــة	١٩٧٥
٣٤ ـ الحـرافيـش	روايـــة	١٩٧٧
٣٥ ـ الحب فوق هضبة الهرم	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٦ ـ الشيطان يعظ	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٧ ـ عصـر الحـب	روايـــة	١٩٨٠
٣٨ ـ أفـراح القبـة	روايـــة	١٩٨١
٣٩ ـ ليالي ألف ليلة	روايـــة	١٩٨٢

٤٠ ـ رأيت فيما يرى النائم	مجموعة قصصية	١٩٨٢
٤١ ـ الباقى من الزمن ساعة	روايـــة	١٩٨٢
٤٢ ـ أمام العرش (حوار بين الحكام)	روايـــة	١٩٨٣
٤٣ ـ رحلة ابن فطومة	روايـــة	١٩٨٣
٤٤ ـ التنظيـم الســرى	مجموعة قصصية	١٩٨٤
٤٥ ـ العائش فى الحقيقة	روايـــة	١٩٨٥
٤٦ ـ يوم قتل الزعيم	روايـــة	١٩٨٥
٤٧ ـ حديث الصباح والمساء	روايـــة	١٩٨٧
٤٨ ـ صبــاح الــورد	مجموعة قصصية	١٩٨٧
٤٩ ـ قشـــــتمر	روايـــة	١٩٨٨
٥٠ ـ الفجر الكاذب	مجموعة قصصية	١٩٨٨
٥١ ـ أصداء السيرة الذاتية	مجموعة قصصية	١٩٩٥
٥٢ ـ القــرار الأخيـر	مجموعة قصصية	١٩٩٦
٥٣ ـ صــدى النسـيان	مجموعة قصصية	١٩٩٩
٥٤ ـ فتــوة العطــوف	مجموعة قصصية	٢٠٠١
٥٥ ـ أحـلام فترة النقاهة	مجموعة قصصية	٢٠٠٤

رقم الإيداع ١٦٦٠٣/ ٢٠٠٦
الترقيم الدولى 5 - 1726 - 09 - 977

